

مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثالث والرابعون
جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ
مايو ١٩٧٩م



مجمع اللغة العربية
القاهرة - مصر

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع الدكتور طه حسين
(مراد سابقا) بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثالث والأربعون

جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ - مايو ١٩٧٩ م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير:

إبراهيم التريزى

الفهرس

تصدير:

للأستاذ إبراهيم التري

رئيس التحرير

ص ٥

● كلمة السيد الدكتور حسن اسماعيل
وزير التعليم والبحث العلمى
فى افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين
ص ٧

● كلمة افتتاح المؤتمر
للدكتور إبراهيم مذكور
رئيس المجمع

ص ٨

● المجمع بين مؤتمرين
للدكتور مهدى علام
الأمين العام للمجمع

ص ١١

● كلمة الأعضاء العرب
للدكتور عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان

ص ١٦

البحوث:

● قصيدة « محمد رسول الله »
للدكتور حسن إبراهيم

ص ٢٣

● فجر الاعلام فى اللغة العربية
للدكتور عمر فروخ

ص ٢٩

● اللغة العربية ووسائل الاعلام
للأستاذ حسن عبد الله القرشى

ص ٤٠

● قبل يكون ... وقبل أن يكون
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ص ٤٥

● من كناسة النواذر
للأستاذ عبد السلام هارون

ص ٥٥

● قصيدة « لغة تجمع القلوب على الحب »
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ص ٦٥



- من تصريف الضمير في القرآن الكريم
للأستاذ علي النجدي ناصف
ص ٦٩
- كلمة الدكتور أحمد الحوفي
في استقبال :
الأستاذ محمد عبد الغني حسن
ص ١١٤
- اللغة العربية
في خدمة علوم الأحياء
للدكتور محمود حافظ
ص ٧٩
- آخر ساجع في الشام
للأستاذ سعيد الأفغاني
ص ٩٠
- كلمة الدكتور أحمد عمار
في استقبال :
الدكتور حسن علي إبراهيم
ص ١٢٣
- اللغة العربية ووسائل الاعلام
أترجمة أم عدوى لغوية ؟
للدكتور ابراهيم السامرائي
ص ٩٩
- كلمة الدكتور حسن علي ابراهيم
ص ١٢٧
- تحية الشعر للعضوين الجديدين
للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس
ص ١٣٢
- كلمة الدكتور ابراهيم مذكور
في استقبال :
الأستاذ محمد عبد الغني حسن
والدكتور حسن علي ابراهيم
ص ١٠٣
- كلمة الدكتور ابراهيم مذكور
في استقبال :
الدكتور سليمان حزين
ص ١٣٣
- شخصيات مجمعية :**



-
- كلمة الشعر
للدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش
ص ١٥٠
 - كلمة الأسرة لشقيق الفقيد
الأستاذ محمد عبد الشافي اللبان
ص ١٥٢
 - كلمة الدكتور ابراهيم مذكور
في تأييد المغفور له :
الدكتور عثمان أمين
ص ١٥٤
 - كلمة الدكتور سليمان حزين
ص ١٥٦
 - كلمة الأسرة لشقيق الفقيد
الأستاذ محمد عز الدين أمين
ص ١٦٠
 - كلمة الدكتور محمد محمود الصياد
في استقبال :
الدكتور سليمان حزين
ص ١٣٤
 - كلمة الدكتور سليمان حزين
ص ١٣٩
 - كلمة الدكتور ابراهيم مذكور
في تأييد المغفور له :
الأستاذ ابراهيم عبد المجيد اللبان
ص ١٤٤
 - كلمة الأستاذ عبد السلام هارون
ص ١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : ابراهيم التردى

وإن مجمع اللغة العربية في القاهرة ، بلجانه العديدة ، وأعضائه العرب والمستعربين ، قد حمل أمانة هذه الرسالة ، وأدائها ، وسيظل يؤديها ، على الوجه المنشود .

وفي كل مؤتمر مجمعي تكون كلمة الأمين العام للمجمع - التي يلقاها في الجلسة الافتتاحية - خير شاهد على جهود المجمع وأوجه نشاطه اللغوي ، خلال عام ، وهي دائماً - بحمد الله - كثيرة جليلة .

وهاهو الجزء الثالث والأربعون من مجلة المجمع (الخاص بمؤتمر الدورة الخامسة والأربعين) يطالعنا بكلمة للسيد وزير التعليم والبحث العلمي والثقافة الدكتور حسن إسماعيل ، وكلمة للدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع ، أشار فيها إلى جهود المجمع في معالجة قضية من أخطر قضايا العربية ، وهي قضية « تيسير النحو » ، كما يطالعنا بكلمة للدكتور مهدي علام ، الأمين العام للمجمع ، تعرض ما أنجزه المجمع في مختلف مجالاته اللغوية ، وما حققه من صلات ثقافية ، في مصر ، وخارج مصر ، وكلمة الأعضاء الأشقاء العرب ، التي ناب عنهم

تبعاً للغة العربية أعظم اللغات أصالة وحيوية ، فجذورها قد امتدت في أعماق الزمن قروناً بعد قرون ، وهي مازالت ، وستظل ، تمتد أصولاً وفروعاً في مختلف مجالات الحضارة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهي - دون ريب - أشرف اللغات ، وحسبها أن الله تعالى اختارها لتكون اللسان المعبر عن ذكره الخالد الكريم .

ولغة هذا شأنها من الأصالة والحيوية والشرف جديرة بأن تبسط أجنحتها في آفاق الآداب والعلوم والفنون ، وتخلق بها من مستويات إلى مستويات ، مستشرفة غايات بعد غايات ..

وهي جديرة - كذلك - بأن تنشط لها البحوث ، وأن ينهض بها أهلها لمسايرة الانطلاقات الحضارية ، المعاصرة والرائدة ، متبیین في دراساتهم أقوم المناهج ، التي تكفل لها الصبغة والدقة ، في الاستقراء والاستنتاج ، والتحليل والتعليل ، حتى تستقيم أحكامها اللغوية على أقدام راسخة من الصواب والساداد .

فيها الدكتور عمر فروخ، وهي - كما عهدنا -
معبرة عن أواصر القرى، والمشاركة في
خدمة لغتنا العربية انطلاقاً من مجمع القاهرة .
وقد تصدّت هذه الكلمة لتلك الهجمة الباغية،
المتجددة، والمتعلولة، التي يشنّها دُعاة
العامية على الفصحى، وقد عاودت الظهور في
لسان الشقيق .

وتبرز في هذا المؤتمر بحوث ثلاثة تتجه
إلى ميدان لغة الإعلام، في وسائله المتعددة
قدماً وحديثاً، وهي بحوث « فجر
الإعلام في اللغة العربية » للدكتور عمر
فروخ، و « اللغة العربية ووسائل الإعلام »
للأستاذ حسن عبد الله القرشي، و « اللغة
العربية ووسائل الإعلام : أترجمة أم
عدوى لغوية؟ » للدكتور إبراهيم السامرائي .

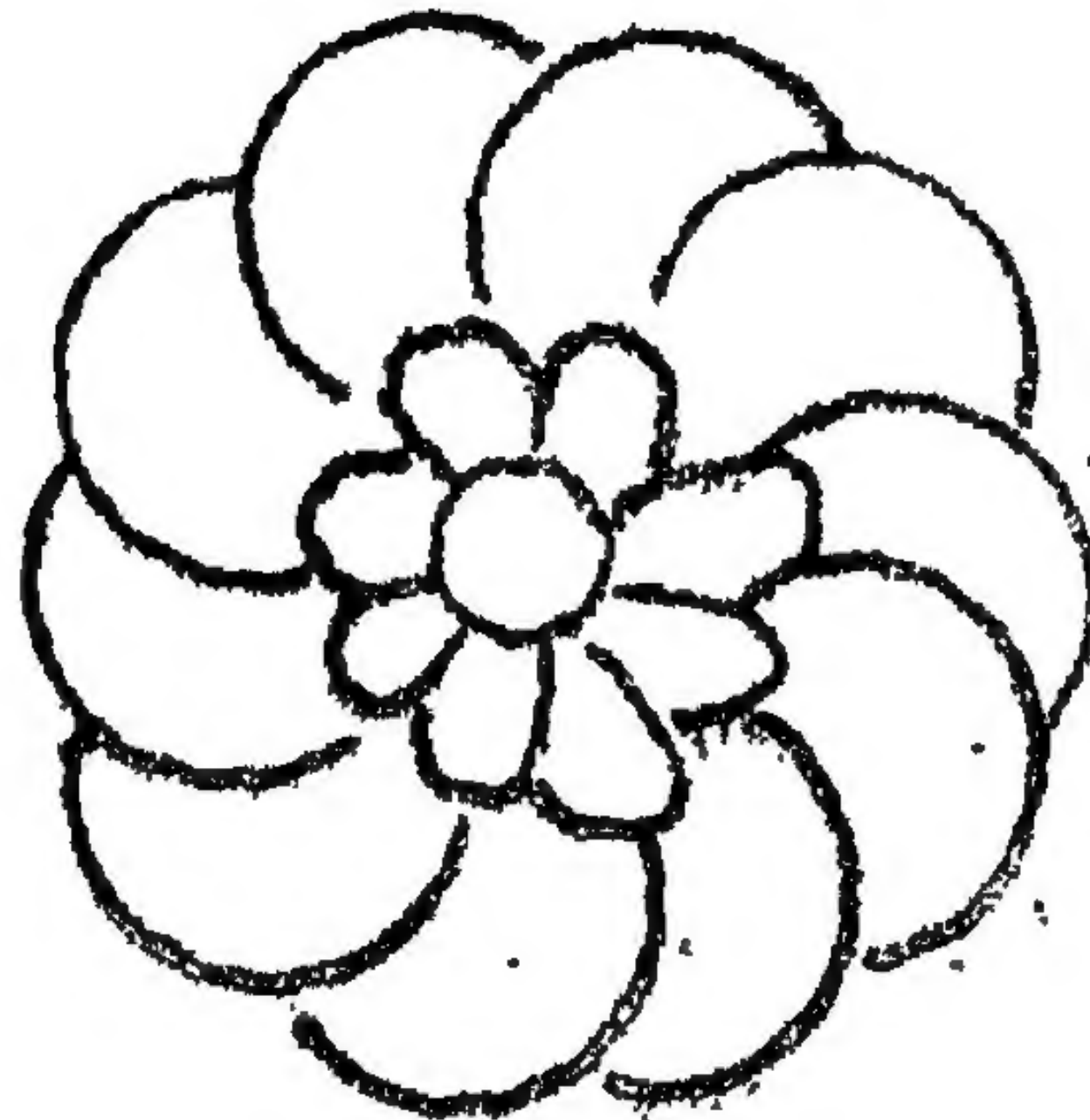
وإلى جانب هذه البحوث تمتدّ السلسلة
الذهبية، من البحوث القرآنية، التي بدأها
المرحوم صاحب الفضيلة الدكتور عبد
الرحمن تاج، فنلتقي ببحث جديد للأستاذ
على النجدي ناصف، عنوانه « من تصريف
الضمير في القرآن الكريم » .

ونلتقي في هذا الجزء من المحلة بباحثين
لغويين آخرين، هما : « قبل يكون ..
وقبل أن يكون » للأستاذ محمد عبد الغني
حسن، و « اللغة العربية في خدمة علوم
الأحياء » للدكتور محمود حافظ .

ولاتنسى بحوث هذا المؤتمر كتّاب العربية
الأفذاذ، فيحدثنا الأستاذ سعيد الأفغا
عن « آخر ساجع في بلاد الشام »، كما لاتنسى
ذخائر العربية النفيسة، فيعرض علينا
طرفاً منها الأستاذ عبد السلام هارون في
بحثه « من كناشة النوادر » .

وتُطيلُ علينا إشراقات شعرية، في
قصيدة الطبيب الشاعر الدكتور حسن علي
إبراهيم : « محمد رسول الله »، وقصيدة
الأستاذ محمد عبد الغني حسن « لغة تجمع
القلوب على الحب » .

إبراهيم التريزى
رئيس التحرير



كلية سيد الكثر حسن علي وزير تعليم والثقافة والبحث العلمي

في افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين

الأستاذ الحليل رئيس مجمع اللغة العربية :
الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع :

إنه لشرف عظيم لي أن أفتتح مؤتمركم
المجمعي : مؤتمر الخالدين من أعلام اللغة
والأدب والعلم ، في عالمنا العربي .
وإذا كان مجتمعكم مجمع الأمة العربية
كلها . . فإن مؤتمركم يتجاوز آفاقنا العربية
إلى سائر الآفاق . . بأعضائه المراسلين ،
الذين يمثلون أكثر بلدان العالم المتحضر .

وإن مؤتمركم بانهقاده الدوري السنوي
يتصدى - دائماً - لقضايا اللغة العربية
ومشكلاتها في عصرنا الحديث . . ويتابعها
ويلاحقها . بهذه البحوث التي يعدها أعضاء
المؤتمر ، وبما تقوم به لجان المجمع اللغوية
من دراسات ، وما تصدره من قرارات . .
لعلاج هذه المشكلات والقضايا . . فأنتم أطباء
اللغة ، تفحصون أدواءها ، وتضعون لها دواءها . .
فإذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من
علل ، أو يعثر بها من ضعف . . وإذا بها تنهض
وافرة الصحة والسلامة والعافية . لتؤدي رسالتها
الخالدة في كل مجالات الأدب والعلم والفن .
وهذا المؤتمر الدوري السنوي حين ينظر
مئات المصطلحات العلمية والفنية ، ومواد

المعاجم اللغوية ، التي يعدها مجتمعكم كل عام . .
يتابع - أيضاً - ويلاحق الركب العاصي المعاصر ،
بمستحدثاته ومخترعاته . . وهو - قبل هذا
وبعده - يسير بنا خطوات ونخطوات . . نحو
غايتنا المنشودة . . وهي توحيد المصطلح العلمي
العربي ، الذي يعد الأساس الأول لتعريب
التعليم الجامعي . . وذلك هدف تتطلع إليه
الأمة العربية ذات الماضي الحضاري العريق .

الأستاذ الحليل رئيس المجمع :

الأساتذة الأعضاء الأجلاء :

إن مؤتمركم حين يؤدي هذه الرسالة الهامة
للغتنا العظيمة الخالدة . . هو مؤتمر جدير بكل
إشادة وتقدير .

وإنكم ببحوثكم الوافية الشافية لقضايا
اللغة العربية ، وبالقرارات التي تصدرونها
تيسيرا على الكاتبين والقارئ ، وتوسعة
عليهم . . وبما تعدونه من المصطلحات في
مختلف العلوم والفنون . . إنكم بكل هذا
زادة وقادة لمسيرة اللغة العربية ، ولسوف
تستعيد بكم ما كان لها من مكانة علمية سامية .
تحية لكم أيها السادة ، ودعاء نخالصا
لمؤتمركم بالنجاح والتوفيق .
والسلام عليكم ورحمة الله .

(*) أقيمت هذه الكلمة في حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

كلمة افتتاح المؤتمر للكبير ابراهيم بكر حسين المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتي ، سادتي :

إنني لأشكر باسمي واسم السادة الزملاء جميعاً السيد وزير التعليم والثقافة والبحث العلمي على كلمته الطيبة ، وأشاركه تمام المشاركة في الترحيب بضيوفنا الكرام أعضاء المجمع العاملين والمراسلين . وقد لبي دعوتنا مشكوراً جمع منهم نعتز به ونعول عليه ، ولم يتخلف إلا من قعدت به ظروف خاصة .

سيداتي ، سادتي :

يشتمل برنامج مؤتمرننا هذا على ثمار جهود مجتمعتنا في عام كامل ، منذ المؤتمر الأخير إلى اليوم ، وسيتون زميلي الدكتور مهدي علام الأمين العام للمجمع إعطاء فكرة واضحة عنها . وأود أن أقف قليلاً عند نقطة واحدة من قضايا هذا المؤتمر ، وهي في الواقع قضية قديمة نوعاً ، عنت بها وزارة المعارف المصرية منذ خمسين سنة تقريباً ، وكان على رأسها المرحوم بهي الدين بركات الذي كونه لجنة من كبار رجال اللغة العربية بالوزارة ، ومن بعض كبار أساتذة الأدب واللغة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وطلب إليها أن تعالج مشكلة تيسير القواعد النحوية والصرفية والبلاغية . وقد أثبتت هذه المشكلة من قبل ، وقدمت لها

حلول ، من أخصها كتاب «قواعد اللغة العربية» لحفني ناصف ، وكتاب «النحو الواضح» لعلي الحارم . ولكنها لم تعالج رسمياً إلا على أيدي بهي الدين بركات ، وانتهت اللجنة التي كونها إلى مقترحات كانت محل أخذ ورد .

وفي عام ١٩٤٢ رأت وزارة المعارف أن تحيل هذه المقترحات إلى مجمع اللغة العربية ، وعهدت إليه أن يدرس ما من شأنه أن ييسر قواعد النحو والصرف على الناشئة ، وفي العام نفسه ألفت المجمع لأول مرة «لجنة الأصول» ، ووكّل إليها دراسة الموضوع برمته ، وقضت في درسه نحو عامين ، ووقفت على كل ما أثير حوله من بحوث . وفي عام ١٩٤٥ خصص مؤتمر المجمع عدة جلسات لدراسة هذا الموضوع ، وأخذ بمعظم ما ذهبت إليه لجنة وزارة المعارف من مقترحات ، وأشار خاصة إلى ضرورة أخذ معلمي اللغة العربية بهذه المقترحات ، وإيمانهم بها ، وتدريبهم عليها . وطلب إلى الوزارة وضع كتب على أساسها ، وأبدى استعداداً تاماً لمراجعة هذه الكتب وتدارك ما قد ينقصها ، وتحمل قدر من مسئولياتها . ولم تستجب الوزارة لهذه الرغبة ، برغم متابعة المجمع لها وإلحافه في السؤال عنها .

(*) أقيمت هذه الكلمة في حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

وبقي مشروع التيسير في مرقده ، ولم يبعث إلا عام ١٩٦١ إبان الوحدة بين سوريا ومصر ، ويظهر أنه بعث على عجل ، فلم تعرض كتبه على الجمعيتين ، ولم يهيا معلم اللغة العربية للاقتناع به . وربما يكون قد مسه لفحة من لفحات السياسة في جو الوحدة الذي أشرنا إليه ، وما أقسى اللفحات السياسية بوجه عام . وبذا قضى على هذا المشروع في مهده . ولكن الجمعيتين لم يغفلوه ، ومضت لجنة الأصول بمجمع القاهرة في طريقها منذ أنشئت ، محاولة تيسير ما ترى ضرورة تيسيره من قواعد اللغة وأصولها ، وانتهت في ذلك إلى قرارات يعتمد بها . وفي عام ١٩٧٦ نظم اتحاد المحام ندوة بالجزائر حول « تعليم النحو العربي » ، وأجتمعت فيها الجامعات الثلاثة القائمة حين ذاك على ضرورة هذا التيسير ، ورسمت قدرا من مخطوطه . وفي نوفمبر الماضي عقد اتحاد المحام ندوة أخرى بعمان دارت حول « تعليم اللغة في ربع القرن الأخير » ، وقدمت فيها دراسات ممتعة انصبت على معظم البلاد العربية ، وانتهت إلى توصيات تدعو إلى التوسع في إعداد معلم اللغة العربية بإعدادا علميا وفنيا يمكنه من تحقيق النهضة اللغوية المنشودة .

وطوال العامين الأخيرين وقفنا لجنة الأصول بمجمعنا معظم جهودها على مشكلة تيسير تعليم اللغة العربية على الناشئين . وانتهت إلى مشروع أقره مجلس المجمع أخيرا ، وهو الآن تحت أنظار المؤتمر .

ودون أن أدخل في تفاصيله أحب أن أشير إلى أمرين هامين : أولهما أنه جاء في حينه ، وثانيهما أنه رسم للتيسير خطوطا عملية محددة وواضحة . أقول إنه جاء في حينه ، لأن مشكلة تيسير تعليم اللغة العربية تشغل اليوم المجلس القومي للتعليم ووزارة التعليم نفسها في آن واحد ، وفي كل منهما لجنة متخصصة تقلب الموضوع على مختلف وجوهه ، وأقول أيضا إن في المشروع المعروض على المؤتمر مادة صالحة لو ضيع كتب النحو الملائمة ، وأملى كبير في أن تنمى منها اللجان المعنية الفائدة المرجوة .

سيادتي ، سادتي :

لقد قيل وبحق : « إن علم النحو أثر رائع من آثار النبل العربي لما فيه من دقة في الملاحظة ، ونشاط في جميع ما تفرق ، وهو بهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره ، وبحق للعرب أن يباهوا به » . ولا أظن أن نحوا في لغة ما ، قديمة أو حديثة ، صادف من العناية ما صادف النحو العربي ، نشأ في أخريات القرن الأول الهجري ، وبقي يندو ويتكون في القرون التالية . فعنى بحشه وتعددت مدارس ، وأفاد من الدراسات الإسلامية المعاصرة ، نقابة كانت أو عقلية . ففيه أدب ولغة ، ومنطق وفلسفة ، ولحات من مناهج الفقهاء وآراء المتكلمين . ويمكن أن يقال إن دراسة علوم العربية ، فيما بين القرنين السادس والثالث عشر للهجرة لتكاد تقتصر عليه وحده ، وكان حظ من التعلم

والتعليم فوق حفظ الدراسات الإسلامية
الأخرى . والمجتهدون حريصون دون نزاع
على حماية أصوله والاستمساك بمبادئه ،
ويشجعون ما استطاعوا كل دراسة جادة
وأصيلة تدور حوله .

بيد أن هذا النحو في سعته وعمقه إن لاعم
الخاصة ، فإنه لا يلائم العامة بحال ، وقد
انقضى زمن أرسطراطية العلم والتعلم ،
وأصبحنا نوّمن ونسعى جميعا إلى ديمقراطية
التعليم وشعبيته . وباسم هذه الديمقراطية
ندعو إلى تيسير تعليم العربية ، والوقوف عند
أضيق الحدود الممكنة فيما يقدم للناشئين من
قواعدها . وهذا هو الاتجاه السائد في تعليم
اللغات العالمية الكبرى ، ولن يحول هذا
دون أن يتوسع المختصون في دراسة النحو
العربي والتعمق فيه . واللغة نطق وتعبير ،
حديث واستعمال ، كتابة وقراءة ، ومن أحسن
ذلك قبل أن تجول بخاطره قاعدة نحوية
أو صرفية . ونحن نريد للعربية السهلة السليمة
أن تكون لغة أبناء العربية جميعا ، في البيت
والمدرسة ، في الحقل والمصنع ، في الديوان
والمكتب . فلنيسرها لهم ، ولنحبها إلى

قلوبهم ، ورب درس في القراءة والمطالعة أو في
المحفوظات والمحادثة يكون أجدى على صغار
التلاميذ من ساعات تنفق في شرح قاعدة
نحوية أو صرفية غامضة ، لا يلبث التلاميذ
أن ينسوها بعد أن عرفوها .

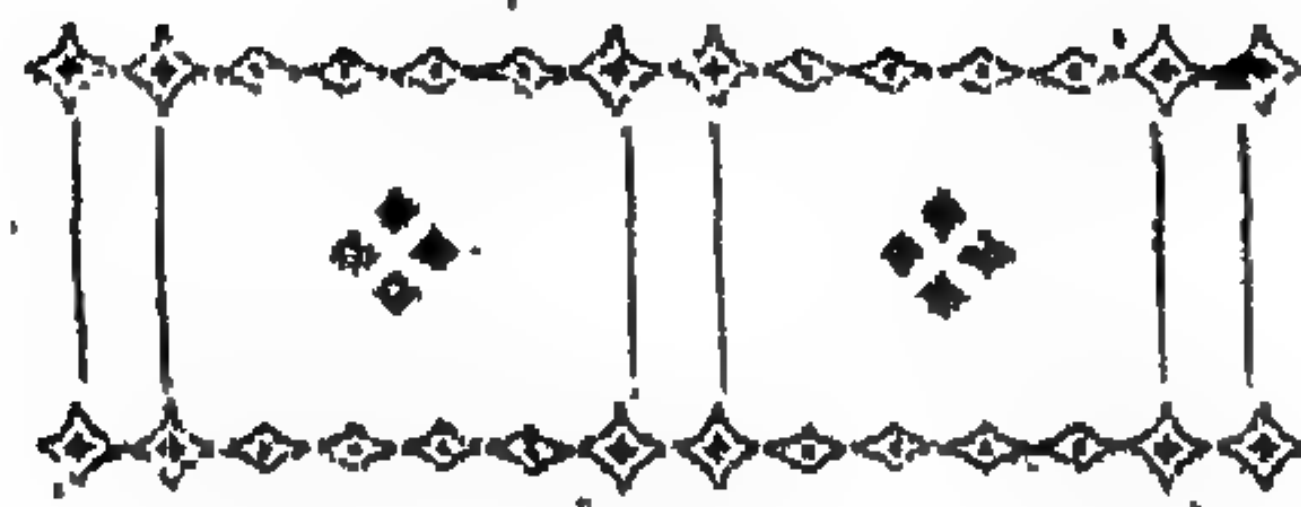
أيها السادة

هذه هي إحدى مشكلات تعليم اللغة العربية
وتيسيرها ، ونحن نريد لها أن تحتل عن
جدارة مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى ،
وهناك اتجاه ملحوظ في العالم الناهض نحو
تعليمها ، وفي تيسيرها ما يعين على نشرها ،
فسيردنا في طريقكم ، والله يوفقكم .
ولا يفوتني أن أبعث باسمكم إلى السيد الأمين
العام للجامعة العربية خالص الشكر على
تفضله بوضع هذه القاعة الفخمة تحت تصرفنا
في جلسة الافتتاح هذه ، وستكون جلساتنا
التالية في دارنا ، والكافة الآن للسيد الزميل
الدكتور مهدي علام الأمين العام للمجمع .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مذكور

رئيس المجمع



الجمعية بين مؤتمرات الدكتور مهدى عدلى الرئيس العام للجمعية

وتناقش آراء ومقترحات ، توثق أكلها كل عام قرارات وتوصيات . . تهدف إلى رفعة الفصحى ، وسيادتها في مختلف مجالات الأدب والعلم والفن .

ولا يفوتنى - قبل أن أعرض لأوجه النشاط الجمعى فى خلال عام - أن أشرك فى الترحيب بكم ، مشفوعا بالشكر لزملاء قدموا إلينا من بلادهم ، للإسهام فى مؤتمر مجتمهم بالقاهرة .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر السابق إحدى عشرة جلسة : واحدة منها علنية هى جلسة الافتتاح ، والعشر الأخرى مغلقة ، نظر فيها أعضاء المؤتمر أكثر من ألف مصطلح ، فى الفيزيقا ، والجيولوجيا ، ورجيولوجيا النفط ، والكيمياء والصيدلة ، والهيدرولوجيا ، والقانون المدنى ، والتربية وعلم النفس ، وطائفة جديدة من ألفاظ الحضارة الحديثة ، وطائفة جديدة - أيضا - من مواد المعجم الكبير (من الثاء والميم وما يثلثهما إلى آخر الحيم والطاء وما يثلثهما) . وقد أقر المؤتمر هذه المصطلحات العلمية ، والألفاظ الحضارية ، والمواد المعجمية ، إلا قليلا أقره بعد تعديل وتعديل .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد وزير التعليم والثقافة والبحث العلمى .
السيد رئيس الجمع .
السادة الزملاء أعضاء المؤتمر .
سيدائى وسائتى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد ، فإن هذا المؤتمر الجمعى الذى نعقد كل عام ، هو عكاظ العصر الحديث للغتنا العريقة ، التى تمتاز بأنها عاصرت نحو عشرين قرنا من الزمان ، وهى فى أصولها متحدة منسابة نفهم منها اليوم بمثل ما كان يفهم أهلها قديما - فيما عدا الألفاظ التى يستحدثها كل عصر .

ولا كذلك زميلاتها فى القدم كاللاتينية واليونانية ، فليس لهما صفة الحياة المستمرة التى للعربية .

وفى رحاب هذا المؤتمر يلتقى أعضاء الجمع المصريون وإخوانهم العرب ، وزملاؤهم من جهابذة الفصحى وسدنتها فى مختلف بلاد العالم ، شرقه وغربه يلتقون هنا فى القاهرة ، على مدى أسبوعين ، يعرض فى أثنائهما ما أنجزته لجان الجمع ، وأقره المجلس ، منذ المؤتمر السابق .

كما تلقى - فى المؤتمر - بحوث ودراسات ،

(*) أقيمت هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

كما أقر المؤتمر السابق من أعمال لجنة
الأصول : موضوع تتابع الأعلام ذرن
ذكر « ابن » وموضوع قياس « فعل »
مصادر كـ « الفعول » له « كفعل » اللازم .
وأقر من أعمال لجنة الألفاظ والأساليب
مايلي :

— أبدا في معنى النفي للماضي .

— القيد بمعنى التقييد .

— المديونية .

— هذا المنزل آيل للسقوط .

— يلعب الكرة .

— تراوح الشيء بين كذا وكذا .

— غش في الامتحان .

— عزف لنا .

— أدانت المحكمة فلانا ، أو حكمت المحكمة
بالإدانة .

— أمعن النظر ، وأنعم النظر .

ونظر المؤتمر من أعمال لجنة اللهجات
تقاريرها في ظاهرة الإسكان ، والإفادة من
المقطعية في تدريس العربية ، وبحثا في معنى « لغة
الضاد » ، وطائفة من المصطلحات اللغوية .

وكان حظ المؤتمر السابق من بحوث
الزملاء عظيم السخاء ، فقدم إليه خمسة عشر
بحثا أكثرها في اللغة : فصحي وعامية ،
وما بينهما من وشائج وصلات وبعض هذه
البحوث في الدراسات القرآنية ، والجغرافية
والموسوعية ، والتراجم ، والشعر الجاهلي .

وقد أنهى المؤتمر أعماله بإصدار القرارات
والتوصيات التالية :

— تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى
إليه في العالم العربي بأسره ، وسيله الحق
تزويد مكاتبنا بمراجع عربية إحدثة
وافية ، وقيام الأستاذ بواجبه قياما حقا نحو
مادته ولغته ، وتمكين الطالب من لغته
القومية ، ومن لغة أخرى أجنبية تربطه
بسير العلم وتقدمه .

— توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفني
هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض
الهيئات والأفراد يعتمد إلى إصدار معاجم
اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في
استعمال المصطلحات العربية ، لدى
المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون ،
والمؤتمر يوصي بأن يترك أمر المصطلحات
للمجامع العربية ، على أن ينسق ذلك
في إطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية
العربية .

— يأسف المؤتمر لما يبدو من تحريف في
نطق بعض الحروف ، على السنة
العاملين في الإذاعات : المسموعة
والمرئية ، لذلك يوصي المؤتمر بأن تعني
وزارات الإعلام بتدريبهم على نطق
الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ،
مستعينة في ذلك بالأساتذة المتخصصين في
هذا الميدان .

— مازال الكتاب المدرسي العربي ، في حاجة
إلى إخراج بصورة تجتذب الطلاب ،

وزارات التربية والتعليم والثقافة
والإعلام ، في العالم العربي جميعه .

أعمال المجلس واللجان :

عقد مجلس المجمع إحدى وأربعين
جلسة .

منها ثلاث علنية ، استقبل في إحداها الزميل
الجغرافي الكبير الدكتور سليمان حزين وأبن
في الجلستين الآخرين الزميلين الحلبيين :
العلامة الفقيه صاحب الفضيلة المرحوم
الشيخ علي الخفيف ، والفيلسوف الكبير
المرحوم الدكتور عثمان أمين .

أما الجلسات الأخرى التي عقدها المجلس
فقد كانت مغلقة ، جدد في إحداها انتخابه
لرئيس المجمع الدكتور إبراهيم مذكور ،
وانتخب في أخرى أربعة من الزملاء
الجلدد هم : الأستاذ الدكتور مجدى وهبة ،
وصاحب الفضيلة الشيخ أحمد هريدى ،
والأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان ،
والدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله .

كما شرف مجلس المجمع - مشكورا -
باختياري ممثلا للمجمع القاهرة - مع الدكتور
الرئيس إبراهيم مذكور - اتحاد المجامع
اللغوية العلمية ، الذى يضم مجامع :
القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، والأردن .

ونظر مجلس المجمع في جلساته المغلقة نحو
ألف وخمسمائة مصطلح ، فى الكيمياء
والصيدلة ، والطب ، والحيولوجيا ، والنفط

وتحجبه إليهم كمنظائره فى البلاد الأجنبية ،
والمؤتمر يوصى وزارات التربية والتعليم
فى العالم العربى بأن تحرص على تحقيق
ذلك فى الكتاب المدرسى كحرصها على
اختيار موضوعاته ، وضبط كلماته .

- تتقارب اللهجات المداوجة فى العالم العربى
فى العشرين سنة الماضية ، تقاربا ملحوظا
وللمدرسة والمدرس شأن فى ذلك ، ولوسائل
الإعلام من صحافة وإذاعة ومسرح
وسينما شأن أوضح . وما أجدرنا أن
نتعهد ذلك ونرعاه ، حتى يزداد
تقارب اللهجات العربية المداوجة ،
ويكون ذلك سبيلا للعمل على تضيق شقة
الاختلاف بينها وبين الفصحى ، وهو
هدف منشود .

- يشجع المؤتمر مبادئه وزارة الثقافة
والإعلام بمصر ، من إقامة أمسيات
شعرية ، لأعلام الشعراء ، ويحثها على
المضى فى هذا السبيل ، ويأمل أن
تأخذ بذلك وزارات الثقافة والإعلام
فى وطننا العربى ، ففيه إحياء لتراثنا
الشعرى لدى أبناء هذا الجيل وترغيب
لهم فيه ، فيقبلوا عليه ، ريفيدوا منه .

* * *

- تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع
اللغوية والعلمية العربية ، واتحاد المجامع
والجامعات ، وجامعة الدول العربية ،
والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،

والفيزيقا ، والنبات ، والحيوان ، والرياضة ،
والهيدرولوجيا ، والقانون التجارى ،
والتربية وعلم النفس والتاريخ وطائفة
جديدة من مصطلحات الفنون ، وكانت
خاصة بالفن السينمائى .

كما نظر المجلس قرارات لجنة الأصول ،
ولجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة اللهجات ،
وكل ما أقره مجلس المجمع من هذه
المصطلحات ، وألفاظ الحضارة الحديثة ،
وقرارات اللجان اللغوية ، قد أعد لتقدمه
إلى المؤتمر ، مع مواد جديدة أعدتها لجناتا
المعجم الكبير .

مسابقة المجمع الأدبية :

فصلت لجنة الأدب فيما قدم إليها من
بحوث فى موضوع مسابقتها فى الدورة
الجمعية السابقة ، وهو : « الدكتور محمد
كامل حسين : مفكرا وأديبا » . وفاز
بالجائزة الأولى السيد محمد الجوادى ،
ورأت اللجنة أن بحوث السادة : فكرى
الحولى ، وعبد الوهاب العفيفى ، وإميل
توفيق ، فى منزلة متقاربة ، فضمت قيمة
الجائزتين : الثانية والثالثة ، ووزع ثلثها
على كل منهم ، باعتبارها جائزة ثانية مكررة .

وقررت لجنة الأدب - بموافقة المجلس -
أن تشارك فى عام الطفولة ، الذى خصص
هذا العام فجعلت موضوع مسابقتها فى هذه
الدورة : « الطفولة فى الأدب العربى » .

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع فى هذه الدورة :

- الجزء السادس من « التكملة والذيل
والصلة » للصغاني ، وبه يكتمل هذا المعجم
اللغوى الفريد .

- القسم الأول من الجزء الرابع إديوان
الأدب للفارابى ، وهو يتضمن بقية
المادة اللغوية للكتاب . أما القسم الثانى
منه - وهو خاص بفهارسه - فتوشك
المطبعة ان تفرغ من طبعه ونشره .

- الجزء الثالث من كتاب الأفعال للسرقسطى .
- المجلد العشرين من مجموعة المصطلحات
العلمية والفنية .

- الأجزاء : السابع والثلاثين ، والثامن
والثلاثين ، والتاسع والثلاثين ، من مجلة
المجمع .

- أحاديث جمعية .
- محاضر مجلس المجمع فى الدورتين :
الثانية والأربعين والثالثة والأربعين .
- محاضر مؤتمر المجمع وبحوثه فى الدورتين
السابقتين .

ويواصل المجمع نشر محاضر جلساته وبحوثه
فى دوراته الماضية ، وقد أصدر منها
هذه الدورة محاضر الدورتين : العشرين ،
والحادية والعشرين .

صلوات المجمع الثقافية :

وأنعم بأوسمة رفيعة على رؤساء مجامع :
القاهرة ، ودمشق ، وبغداد .

سيداتي سادتي :

ما زالت جوائز الدولة التقديرية - وسوف
تظل - تُكرم المجمعين ، وتُكرم بهم ،
ويحظون بشرف الفوز بها ، وتحظى هي
بشرف الخلود مع الخالدين .

وكم يسعدنا أن ننهي زميلنا العالم الكبير
الدكتور محمود حافظ بحصوله على جائزة
الدولة التقديرية في العلوم ، عام ١٩٧٨ .

سيداتي سادتي

قبل أن أنهي كلمتي أكرر ترحيبي بكم ،
وشكري لكم ، آملا أن نلتقي في مؤتمرنا
القادم - إن شاء الله - بمن اعتذر من السادة
الزملاء ، وهم : الأستاذ على الفقيه حسن
(عضو المجمع من ليبيا) ، والأستاذ محمد
بهجة الأثري (عضو المجمع من العراق) ،
والأستاذ حمد الحاسر (عضو المجمع من
السعودية) ، والأستاذ رودلف زهايم (عضو
المجمع المراسل من ألمانيا الغربية) والدكتور
محسن مهدي (عضو المجمع المراسل من
العراق) .

ونختاما أسأل الله تعالى أن يزعي مؤتمراتنا
بترقيقه ، وأن يهيئ لنا من أمزنا رشنا .
والسلام عليكم ورحمة الله .

لا يدخر المجمع وسعا في تدعيم صلاته
الثقافية بالمجامع ، والهيئات والمنظمات
والمؤسسات التي تتصل برسائله من قريب
أو بعيد ، ويحرص على الإسهام فيما يدعى
إليه من مؤتمراتها وندواتها . وقد شرفني
مجلس المجمع باختيارى لإعداد كلمة باسمه ،
تلقى في حفل افتتاح «أكاديمية الآداب»
بباكستان ، الذي أقيم في الحادي والثلاثين
من يناير السابق .

والمجمع يتلقى بين الحين والحين عديدا
من المصطلحات والدراسات ، من هيئات
ومنظمات وباحثين ، فيحيلها على لحنه
المتخصصة ، لتنظرها ، وتعرض ماتراها فيها من
آراء على مجلس المجمع .

وللمجمع صلة وثقى باتحاد المجامع ،
وقد شارك في الندوة التي عقدها الاتحاد
بالأردن في المدة من ٣١ من أكتوبر إلى
٤ من نوفمبر في العام السابق ، وكان موضوعها :
«تعليم اللغة العربية في ربيع القرن الأخير» .
ومثل المجمع في هذه الندوة رئيسه ورئيس
اتحاد المجامع الدكتور إبراهيم مذكور ،
وكان لي شرف تمثيل المجمع معه في هذه
الندوة . ولا يفوتني أن أنوه بأن الملك
حسين - ملك الأردن - قد تفضل برعاية
الندوة ، وألقى كلمة في حفل افتتاحها ،

كلمة الأعضاء العرب للكتور محمد فروخ عضو المجمع من لبنان

في كل عام يلتقى على مثل هذا المنبر مثل هذا الخطاب الذى يدور حول اللغة العربية؛ لأنه يلتقى بإذن مجمع اللغة العربية، فهل فى اللغة العربية مجال واسع لموضوع فى كل عام إلى ما شاء الله من امتداد سلسلة الزمن ؟ أجل إن للغة العربية فى أقطارها المختلفة مثل هذا المجال الرحب لموضوعات لا تنتهى ، ذلك لأن الأحوال المحيطة باللغة العربية خاصة - تزودنا دائماً بموضوعات جديدة فى كل عام. والموضوع الذى تركته ورأى ثائراً فى بيروت هو الموضوع الذى فتحت صدرها له جريدة « النهار » تجربة الكتابة باللغة العامية عملياً (فى اليوم بعد اليوم) تنشر جريدة « النهار » البيروتية مقالاً أو مقالين طويلين أو قصيرين فى تقرير تفصيلي للوجهة العامية أو فى تجربة موضوع من القصص أو الوصف أو البحث فى لهجة عامية .

والذى حملنى على أن أنقل هذا الموضوع من بيروت إلى القاهرة أن هذا الموضوع قد أثر فى زمن باكر . فى القاهرة وقد قيل لى إن جريدة قاهرية قد فعلت منذ أمس يسير ما تفعله جريدة « النهار » البيروتية اليوم . ما أشبه الليلة

بالبارحة ، وما أقرب الشر من الشر ! هاتان حجتان وجهتان جداً يتمسك بهما دعاة العامية عندنا فى لبنان ، ذلك لأن مصر كانت منذ صدر الإسلام - برغم تقلب الدول والأحوال - منارة يهتدى بها المسلمون فى جميع أقطارهم وهم بذلك على حق .

إن الخير الذى يهمنى على مصر تنال منه البلاد الإسلامية كلها ، وإن الشر الذى يصيب مصر يشقى به المسلمون فى جميع أقطارهم . ولا شك فى أن مصر كانت وما تزال تعنى أثر هذه المكانة فى أحداث الشرق كله . وإذا كان الله قد أنعم على مصر بهذه النعمة العظيمة فشكر الله على هذه النعمة هو المحافظة عليها . واللغة العربية تنطوى فى هذه النعمة الجلية على مصر .

إن هذه المقدمة التى ترون أنها طالت تنقلنى إلى بلاد بعيدة جداً : إلى الدنمارك واسوج ونرويج وايسلندة . كانت هذه البلاد مملكة واحدة ، وبلاداً يحكمها حاكم واحد؛ لأنها كانت تكتب لغة واحدة وإن كانت تتكلم لهجات لاعداد لها .

(*) ألقيت هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

وبالأمس القريب كان أوسكار الثاني ملك
اسوج ونروج ، ثم لما كتب النرويجيون
لهمجتهم المحلية آثروا أن تكون لهم دولة خاصة
بهم ، وأثار أحد أدبائهم مشكلة غريبة فقال :
إن بلاد النروج لا تدعى « نورغه » كما
كان مألوفاً في لغتهم الجامعية بل « نورنخ »
فما أشقى قوما لا يعرفون اسم بلدهم .

وحيثما نقول كلاماً من الحجاز المرسل .
ليست كل وزارة مسئولة عن اللغة العربية
وليست كل مؤسسة مسئولة عن الحفاظ
على هذه اللغة ، وإن كان ينتظر من كل وزارة
ومن كل مؤسسة أن تقوم بقسط من ذلك
يزيد وينقص بين كل وزارة وأختها ، وبين
كل مؤسسة ونظيرتها ، وغنى عن البيان
أن نقول إن ثقل هذا العبء ماثى على عاتق
وزارات التعليم وعلى عاتق مجمع اللغة العربية .

ركان دعاة التجديد يزعمون أن الذين
يريدون الحفاظ على اللغة العربية الفصحى
لا يسايرون الزمن ، ولا يدركون حاجة
الناس إلى الحديد من القول وإلى الحديث
من الحديث .

غير أن هذا الحكم ظالم فاشل وغافل
أو جاهل . إن مجامع العربية وإن مراكز
التعريب في البلاد العربية قد وضعت
مئات الألوف من الألفاظ الجديدة في
قوائم مفصلة ، أو في قواميس قد طبعت
ثم نشرت على الناس لمعظم نواحي الحياة

العلمية والعملية ، في الرياضيات والكيمياء وفي
علم الحياة وعلم الطب ، في الفلسفة وعلم النفس
وفي الحياة الحضارية من المنزل إلى المتجر
إلى مجالس السمر ونخزائن الثياب . وأنا
واثق من أن مجمع اللغة العربية يسره أن
يرى عالماً أو أدبياً يضع لفظاً شائعاً أو
مصطلحاً موافقاً في كل موضوع يعرض
في أحاديث أبناء هذه اللغة الشريفة وفي
تدوين آرائهم وبحوثهم .

إن كلمة الخبر والمقابلة في الرياضيات ،
وإن كلمة الانكسار والانعطاف في
علم الضوء من الفيزياء أو الطبيعية ، وإن
كلمات الاستحسان والاستدلال والمصالح
المرسلة في الفقه ، وإن كلمة المزاج أو
الوباء أو قارورة الماء في الطب ، وإن كلمة
جريدة وكلمة مجلة في الصحافة ، لم تضعها
مجامع علمية أو لغوية ، ولكن وضعها
أفراد قد أصابوا في وضعها وأحسنوا ؛
فلاقت رواجاً واسعاً . وكذلك لا تساء
المجامع العلمية إذا عرب أحد الناس لفظاً
أو مصطلحاً ؛ فالذى نقل لفظ بولك الأشرى
إلى لفظة « فلك » أو لفظة « اندازه »
الفارسية إلى كلمة « هندسة » والذي
ترك كلمة « جغرافية » على لفظها اليوناني
ولفظة دينار على لفظها اللاتيني
لم يغضبوا مجامع اللغة العربية ؛ ذلك لأن

اللغة لا توثني من قبل الألفاظ ولكن من قبل التراكيب .

إن الذي جعل اللغات الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية مختلفة عن اللغة اللاتينية ، ثم جعل بعضها مختلفا عن بعض لم يكن الألفاظ ، فإن ثلاثة أرباع الألفاظ في هذه اللغات واحدة . ولكن الذي صنع الاختلاف في هذه اللغات هو التركيب

المختلف بينها وقواعد التصريف . وإن أربعين من المئة من الكلمات الإسبانية والبرتغالية - أو قريبا من ذلك - يرجع بأصله إلى اللغة العربية . ومع ذلك فقد ظلت الإسبانية إسبانية ، والبرتغالية برتغالية ، ولم تصبح إحداهما عربية . وفي اللغة الإنكليزية نحو أربعمئة كلمة من العربية ، ومع ذلك

فما زالت اللغة الإنكليزية إنكليزية . وحينما نقول « أعضاء محترمان مجلس ملي ايران » أو « أعضاء محترمان مجلس » لا نحكم على تينك الجملةين بأنهما غير عربيتين بألفاظهما فإن ألفاظهما كلها عربية . ولكننا نقول إن الأولى فارسية والثانية تركية لأن التركيب وقواعد التصريف فيهما (صيغة الجمع مثلا) غير عربية . ونشأ في الشعر الفارسي وفي الأدب التركي فن اسمه الملامع يورد شاعره في قصيدته أحيانا أشطرا عربية أو أبياتا عربية تامة . ومع ذلك تظل قصيدته فارسية أو تركية

وتكون الأبيات العربية فيها دخيلة .

أما الهجمة على اللغة العربية فإنها قديمة جدا وهي في حقيقتها جانب من هجمة عامة على الإسلام ديننا وسياسة وتشريعنا . وأشد عناصر هذه الهجمة أن الأعداء يقعون بين الحين والحين على عربي يقبل أن يكون ستارا - عن غفلة منه أو عن وعي - يقاتلون من ورائه .

وقد يتفق أن تضعف دولة إسلامية فينقلون ميدان المعركة إليها . وقد تقوى الدول كلها فتفتقر هذه الهجمة قليلا أو كثيرا . غير أن التبسط هنا ينتقلنا إلى الحقل السياسي ، ومجمع اللغة العربية مؤسسة تشريعية لا مؤسسة تنفيذية ، فالسلطة التنفيذية وحدها هي السلطة التنفيذية .

بقي لي من الجانب العلمي في الموضوع كلمة هي أن أسلوب تعليم اللغة العربية اليوم مسئول إلى حد كبير عن ضعف اللغة العربية على ألسنة قومنا ، وعلى أعلام قومنا . إن اللغة العربية لغة هجائية يلفظ كل حرف فيها لفظا واحدا حيثما وقع في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المختلفة ، ولكن نفرا كثيرين من المدرسين ينتهجون في تدريس اللغة العربية سبيل الطريقة الصوتية أو سبيل الطريقة الحملية وهذا خطأ على اللغة العربية أحبت أن أشير إليه هنا ، ولا أريد التبسط فيه ؛ لأن التبسط فيه خارج عن حدود هذه المناسبة .

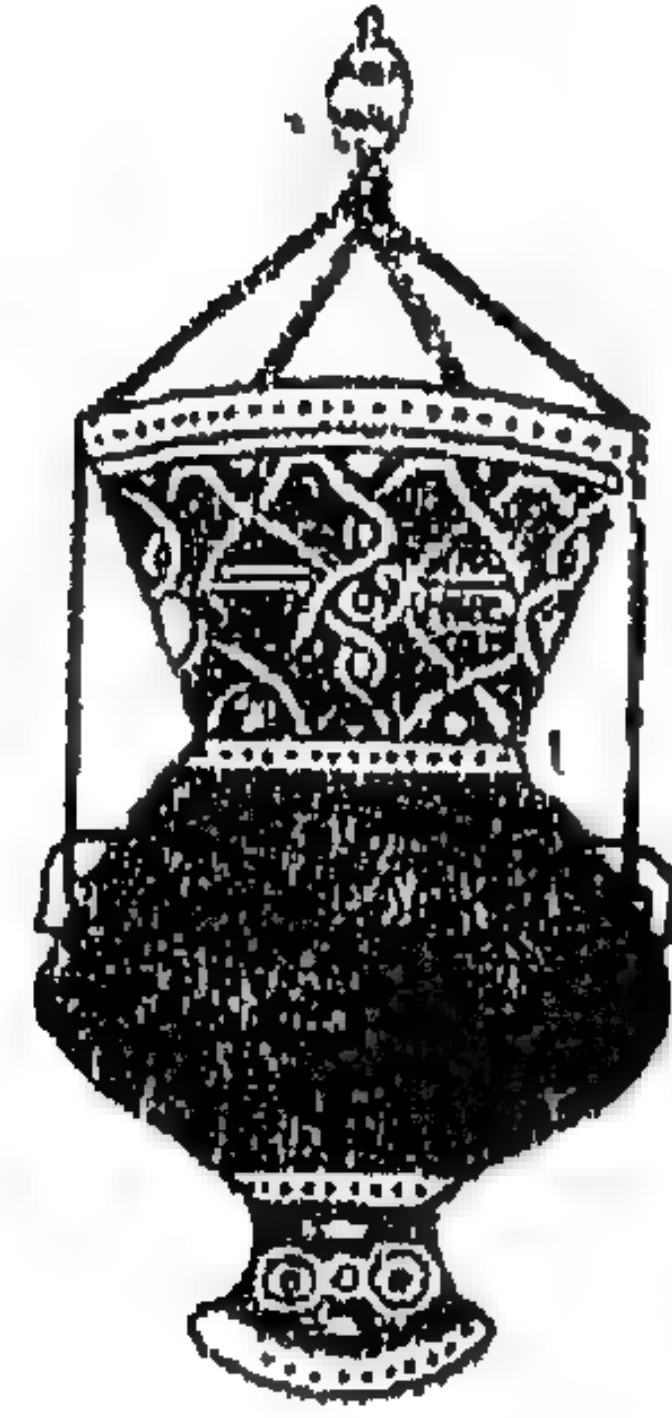
أيها الزملاء والإخوان :

نحن مطهّشون إلى مناعة اللغة العربية
فهى لغة تكثّر فيها عناصر الحياة . إن القرآن
الكريم قد صنع للغة العربية في سنة البقاء
وسلم القوة ونطاق الانتشار ما لم تستطع
التوراة ولا استطاع الإنجيل ، أن يصنعها للغة
العبرية واللغة الكلدانية واللغة الآرامية ، ولا
لغة اليونانية أو اللغة اللاتينية . رفى أيا منا
هذه استطاعت وسائل الإعلام من الصحافة
والراديو والتلفزيون أن تصنع للغة العربية
وللثقافة الإسلامية في مجال الانتشار والثبات

فوق ما استطاعت المطبعة في القرن السادس
عشر أن تصنع في سبيل انتشار المذهب
البروتستنتي ، برغم مفارقة غريبة عجيبة أريد
أن أسمها هنا مسارفاً خفيفاً فقط ، هي أن
المحطات الأجنبية للراديو والتلفزيون تذيع
برامجها العربية بلغة عربية أصح من لغة
الكثيرين من مذييعينا في البلاد العربية نفسها .
أليس في ذلك عبرة لأولى الألباب ؟ والسلام
عليكم .

عمر فروخ

عضو المجمع سن لبنان





محلى رسول الله

للكفور حسن ابراهيم

ما ذُبْتُ مُشَوِّقاً لِحَيْرَانِ بِذِي سَلَمٍ
 وَمَا أَبَحْتُ لِرِيمِ الْقَاعِ سَفَكَ دَمِي
 وَمَا سَعَادُ إِذَا بَانَتْ بِمُتَبَسِّلَةٍ
 إِنِّي اتَّجَهْتُ بِقَلْبِي نَحْوَ بَارِيهِ
 وَسَيِّدِي الْمُصْطَفَى أَرْجُو شِفَاعَتَهُ
 إِنْ الْمَشِيبَ عَلَانِي فَاتَّعَظْتُ بِهِ
 مُحَمَّدٌ عَرَكَ الدُّنْيَا بِمَا حَفَلَتْ
 جَاءَ الْحَيَاةَ [أَيْتِيماً] قَبْلَ مَوْلِدِهِ
 فَعَاشَ مَعَ جَدِّهِ حِيناً وَفِي كَتَفِ
 وَحِينَ شَبَّ رَعَى لِلْقَوْمِ شَاتَهُمْ
 وَسَارَ بِالْعِيرِ وَالْأَمْوَالِ مُتَجَرِّراً
 وَهُوَ الْمُصَدِّقُ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ
 وَصَارَ يَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ فَلَيْدُهُمْ
 أَيْنَحَبْتُ النَّاسَ مِنْ أَحْجَارِهِمْ صَنَماً
 وَكَيْفَ يَحْكُمُ صُلْدٌ لَا جَنَانَ لَهُ
 وَكَيْفَ يَخْلُقُ هَذَا الْمَسْخُ مَقْتَدِراً
 وَلَا أَرَقْتُ لِذِكْرِ الْبَسَانِ وَالْعَلَمِ
 فِي الْأَشْهُرِ الْحِلِّ أَوْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
 مِنِّي الْفَوَادُ فَإِنَّ الْقَلْبَ فِي شَبَمِ
 مِنْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ حَتَّى غَيْبِ الظُّلَمِ
 وَهَسَوَ الشَّفِيعُ لَنَا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ
 وَكَمْ أَرَقْتُ لَوْزَرِي عِبْرَةَ الذَّنَمِ
 مِنْ الشَّقَاوَةِ وَالنُّعْمَى وَمِنْ غَمَمِ
 وَفِي الطَّفُولَةِ عَانِي شِقْوَةَ اللَّطَمِ
 لَعَمَّهِ وَالْعُرَى مَوْصُولَةَ الرَّجَمِ
 كُلُّ النَّبِيِّينَ قَدْ هَشُّوا عَلَى الْغَنَمِ
 وَهَسَوَ الْأَمِينُ عَلَى قَوْمٍ وَمَالِهِمْ
 فَصَارَ يُكْنَى أَمِيناً وَهُوَ خَيْرُ سَمِي
 تَوَارَثُوهُ عَنِ الْآبَاءِ مِنْ قِدَمِ
 وَيَسْجُدُونَ خُشُوعاً خَشْيَةً الصَّنَمِ
 مَسِيرَةَ الْكَوْنِ وَالْأَجْرَامِ وَالسُّلَمِ
 إِنْسَاءً وَقَدْ خَلَقْتُهُ الْإِنْسَ بِالْقَدَمِ

(*) أَلْقَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي الْجُلُوسَةِ الثَّانِيَةِ لِمَوْتَمِرِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الدُّورَةِ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ (الْثَلَاثَاءُ ٣٠) مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٣٩٠ هـ ، الْمُوَافَقِ ٢٤ مِنْ فَبْرَايِرِ سَنَةِ ١٩٧٩ م .

فَمَا تَعَبَّدُ فِي يَوْمٍ إِلَى وَثْنٍ
 بَلْ رَاحَ لِلْغَارِ يَصْفُو فِي تَأْمَلِهِ
 تَأْمَلُ الْفَجْرَ يَبْدُو وَالْحَيَاةَ مَعًا
 وَتُشْرِقُ الشَّمْسُ لِلْأَحْيَاءِ جَالِبَةً
 وَهَذِهِ الشَّمْسُ مَنْ أَرَسَى^١ دَعَائِمَهَا
 مَنْ خَالَقَ الرُّوحَ وَالْإِنْسَانَ هَلْ خُلِقَا
 جَاءَ الْجَوَابُ بِجُنْحِ اللَّيْلِ فَاخْتَلَجَتْ
 جَبْرِيلُ فِي الْغَارِ قَالَ اقْرَأْ مُدَوِّيَةً
 فَغَطَّاهُ شَمٌ قَالَ اقْرَأْ فَرَدَّدَهَا
 وَأَصْبَحَ الْهَدْيُ يَسْرِي كُلَّ نَاحِيَةٍ
 أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
 الْوَاحِدُ الْفَرْدُ عَالٍ لَا شَرِيكَ لَهُ
 تَرَدَّدَ الْوَحْيُ بِالْآيَاتِ مُنْزَلَةً
 جَاءَ الْكِتَابُ عَجِيبًا فِي بِلَاغَتِهِ
 فَمَا اسْتَطَاعَ مَحَاكَاةَ لِسَانِهِ أَحَدٌ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ يُرِيكَ الْعِلْمَ آيَتُهُ
 فِيهِ الْهَدَايَةُ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 ذِكْرُ السَّعِيرِ تَهَابُ النَّفْسُ صَوْرَتَهُ
 بِهِ الرُّوَائِعُ مِنْ وَعْظٍ وَمِنْ قَصَصٍ
 وَصَارَ يَدْعُو قَرِيشًا لِلْهُدَى فَابْتَرَأَ
 غَشَاوَةَ الْعَيْنِ قَدْ تَشَفَّى وَإِنْ عَمِيَ

وَلَمْ يُشَارِكْ بِقُرْبَانٍ وَلَمْ يَهْمِ
 وَكَمْ تَغَيَّبَ نَجْمٌ وَهُوَ لَمْ يَنْمِ
 وَكَيْفَ تَحْيَا مَوَاتُ الْأَرْضِ بِاللَّيْلِ
 دِفءُ الْحَيَاةِ وَيَسْرِي الْبَدْرُ فِي الْغَسَمِ
 فَزَاحَمَتْ شُهَبَ الْأَفْلَاقِ مِنْ شَمْسٍ
 سُدَى وَمَا ذَا وَرَاءَ الْمَوْتِ مِنْ حِكْمِ
 لَهُ الْغُرُوشُ وَكَانَ الْفَجْرُ لِلْأُمَمِ
 فَقَالَ كَيْفَ وَمَا عَلَّمْتُ بِالْقَلَمِ
 فَكَانَ أَوَّلَ تَنْزِيلٍ مِنَ الْكَلِمِ
 كَالنُّورِ فِي اللَّيْلِ أَوْ كَالْبَرْءِ فِي السَّقَمِ
 وَفَاطَرَ الْكُونِ وَالدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
 فِي الْخُلْدِ وَالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْقِدَمِ
 فَسَطَّرَتْ كَنْظِيمَ الدُّرِّ وَالتُّسُومِ
 وَمَا حَوَاهُ مِنَ الثَّقَنِينَ وَالنُّظُمِ
 فَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَانِ إِثْرَ مُنْفَجِحِ
 فَالْيَوْمَ يُكْشَفُ مَا قَدْ غَابَ عَنْ فَهْمِ
 فِيهِ الطَّرِيقُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعِصَمِ
 أَمَّا الْجِنَانُ فَمَشْوَى كُلِّ مُلْتَزِمِ
 فِيهِ التَّأْمَلُ فِي سَبْعِ وَخَلْقِهِمْ
 وَقَابِلُوهُ بِهَجْرِ الْقَوْلِ وَالصِّمَمِ
 يَغْشَى الْقُلُوبَ لَدَاءٌ غَيْرُ مُنْجِمِ

فَقِلَّةٌ آمَنَتْ وَالْجُلُّ قَدْ جَنَحُوا
سَرِيتَ فِي اللَّيْلِ تَطْوِي الْبَيْدَ مَرْتَحِلًا
حَتَّى نَزَلْتَ بَيْتَ الْقُدْسِ فَاجْتَمَعَتْ
ثُمَّ ارْتَفَعْتَ لِعَرْشٍ لَا يُقَارِبُهُ
وَقَدْ تَجَلَّى لَكَ الرَّحْمَنُ وَانْبَلَجَتْ
وَعُدْتَ تَدْعُو فَرَادُوا مِنْ عَدَاوَتِهِمْ
وَصُدُّوا مِنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
فَهَاجَرَ الْقَوْمُ تَتَرَى مِنْ دِيَارِهِمْ
مَاتَتْ خَدِيجَةُ وَالْأَعْمَامُ وَارْتَحَلُوا
وَلَمْ يَعُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
فَدَبَرُوا قَتْلَهُ لَيْلًا بِزُمَرَتِهِمْ
حَلَّ السُّبَاتُ بِهِمْ جَمْعًا فَلَمْ يَرَهُ
فِي الْغَارِ حَلَّ مَعَ الصَّدِيقِ مُخْتَبِئًا
فِي مَدْخَلِ الْغَارِ خَاطَ الْعَنْكَبُوتُ شَعًا
أَعْمَى إِلَهُ قُرَيْشًا عِنْدَ مَدْخَلِهِ
وَأَوْبُوا لِيُعِيدُوا عَنْهُ بَحْثَهُمْ
سَارَ الرَّسُولُ مَعَ الصَّدِيقِ مَرْتَحِلًا
وَفِي قُبَاءِ أَنْاخَ الرَّحْلُ بَعْدَ ضُنًى
وَحَطَّ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ مَسْجِدَهَا
وَفِي الْمَدِينَةِ أَرَسَى أَضْلَ مَسْجِدِهِ
هَوَتْ قُلُوبٌ إِلَى الْإِسْلَامِ وَانْدَفَعَتْ

إِلَى الْعَدَاءِ وَإِذَا وَمُصْطَلَمٍ
بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا بِالْأَيْدِيقِ الرَّسْمِ
مِنْ حَوْلِكَ الرُّسُلُ مِنْ خَاشٍ وَمُؤْتَمِرٍ
إِلَّا مُحَمَّدٌ دُونَ الْخَلْقِ كَدِّهِمْ
مِنْ نُورِهِ سُنَنُ الْإِسْلَامِ وَالذَّمُّ
بِالضَّرْبِ وَالرَّجْمِ وَالتَّجْوِيعِ وَالْوَصْمِ
وَأَوْعَدُوهُمْ بِتَشْرِيدٍ وَسَفْكِ دَمٍ
يَبْغُونَ يَثْرِبَ فِي مَأْوَى وَمُعْتَصِمٍ
وَأَوْحَشَتْ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
يُجِيرُهُ مِنْ عُتَاةِ الْكُفْرِ وَالنَّقَمِ
فَلَا يَكُونُ لَهُ ثَارٌ لِمُنْتَقِمٍ
عِنْدَ الْخُرُوجِ عُمَاةُ الْقَلْبِ وَالْفَهَمِ
وَلَا حَقْوُهُ بَبِيضِ الْهَنْدِ وَالذُّهَمِ
وَحَطَّتِ الْوُرُقُ فِي وَكْرِ وَلَمْ تَجِمِ
وَأَيَقَنُوا أَنَّهُ خَاوٍ مِنَ النَّسَمِ
فِي كُلِّ فَجٍّ وَفِي الْوُدْيَانِ وَالْقِمَمِ
نَحَوَ الْمَدِينَةِ وَالْأَجَوَاءِ فِي ضَرَمِ
وَقُوبِلَ الرُّكْبُ بِالتَّهْلِيلِ وَالنَّعَمِ
فَكَانَ أَوَّلَ مَا يُبْنَى لِمُؤْتَمِرٍ
وَصَارَ يَدْعُو لِرَبِّ الْكَوْنِ وَالْأُمَمِ
لِطَاعَةِ اللَّهِ فِي حَشْدٍ وَمُزْدَحَمِ

وَحِينَ أَنْ أَذَى قَوْمٍ بِمَا كَفَرُوا
هَبُوا لِحَرْبِ قُرَيْشٍ فِي تِجَارَتِهَا
فِي يَوْمِ بَدْرٍ أَهَابَ الْكُفْرُ فَاجْتَمَعُوا
وَقَالَ عَاقِلُهُمْ لَا حَرْبَ فَاتَّيَدُوا
فَلَمْ يُعِزَّهُ أَبُو جَهْلٍ وَزُمَرُتُوسُهُ
أَلْفًا بِفِرْسَانِهِمْ وَالْخَيْلُ مُسْرَجَةٌ
وَالْمُسْلِمُونَ بِبَدْرٍ قَلَّةٌ كَثُرَتْ
وَأَرْسَلَ اللَّهُ أَلْفًا مِنْ مَلَائِكِهِ
فَحَاقَ بِالْكُفْرِ كُلِّ الْخِزْيِ إِذْ دَجَرُوا
وَصَارَتِ الْعُرْبُ تَرَوِي عَنْ هَزِيمَتِهِمْ
فَهَلْ تَأْمَلُ أَهْلُ الشُّرْكِ وَاتَّعَظُوا
إِنَّ الْأَفَاعِيَ قَدْ تَنَدَّسَ قَاتِلَةٌ
فَبَعْدَ حَوْلٍ أَعَادُوا جَمْعَ شَمْلِهِمْ
وَكُلُّهُمْ تَقْوِيضُ دَعْوَةٍ مَنْ
وَفِي الْمَدِينَةِ هَبَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى
سَارُوا إِلَى أَحَدٍ أَمَا الرُّمَاهُ فَقَدْ
دَرَجًا لَخَالِدٍ وَالْفِرْسَانِ إِنْ هَجَمُوا
مُحَمَّدٌ قَالَ لَا تُخَلُّوا أَمَا كِنَكُمْ
وَطَاعَةُ الرُّسُلِ مِثْلُ اللَّهِ وَاجِبَةٌ
سَبْعُونَ مِنْ أَهْلِهِمْ فِي الدِّينِ قَدْ قَاتِلُوا
لَا رَحَى الْحَرْبِ قَدْ دَارَتْ لِصَالِحِهِمْ

دَعَا الرَّسُولُ إِلَى بَدْرٍ لِمُنْتَقِمٍ
فَأَفْلَتَتْ عِيْرُهُمْ مِنْ غَيْرِ مُلْتَحِمٍ
مِنْ كُلِّ شَاكٍ بِخَطِيٍّ وَكُلِّ كَمِيٍّ
إِنْ اللَّطِيْمَةَ قَدْ مَرَّتْ وَلَمْ نُضْمِ
أُذُنًا وَشَدُّوا إِلَى بَدْرٍ بِجَمْعِهِمْ
وَالْقَلْبُ فِي ضَرْمٍ بِالْشَّرِّ مُتَّسِمٍ
بِنُصْرَةِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْهَيْمِ
يَقَاتِلُونَ خَفَاءَ وَالْوُطَيْسُ حَمٍ
وَفَرَّقُوا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمُنْهَزِمٍ
وَصَارَ أَمْرُهُمْ هُزُؤًا بِكُلِّ فَمٍ
وَهَلْ تَخَلَّتْ نَفُوسُ الشَّرِّ عَنْ سَدَمٍ
طَيَّ الْجَحُورِ إِذَا لَمْ تُؤَذَّ بِالْثَرَمِ
يَبْغُونَ يَشْرِبُ وَالْأَرْوَاحُ فِي حَلَمٍ
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ
صَدَّ الْبَلِيَّةِ بِالْخَطِيٍّ وَالْخُسْدِ
حَلُّوا بِتَلٍّ مَنِيعٍ غَيْرِ مُقْتَحِمٍ
وَالسَّهْمُ يَدْرَأُ بِأَسِّ الْفَارِسِ الْقَرَمِ
وَابْتَقُوا عَلَى التَّلِّ حَتَّى لَوْ أَرِيقَ دَمِي
لَمَّا عَصُوا كَانَ دَرْسًا بِالْغِ الْأَلَمِ
حَتَّى الرَّسُولُ قَلَمَ يَسْلُمُ مِنَ الثَّلَمِ
وَأَذْبَرَ الشُّرْكَ تَحْتَ الصَّارِمِ الْغَلَمِ

وقد تناثر فوق الأرض زادهم
فكر خالد بالفرسان فاجأهم
رمات حمزة في أوج الوغى ومضى
ما شاء ربك للإسلام منتكساً
تحصنوا بسفوح الطود فامتنعوا
وحلّ يأس وإرهاق بمن كفرُوا
آبت قريش بغيط كاذ يقاتلها
واستنفروا العرب أدناهم وقاصيهم
جاؤوا ويشرب في قر وفي سغب
فصلدّهم خندق عن نيل بغيتهم
سلمان خطّ فهب المسلمون مع
قام الرسول مع الأتباع معتمراً
وتم إبرام صلح في حليبية
إلا الرسول جلاً المولى بصيرته
وبعد حول أتموا فرض عمرتهم
سعى لخيبّر لما أن تكشّف ما
قد جاء خيبّر لا حصن ليحصمه
رمى به الله فانهارت معاقليهم
الغدر شيمة أهل الكفر مذ وجّدوا
أردوا خزاعة غدرًا رغم حلفهم
هب الرسول بجيش جحفل ليجب

فاتوا أماكنهم مبعاة مقتسم
والمشركون أعادوا جمع صفهم
من ضربة الغدر لا من لهدم بهم
فالمسلمون غدّوا كالأسد في الأجم
على العدو وأردّوا كل مقتحم
فأدبروا ونجا الإسلام من قحمر
فما بنوه لهدم الدين لم يقم
فاستنفر الجبل في مد وفي دعم
في كثرة لو دنت أدت لمختم
فأوبوا بعد شهر دون مقتنم
نبي للحرر رغم الجوع والحزم
فأوقفتهم قريش دون قصديهم
فضج صخب وما أخفوا من البرم
فكان يبصر فتح البيت من أمر
وقد خلّت مكة من كل ذي نسّم
قد بيّتوه لغزو شامل عرم
وقابلوه بشم العصم وأطمم
وشردوا في وهاد الأرض والأكم
والغدر أسوأ ما في النفس من شيم
مع النبي فخانوا نص عهدهم
لفتح مكة فتحاً غير منصم

فُلُّ السِّلَاحُ وما اسطاعُوا مقاوِمَةً
ما جاءَ مَكَّةَ تَنكِيلًا مِن كَفَرُوا
مُغْتَالُ حَمَزَةٍ غَدْرًا نَالَ مَغْفِرَةً
حَتَّى الْغَرِيمُ أَبُو سَفِيَّانَ كَرَّمَهُ
وَهَشَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْبَيْتِ مِنْ وَثْنٍ
بِلَالُ أَذَنَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَقَدْ
وَأَسْلَمْتُ مَكَّةَ وَالْمُسْلِمُونَ غَدَوْا
أَنْتَ حَشَوْدٌ إِلَى الْإِسْلَامِ مَائِلَةٌ
فَكَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالْقَنَا دُجِرُوا
حَجَّ الرُّسُولُ مَعَ الْأَتْبَاعِ حَاجَتَهُ
وَكَيْفَ تَذْمَعُ عَيْنٌ بَعْدَ أَنْ بَصُرَتْ
وَحَلَّ يَشْرَبُ وَالْإِسْلَامُ مُزْدَهَرٌ
وَفِي تَبُوكَ جَرَى الرُّومَانُ فِي هَلَعٍ
كُلُّ إِلَى اللَّهِ مَاضٍ فِي مَسِيرَتِهِ
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا بَقَاءُ إِنَّهُ بَشَرٌ
لَاقَى الْإِلَهَ وَقَدْ أَدَّى رِسَالَتَهُ
إِنْ جِئْتَ مَكَّةَ يَمُمٌ نَحْوَ كَعْبَتِهَا
يَكْفِيكَ أَنَّ أَبَا إِسْمَاعِيلَ شَيْدَهَا
وُطِفَ بِسَاحَتِهَا لِلَّهِ مُبْتَهِلًا
وَإِخْشَاعَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَبْلَهُ
وَفِي الْمَدِينَةِ زُرَّ قَبْرَ الرُّسُولِ وَلَا
هَذَاكَ مَنْ فِي الشَّرِّ نَهْجًا وَمَوْعِظَةً
وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ رِضْوَانًا وَمَغْفِرَةً
سَبَّأْتُكَ لَعَفَهُ رَبِّي إِنِّي بَشَرٌ

مَنْ ذَا يُقَاوِمُ زَحْفَ الْفَجْرِ فِي الظُّلَمِ
بَلْ جَاءَ لِلْهُدَى وَالْغُفْرَانِ وَالْحَرَمِ
وَهِنْدُ آكَلَةُ الْأَكْبَادِ لَمْ تُسَمَّ
وَصَارَ مَنْزِلُهُ فِي الْأَمْنِ كَالْحَرَمِ
فَالْبَيْتُ لِلَّهِ لَا لِلْمَسْخِ وَالْقَدَمِ
أَمَّ الصَّلَاةَ رَسُولُ الْخَيْرِ وَالرُّحْمِ
يَا الدِّينَ أُخُوَّةَ أَهْلِ الدِّينِ وَاللَّحْمِ
إِلَّا هَوَازَنَ لَمْ تَمُثَلْ وَلَمْ تَرُمْ
رَغْمَ الْكَمَائِنِ مِنْ أَمْوَاجِ مُلْتَطِمِ
كَانَتْ وَدَاعًا بِلَا دَمْعٍ وَلَا أَلَمِ
بِالْهُدَى يَطْغَى مَكَانَ الْكُفْرِ وَالْعُدْمِ
فَوْقَ الْجَزِيرَةِ وَالْإِيمَانِ فِي عَمَمِ
قَبْلَ الْإِلْقَاءِ وَصَارَ الْبَهْمُ كَالْبُهْمِ
وَالْمَوْتُ غَايَةً مَنْ يَسْعَى عَلَى قَدَمِ
مَنْ قَبْلَهُ الرُّسُلُ قَدْ عَادُوا لِرَبِّهِمْ
وَقَامَ لِلدِّينِ صَرْحٌ غَيْرُ مُنْهَدِمِ
وَكَعْبَةُ النَّاسِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
وَفَجَّرَ اللَّهُ فِيهَا وَرَدَ كُلُّ ظَمَى
سَبْعًا وَهَلَّلَ لِذَاكَ الرُّكْنَ وَالْتَمِمْ
لِنَاِنْ لَثَمْتَ فِذَا مِنْ وَارِفِ النِّعَمِ
تَمَسَّكَ السَّمْعُ مِنْ هَامٍ وَمُنْسَجَمِ
وَقَالَ هَذَا طَرِيقُ الْحَقِّ فَاسْتَقِمْ
إِنَّ الْخَطَايَا لَدَى الرَّحْمَنِ كَاللَّمَمِ
جَمِ الذُّنُوبِ وَأَنْتَ الْوَاسِعُ الْكَرَمِ

حسن علي إبراهيم
عضو المجمع

فجر الإعلام في اللغة العربية

للدكتور عمر فرُّوخ

الإعلام

تسمية حديثة مخاطبة
للمدرك قديم صحيح :

احتاج البشر منذ أقدم الأزمنة إلى أن ينقلوا عدداً من المعارف إلى مجموع معين من الناس فاستخدموا في سبيل ذلك عدداً من الوسائل والوسائط . . وكانت اللغة أبرز تلك الوسائل وأبعدها أثراً : وقل ما عرف البشر وسيلة مادية لنقل المعرفة بين طبقات البشر عبر التاريخ الطويل كهزم خوفو : ولكنتنا الآن في صدد نقل جوانب من المعرفة من طريق اللغة :

١- **الأعلام : خطأ التسمية وتعريف مدركها**
إن كلمة « إعلام » تفسير لكلمة فرنجية Information ، وهي بدورها كلمة غامضة تستعمل مفردة في اللغة الإنجليزية وتدل على الجمع أيضاً ، كالكلمة القريبة منها News ، والمصوغة في الجمع ، ولكنها تدل على المفرد أيضاً ٥

وما يسمى بالإعلام في اللغة العربية غامض أيضاً كغموض الكلمة المقابلة له في اللغات الأجنبية . إن المدرك الحديث « إعلام » يتموج أحياناً كثيرة ، فيتناول الإعلان (بالنون)

حيناً ، والدعاية أو الدعاية حيناً آخر ، وربما تناول التعلم . وللإعلام نفسه وجهان : وجه برئ مخلص غايته مخاطبة العقل لتعريفه أموراً أساسية صالحة ، ثم وجه خادع ملتو غايته مخاطبة العاطفة في سبيل إقرار أثر في السامعين تتعلق بقضية عارضة ربما تبدل الاهتمام بها غداً أو بعد غد ٥

وبالرجوع إلى الأصول العربية تبين أن العرب قد عرفوا هذا المدرك الضروري في الحياة الحضرية أو الحضرية فوجدناه في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم ٥ ولكن الكلمة التي كانت تستخدم قبل الإسلام ثم في القرآن الكريم ، كانت « الإبلاغ » كما في الشعر الجاهلي ، ثم « البلاغ » كما في القرآن الكريم .

٢- **الإعلام حديثاً والبلاغ قديماً :**

والمقصود بالإعلام أو بالبلاغ أن يكون من الحاكم أو من هو في مقامه إلى المحكوم أو من هو في درجته . والإعلام خاصة يكون عادة في نطاق أضيق من حيث المعلم (بضم فسكون فكسر) ، ومن حيث المعلم (بضم فسكون ففتح) .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٢٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ ، الموافق ٢٧ من فبراير سنة ١٩٧٩ م)

كنا في مؤتمر لمثل ذلك فوصل الكلام إلى أحد رؤساء الوفود فأطال - (وكان من قبل تلميذاً في صف حاضر فيه) فأجرت لنفسى أن أستوقفه ثم قلت له : أنت من قبل تلميذى ، وأنا الآن لأفهم ما تقوله . أعرف أن الكلام يجب أن يكون في «التوعية الشعبية» (كذلك كان العنوان للموضوع) ، ولكنى أرى كلامك يدور حول «إقناع الناس بوجهة نظر الحكومة» . فقال لى : وما أفعل . كذلك قالوا لنا أن نقول : أنا لا ألوم هذا المتحدث في ذلك المؤتمر فإن الإعلام الحديث لا يمكن أن يفهم إلا في هذا النطاق :

أما البلاغ فإنه شئ آخر : إنه نقل للمعارف الصحيحة الثابتة إلى مجموع الناس من غير إجبار في العادة على العمل بها .

٣- وجوه الاعلام الثلاثة في الجاهلية :

سأقتصر من وسائل الإعلام في الجاهلية على المعلقات . وسأتناول الكلام على ثلاث معلقات :

(أ) معلقة عمرو بن كلثوم ، وفيها تبجح القوى في تبرير اعتدائه ، وفي التهديد برد الاعتداء بمثله .

(ب) معلقة الجارث بن حلزة ، وفيها اعتذار الضعيف من انهزامه وتنصله من اعتداء وقع على خصمه لم يكن هو القائم بذلك الاعتداء مع كلام في الحق والعدل .

(ج) معلقة زهير بن أبي سلمى ، وفيها موقف الحكم العاقل الذى يعرف الفرق بين الاعتداء والدفاع عن النفس ، ولكن زهيراً يتجاوز أسباب القتال للتوفر على الكلام في نتائجه وفي ضرر تلك النتائج على المعتدى وعلى المعتدى عليه كليهما . كان زهير يدعو إلى حل المشاكل بالسلم لا بالحرب . إنه كان يمثل في الجاهلية ما تمثله اليوم « منظمة الأمم المتحدة » كما يجب أن تكون منظمة الأمم المتحدة .

أما من حيث الألفاظ ، فقد جاء في مجال الإعلام في المعلقات التي اخترتها ألفاظ منها :

— (من جذر بلغ) :

يقول عمرو بن كلثوم : ألا أبلغ بنى الطماح عنا . ويقول الجارث بن حلزة : ... وأمر الله بآنس يشقى به الأشقياء—أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو . ويقول زهير : ألا أبلغ الأحلاف عنا رسالة . وكذلك يقول الأعشى (وإن لم أختَر معلقته في هذا البحث) : أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة .

— (من جذر علم) :

والصبيغ من هذا الجذر . ألوفة في مثل هذا الموضوع . قال عمرو بن كلثوم : ألما تعلموا منا ومنكم كتائب ... ؟ — وقد علم القبائل

من ممتدّد - وقال الحارث : قد علمتم أيام
ينتهب الناس - واعلموا أننا وإياكم . . .
وقال زهير : وما الحرب إلا ما علمتم
وذقتم . وقال الأعشى : سائل بنى أسد عنا
فقد علموا . . .

و كذلك جاء في هذه المعلقات صيغ مختلفة
من الجذور التالية :

من «خبر» (نُخبرُك وتُخبرينا) ، ومن «حدث» [أ
(حدثت ، ثلاث مرات) ، ومن «عرف»
(تعرفوا وأعرفنك) ومن «نبا» (الأنباء وأنبأنا)
ومن «زعم» (زعموا) .

٤- الفاظ الاعلام في القرآن الكريم :

وفي القرآن الكريم صيغ مختلفة من ألفاظ
للدعوة ترجع إلى نحو عشرين جذراً .
وسأورد فيما يلي شاهداً واحداً أو أكثر من
شاهد واحد على كل جذر . ويحسن أن ندرك
أن عدداً كبيراً من هذه الألفاظ عامة ، وأن
القرآن الكريم هو الذي جعل منها ألفاظاً
خاصة بالدعوة إلى الإيمان :

بشر - فلنما يسرناه بلسانك لتبشر به
المتقين وتنذر به قوماً لدا (١٩ : ٩٧ ،
مريم) .

بعث - ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلو عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .
بلغ - يا أيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك
من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
(٥ : ٦٧ ، المائدة) .

هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ ،
إبراهيم) .

وما على الرسول إلا البلاغ المبين (٢٤ :
٥٤ ، النور) .

بيّن - قد جئتكم بالحق لأبين لكم بعض
الذي تختلفون فيه (٤٣ : ٦٣ ، الزخرف) .

وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل
إليهم (١٦ : ٤٤ ، النحل) :

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

تبّع - اتبع ما أوحى إليك من ربك
(٦ : ١٠٦ ، الأنعام) :

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واثقوا
لعلكم ترحمون (٦ : ١٥٥ ، الأنعام) .
تلو - وائل ما أوحى إليك من كتاب ربك
(١٨ : ٢٧ ، الكهف) .

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو
عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .

جَوَّابَ - يا قومنا ، أجيّبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم (٤٦ : ٣١ ،
الأحقاف) .

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم
لا مرد له من الله (٤٢ : ٤٧ ، الشورى) .
دعا - داعي الله (انظر فوق) .

- قال رب إني دعوت قومي لیسلا
ونهاراً ، فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً . وإني

— قل : لا أسألكم عليه أجراً ، إن هو
إلا ذكر للعالمين (٢٠ : ٤٢ ، طه) .
— إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ إلى
ربه سبيلاً (٧٣ : ١٩ ، المزمل) .

— فما لهم عن التذكرة معرضين (٧٤ :
٤٩ ، المدثر) :

رسل — (أوسع المواد في هذا المعنى) .
— هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله (٩ : ٣٣ ،
التوبة : ٤٨ : ٢٨ ، الفتح : ٦١ : ٩ ،
الصف) .

— وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

— يا أيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً
ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً
منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً
كبيراً (٣٣ : ٤٥ — ٤٧ ، الأحزاب) .

سمع — وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد
سمعنا . لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا
إلا أساطير الأولين (٨ : ٣١ ، الأنفال) .

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٩ : ٦ ،
التوبة) :

— وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق
(٥ : ٨٣ ، المائدة) .

كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في
آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا
استكباراً . ثم إني دعوتهم جهاراً . ثم إني
أعلنت لهم وأسرت لهم أسراراً . . . (٧١ :
٥ - ٩ ، نوح) .

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة (١٦ : ١٢٥ ، النحل) :

— يا أيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .
وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً
(٣٣ : ٤٥ ، ٤٧ ، الأحزاب) :

ذكر — فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
(٥٠ : ٤٥ ، ق) :

— فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون (٥٢ : ٢٩ ، الطور) .

— فذكر إنما أنت مذكر (٨٨ : ٢١ ،
الغاشية) :

— أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٩ ،
الأعراف) .

— ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر (٥٤ : ١٧ ، ٣٢ ، ٤٠ ، القمر) .

— وما هو إلا ذكر للعالمين (٦٨ : ٥٢ ،
القلم) .

— إن هو إلا ذكر للعالمين (٨١ - ٢٧ ،
التكوير) .

— إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٢٧ : ٨١ ، النمل ؛ ٣٠ : ٥٣ ، الروم) .

— ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (٩ : ٣٥ ، الأنعام) .

عرف — مما عرفوا من الحق (انظر فوق) .

— فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض (٦٦ : ٣ ، التحريم) .

تلو — يتلو عليكم آياتنا ، ويعلمكم الكتاب والحكمة (٢ : ١٥١ ، البقرة ؛ ٣ : ١٦٤ ، آل عمران) .

نبأ — نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (٤٥ : ٥٩ ، الحجرات) .

— ويستنبئونك أحق هو ؟ قل : إني ، وربّي : إنه لحق (١٠ : ٥٣ ، يونس) .

ندى — ونادى فرعون في قومه ، قال : يا قوم ، أليس لي ملك مصر ؟ (٤٣ : ٥١ ، الزخرف) .

— ربنا ، إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا (٣ : ١٩٣ ، آل عمران) .

— إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله .

نذر — (هذه المادة واسعة جداً)

— واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله (٤٦ : ٢١ ، الأحقاف) .

— سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٢ : ٦ ، البقرة ؛ ٣٦ : ١٠ ، يس ؛ ٦ : ١٩ ، الأنعام) .

— وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ، ومن بلغ ، أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ! قل لا أشهد ، قل : إنما هو إله واحد ، وإنني بريء مما تشركون (٦ : ١٩ ، الأنعام) .

— وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولنذر أم القري ومن حولها (٦ : ٩٢ ، الأنعام) .

— أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٣ ، ٦٩ ، الأعراف) .

— فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم (٩ : ١٢٢ ، التوبة) .

— وأنذر عشيرتك الأقربين (٢٦ : ٢١٤ ، الشعراء) .

— لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (٣٦ : ٦ ، يس) .

— هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ ، إبراهيم) .

— يا أهل الكتاب ، قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا

ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم
بشير ونذير (١٩ : ٥ المائدة) .

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
(١٧ : ٢٧ الإسراء)

— وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين (١٥ : ٦٦ الحجر) .

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن
في الأرض (١٧ : ٤ الإسراء) .

وما كنت بجانب الغربي إذا قضينا إلى
موسى الأمر (٢٨ : ٤٤ القصص) .

هدى — أولئك الذين هدى الله ، فبهدهم
اقتده (٦ : ٩٠ الأنعام) .

— بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان
(٤٩ : ١٧ الحجرات) .

— وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى (٤١ : ١٧ فصلت) .

جعل — وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا
إليهم فعل الخيرات (٢١ : ٧٣ الأنبياء) .

— فقالوا : أبشر يهودنا ؟ فكفروا
وتولوا (٦٤ : ١٦ التغابن) .

— إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
(١٧ : ٩ الإسراء) .

— إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى
مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق
(٤٦ : ٣٠ الأحقاف) .

— فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
(٦ : ١٢٥ الأنعام) .

— اهدنا الصراط المستقيم (١ : ٦ الفاتحة) .

— فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا
فإنما عليك البلاغ (٣ : ٢٠ آل عمران) .

— إنما أنت منذر ولكل قوم هاد .

— وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا (١٧ : ٩٤ ، راجع ٥٥ الإسراء) .

— ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا
بني إسرائيل الكتاب (٤٠ : ٥٣ غافر) .

— هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله (٤٨ : ٢٨
الفتح) .

وعظ — قالوا : سواء علينا أوعظت أم لم
تكن من الواعظين (٢٦ : ١٣٦ الشعراء) .

— فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى
فله ما سلف (٢ : ٢٧٥ البقرة) .

— هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين (٣ : ١٣٨ آل عمران) .

— يا أيها الناس ، قد جاءكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور (١٠ : ٥٧
يونس) .

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن
(١٦ : ١٢٥ النحل) .

ثم استعرضت عدداً من رسائل الرسول
صلى الله عليه وسلم في «جمهرة رسائل العرب»

من تأليف أحمد زكى صفوت (الجزء الأول
مصر (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) فوجدت تعابير
منها : أدعوك بدعاية الإسلام (ص ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٦ ، ٤٦) - دعوتك (ص ٣٩) -
أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده (ص ٤١) -
يدعوهم (ص ٤٥) - ادعوهم إلى الإسلام
(ص ٦١ ، ٦٢) - ادعوهم إلى عبادة الله
(ص ٧٦) ، ونجد في هذه الرسائل وفي رسائل
الصحابة الخلفاء عدداً من الألفاظ التي كانت
قد مرت بنا في الكلام على ألفاظ القرآن
الكريم ، مثل : بلغ (ص ١١٤ ، ٣٩٣ ،
٤٤٤) - علم وأعلم (ص ٣٢٥ ،
٣٧٥) .

وهناك عدد من هذه الألفاظ يرد في
خطب الرسول ، وخصوصاً في خطبة
الوداع : في قوله عليه السلام : «...ألا هل
بلغت ، اللهم فاشهد » (بضع مرات) .

ذلك عدد من الألفاظ الدائرة في الإعلام
جمعتها من عدد من المعلقات ، ومن القرآن
الكريم ، ومن عدد من رسائل الرسول عليه
السلام . وقد بدا لي :

أن الإسلام اختار كلمة « بلاغ » مع عدد
من مشتقاتها في مقابل كلمة « إعلام »
الدائرة في الاستعمال الحديث .

ثم بدا لي أن كلمة « بلاغ » كانت تعني
عرض الحقائق المقصودة بلا لبس ،
وليس ذلك غير منتظر في مقام الدعوة

إلى الإسلام . أما كلمة « إعلام » الحديثة ،
فالمقصود منها توجيه الجانب الغالب من الرأي
العام وجهة مخصوصة آتية قد تتبدل في غد
أو بعد غد ، ثم تعود إلى ما كانت عليه قبل
مدة .

إن الإعلام الحديث لا يرمى إلى بسط
الحقائق بقدر ما يرمى إلى عرض الحقائق
أحياناً عرضاً جزئياً . وربما صنع قرائن
وأقامها مقام الحقائق .

وعمة الإعلام الحديث التوجه إلى الجمهور
الغالب من الناس ممن يصدق فيهم قول
المتنبى :

إنما تسرع المقالة في المرء

إذا صادفت هوى في الفؤاد

فالعامة أكثر انجرافاً مع الإعلام
البارع من المثقفين الذين لا يتأثرون عادة
بالدعوات القصيرة الفترات .

وألفاظ الإعلام الحديث ذات خاصيتين :

١- كلمات ذات رنة يتداولها الناس بكثرة ،
وليس من الضروري أن يكون معناها مفهوماً
أو واضحاً عند الذين تلقى عليهم .

٢- كلمات جديدة ذات سهولة في
اللفظ أو غرابة في اللفظ أو قوة لفظية .
وسأضرب على كل نوع من هذه الكلمات أمثلة
موجزة :

— نشأ في العالم سلسلة من الفنادق أطلق عليها
اسم « هلتون » من اسم صاحب هذا المشروع

لسلسلة الفنادق واسمه الكامل كونراد نيكلسون هلتون ، ولد عام ١٨٨٧ م ، وكان لا يزال حياً في عام ١٩٧٣ م . وما كادت فنادق هلتون تعلو في بلادنا حتى تسابق العوام إلى اهتبال الفرصة بتسمية أعمالهم « هلتون » . فعلى مقربة من مجمعنا اللغوي دكة صغيرة لإصلاح الأحذية اسمها هلتون ، وهنا وهناك أماكن مشابهة لدكة إصلاح الأحذية تترين باسم هلتون .

— وفي عام ١٩٧٠م أقيم معرض في اليابان أطلق عليه اسماً مختصراً هو Expo 70 ، فتسابق العامة إلى إطلاق كلمة إكسبو على محل بائع طعامية ، على محل تجاري ، على معمل نجارة ، الخ . — وعندنا في بيروت محل لبيع الحلوى الفرنسية اسمه « موناليزا » ثم محل للتزيين للسيدات ، فيما أتذكر وغيرهما ؟

هذا على صعيد العامة ، من حيث الألفاظ ، والعامة معنورون في ذلك . أما على صعيد أشباه الخاصة فالأمر أدهى وأمر ؟

— كثر في المدة الأخيرة استعمال صيغتين : توافر بمعنى كثر ، والمقصود وفر في أحد معانيها . أما توافر (كما جاء في المعجم الوسيط) فعنها يرجع إلى كرم الأصل وما يشبهه . وأما الصيغة الثانية فهي « تواجد » بمعنى حضر . وتواجد معناها الصحيح « دخل في الوجد أو الانجذاب الصوفي طريق الغيبة عن الحس » .

وهناك ألفاظ كثيرة تؤخذ من اللغات الأجنبية ، وتطلق بلامتياز على ما يوافق معانيها أولاً يوافق معانيها . قرب بيتنا في بيروت محل لبيع الحلوى اسمه بيليه (وهو لاعب كرة قدم برازيلي فيما أظن) . ودكان لبيع الأحذية اسمه أولد شو (الحذاء العتيق) ومحل صغير لبيع النسيج اسمه بوتيك شوب (دكان دكان) . وهناك محل اسمه برسيوسا فإذا كانت الكلمة مأخوذة من الإيطالية فيجب أن تكتب برسيوزا . أما إذا كانت مأخوذة من الإسبانية فكتابتها الصحيحة برثيوسا ؟ وفي القاهرة إعلانات كبيرة عن « شاي أبي نواس » ؟ وما أعتقد أن أبا نواس كان يعرف الشاي أو كان يحب الشاي لو عرفه ؟

هذا على صعيد الألفاظ . أما على صعيد النصوص الإعلامية فكثيراً ما نقرأ مثل هذا النص :

جاءنا من وزارة الإعلام ما يلي :
وصل أمس كورت فالدهايم إلى بيروت فاستقبله في المطار وفد كبير فيه فلان وفلان . وبعد قليل اختلى فالدهايم بوزير الخارجية ساعة كاملة . وقد كانت وجهات النظر بينهما متفقة اتفاقاً تاماً .

وقد صرح فالدهايم لمندوبنا أن الأمم المتحدة والدول الصديقة حريصة على أن تتمتع المنطقة بالهدوء والازدهار ، كما يجب أن ينال كل فريق حقوقه المشروعة ثم

قال فالدهايم: إنه مستعد دائماً لأن يبحث مع جميع الفرقاء في كل الموضوعات التي تهم المنطقة .

(١) في أثناء الثورة السورية أو الثورة الدرزية كنت طالباً في كلية الآداب في الجامعة الأميركية في بيروت . فطلب من أستاذ التاريخ أن تأتي بدفتر كبير ، ثم نقطع البلاغات التي تصدر في كل يوم لتكون تلك البلاغات سجلاً نرجع إليه حينما نريد في المستقبل أن ندرس أحداث تلك الثورة . فجئنا بسجل فاخر تعاوناً على شرائه ، وأخذنا في كل يوم نقطع بلاغاً أو بلاغين تصدرهما سلطة الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان ، ونلصق ما نقطعه من الصحف في ذلك الدفتر . ولما انتهت الثورة وجدنا من الخير للتاريخ ولدرس التاريخ أن نرمي بذلك السجل في زاوية من زوايا الغرفة ، لعل أحداً يتناوله فيستخدمه فيما هو أنفع .

(ب) المعروف أن كل وزارة في العالم تتقدم إلى الشعب ببيان وزارى واحد أو بأكثر من بيان وزارى واحد في أثناء فترة حكمها ، والقاعدة الدستورية أن يضع أفراد الوزارة هذا البيان بالتشاور فيما بينهم ، وليس من الضروري أن تكتب الملكة إليزابث الثانية خطاب العرش الذى تلقى في مجلس النواب ، ولا أن يذشى كل رئيس وزارة كل بيان تتفق عليه وزارته .

ومنذ أنشئت الوزارة في لبنان - قبل الاستقلال وبعد الاستقلال - وكل بيان وزارى يتضمن الأمور التالية : تحسين الأوضاع العامة للشعب اللبنانى - إيصال الماء والكهرباء إلى كل قرية في لبنان - جعل التعليم مجانياً للجميع - . . . إلخ . ولا يزال كل بيان وزارى يجد من الحاجة أن يعيد تعداد هذه الأمور إلى اليوم ، غير أن الصحف في كل مرة تمدح البيان الوزارى وتبشر بما فيه من وجوه الإصلاح وما سيحققه من وجوه التقدم والرفعة .

(ج) آخر ما بثته الحكومة اللبنانية من أساديث الإعلام حديث عن « متانة الليرة اللبنانية » . في عام ١٩٢٧ مثلاً كانت الليرة العثمانية الذهب تساوى خمس ليرات لبنانية ونصف ليرة . وكانت الليرة الإنكليزية الذهب تساوى ست ليرات وربعا ، وكان الجنيه المصرى الورق يساوى واحداً وعشرين شلناً إنكليزياً . وكنا ندفع قسط جامعة بيروت الأميريكية ستة عشر جنيهاً مصرياً ، وفي عام ١٩٣٥ اشتريت بذلة « سموكنج » خياطها الخياط باثنى عشرة ليرة لبنانية ، أو بنحو مائة وخمسة وسبعين قرشاً مصرياً .

أما اليوم فإن الليرة العثمانية الذهب تساوى مائتين وسبعين ليرة لبنانية أو خمسين ضعفاً مما كانت تساوى من قبل : وأما حديث

الإعلام الرسمي، فقد أراد تبرير ارتفاع الأسعار في بيروت : فقال بالحرف الواحد «إن القيمة النقدية لليرة اللبنانية لم تنخفض قط ، ولكن القيمة الشرائية لليرة هي التي انخفضت » وكان في السامعين من صدق الحديث الإعلامي وكان فيهم من لم يصدقه.

(د) إذا أنت خاطبت أحداً في الولايات المتحدة وجاها أو بالتلفون سمعت منه في كل نصف دقيقة عشرين مرة أو كى O. K. .

في القرن الماضي هاجر إلى الولايات المتحدة رجل هولندي فاتفق أن عين مراقباً على خروج البضائع من الحمر ك . ويبدو أن معرفته باللغة الإنكليزية المكتوبة لم تكن وافية . ف قيل له : إذا استوفت السلعة دورانها في المراقبة ودفع الرسوم فاكتب عليها : All Correct كل شيء صحيح . ولكن صاحبنا كان كسلان ، فلم يشأ أن يكتب الكلمتين فكان يكتب الحرفين الأولين

من كل كلمة منهما . ولكن الرجل الهولندي كان يتكلم لغة تكتب كما تلفظ فكان يكتب أو كى O. K. . بدلا من A. C. . والأميريكيون أنفسهم اليوم يقولون أو كى ، ومنذ وقت قريب أنزلت الحكومة اللبنانية إلى الأسواق نوعاً من السكاير سمته «أو كى» .

(هـ) كنت مرة عند بائع الجبن الذي أشتري منه ، فجاء رجل وقال له : بحياتي عليك كان لكم بالأمس إعلان في التلفزيون عن شيء نسيته الآن. فما هو ؟ فقال له الرجل : كان ذلك عن النوع الفلاني . فقال له الرجل : أعطني منه .

(و) وفي مرة ثانية جاء رجل وقال له أعطني من الجبن الذي يؤكل مع الخيار .

(ز) كنت مرة في بلد عربي في جماعة معي ، فرتبت للجماعة زيارة إلى مصنع للسكاير وكان المصنع ذلك على غاية من النظافة والنظام والترتيب ، وكانت العناية بالآلات والأدوات وبالسكاير صنعا وتغليفاً وتعبئة مما يثير الإعجاب . وفيما كنا خارجين سألت الدليل الذي كان معنا : « أنتم هنا تهتمون بصنع الرغيف كما تهتمون بصنع السيكايرة ؟ رأيت الجواب في وجهه وعينه ولم أسمع من فمه .

(ح) وفي مرة أخرى كنا في مكان آخر في مصنع للصابون . طفتنا في المصنع كله فأنتهى بنا المطاف إلى مكان التعبئة . وكان المشرف على إعداد الصابون يشرح لنا كل ما يتعلق بالصابون ، من جلب مادتي الصودا والزيت إلى المعمل حتى تغليف قطعة الصابون ،

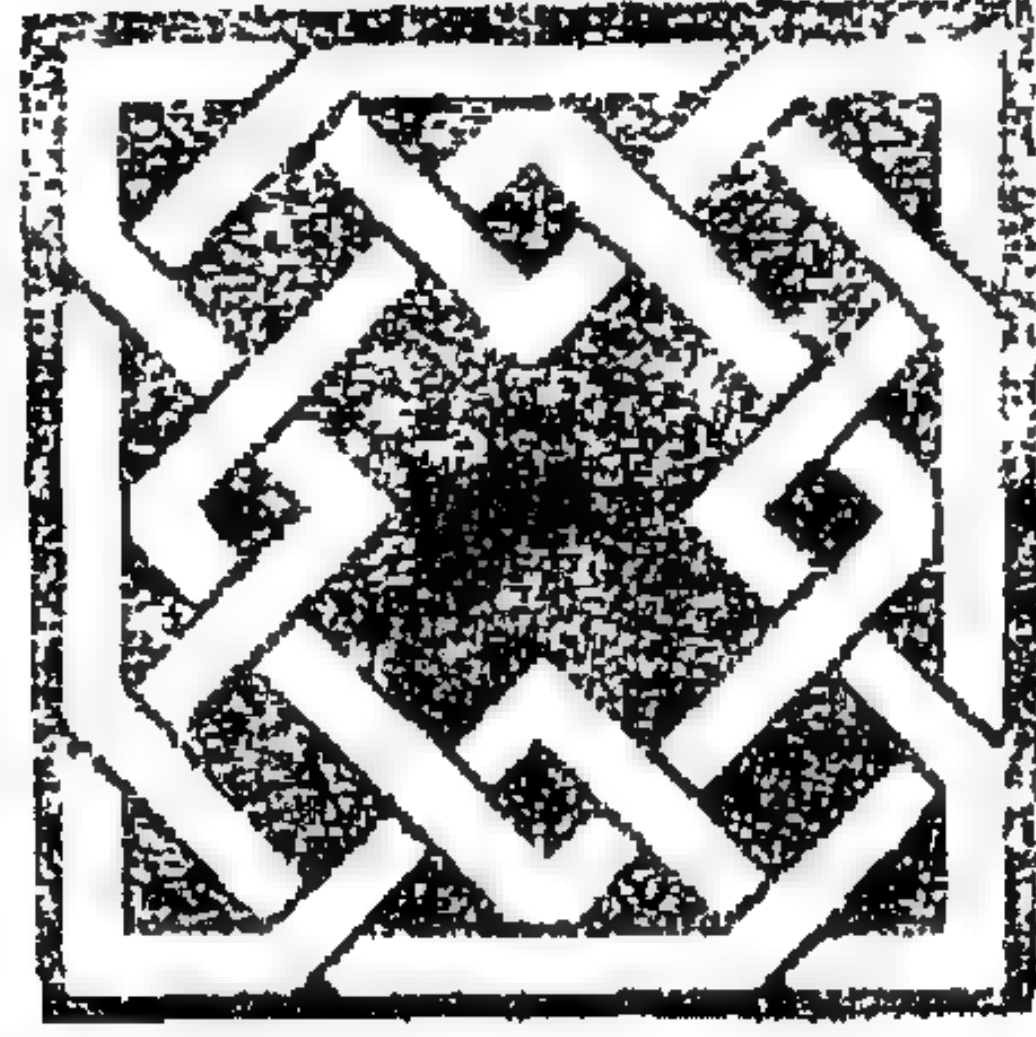
صنع الصابون ولا نستطيع أن نتريث كثيراً
في أثناء طبخه .

هنا لا بد من ملاحظة : أن اختيار وسائل
الإعلام وتخير الكلمات لتلك الوسائل
لا يرجعان إلى المشرف على الإعلام بقدر
ما يرجعان إلى مقدرة المقصودين بالإعلام
على الاستيعاب وعلى الانجراف في تيار
الإعلام .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان

ولما انتهى الرجل من الشرح دار على الزوار
بقطعة جاهزة من الصابون، فكان بعضهم
يشم القطعة ويتمتم بكلمات معروفة ، وكان
منهم من يعجب بلونها، وكانت القطعة تمر
بنفث منهم بلا حركة، فلما وصلت القطعة
إلى يدي غمزتها قليلاً . وتنبيه المشرف إلى
حركة يدي فقال لي: «ماذا نفعل ؟ السوق
لا ترحم ، ونحن نحتاج إلى أن نعجل في



اللغة العربية ووسائل الإعلام

د. مصطفى مصطفى عبد القوي

اللغة العربية :

أصبحت اللغة العربية نخباً لها ومزاياها وجمهورها الكبير - من أهم اللغات العالمية ، وأصبحت لها مكانة بارزة في عالمنا المتحضر ، سواء في مجال دراستها ، أو في مجال كثرة المشتغلين بها ، أو في مجال إقرار التخاطب بها في العديد من المحافل الدولية في معظم أنحاء المعمورة .

لقد كرم الله تعالى هذه اللغة بأن جعلها لغة كتابه الكريم الذي تكفل بصيانتها بقوله جل شأنه : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) ، وما دامت لغة القرآن هي العربية فإنها ستظل - بإذن الله - مصونة عزيزة ، تمتنع على الهرم : وتتألق ما طال بها الزمن ، وتثبت على مر العصور والأجيال .

والمجال ليس مجال إبراز هذه اللغة ، والحديث عن سمو مكانها فذلك لون من الحديث المكرور ، والكلام المعاد . . . وقد ألفت في هذه اللغة آلاف الكتب ، واشبعت درساً وبحثاً ، ولو أراد باحث أن يستقرئ ما كتب في هذا الشأن لأعياه البحث وأعجزه التقصي . وليس معنى هذا أن هذه اللغة السميحة لم تعد في حاجة إلى المزيد من تعمق الباحثين

ودرس الدارسين ، والتغلغل في فهم أسرارها واكتناه دخائلها والوصول إلى جوهر فلسفتها ، بل على العكس هي في أمس الحاجة إلى ذلك ، لاسيما وهي تواجه تحدياً كبيراً في عصرنا الراهن من تسرب العجمة إلى أبنائها ، ومن ثم فقد أنشئت الكليات المتخصصة لتخدم مقاصد هذه اللغة وظهرت الجامعات العتيدة لتطویرها حتى تتبوأ مكانتها اللائقة بها في الديوع والانتشار في كافة المجتمعات باعتبارها أم اللغات ، وأكثرها فضلاً وأوسعها متناً ، وأشملها استيعاباً .

إلا أن هذه اللغة رغم الدراسات المستفيضة في سبيل تدريسها وتيسيرها فهي صعب ، شמוש لا ينقاد حرانها ، ولا يابن نفورها إلا لدوى المهتم العالية ، والعزائم القادرة ، والذكاء المتوهج ، ومن هؤلاء علماءنا الجهابذة الأرائل الذين كانوا مثلاً علياً في عبقرية الفكر ، وسموق المهتم ، وطموح النفوس ، حتى بلغوا في الفهم والبصيرة وحسن الإدراك أبعاد الغايات ، وحققوا أسامي المطالب ،

(٤) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسه الأربعاء غره ربیع الآخر

سنة ١٣٩٩ هـ ، المواق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

ودانت لهم طرائق البحث ومناهجه حتى
خالفوا لنا هذا التراث الزاهر الضخم ، ينبت
عن معاناة بالغة ، ويفصح عن جهد عتيد .

على أنه لا ينبغي لنا أن نقول : (هل غادر
القدماء من متردم) بل إن علينا أن نوقظ
أبناء العربية المحدثين حتى يزدوا في البناء
الشامخ ، ويبعدوا حيث انتهى الأولون ،
وينبغي أن نرصد الجوائز القيمة ، ونيسر
الجوائز السخية لكل من توفر ويتوفر على
تركيز جهده وتكريس وقته لخدمة العربية
بصبر وحرص ، وإصرار ، وإيمان ، وأن
نشيد بالأعمال التي بذلت وتبذل في هذا
السبيل ونحفظ لها مكانها الرفيع ، وأن نكرم
أعلامها البررة على ما عملوا وعلى ما عانوا
وصابروا وكابدوا . . حتى نحثهم بذلك على
متابعة عملهم المرجو المشكور ونشجع الآخرين
من أبناء الأمة العربية . . على النسيج على
منوالهم والسير على نهجهم .

إن اللغة العربية هي رابطة مقدسة كبرى
لهذه الجماهير الكبيرة الناطقة بها ، وقد
أصبحت كثير من الأمم الغربية عنها تسعى
لتعلمها والإلمام بها كي تفيد من مجالات الخ
ومن ركائز الاقتصاد والنماء في بعض مناطقها
وبلاد الإنجليز في الحاضر مثلاً دليل واضح
على ذلك .

ولأن اللغة العربية هي لغة القرآن فإن
تجموع الدول الإسلامية — من منطلق

إسلامي — تحرص على تعلمها ليعود عليها
ذلك بالنفع في شؤون دينها .

ولا يبعد عن الذهن أن اللغة العربية تملك
من تعدد حروف الهجاء ما لا تملكه اللغات
الأخرى كما أنها — بكثرة مترادفاتنا وخصوصية
معانيها — من أطوع اللغات للنحت والاشتقاق ،
وهذا ما ساعد حديثاً على تعريب كثير من
الصيغ والمسميات ، والمصطلحات الأجنبية ،
وأثرى العربية ثراء كبيراً .

وإذا كانت دراسة العربية ليست بالأمر
السهل وهذا ما يلجأ إليه بعض خصومها في
مناوأتها فإن هذه الصعوبة واردة في دراسة
معظم اللغات الحية ولكن الصبر والجهد يدلان
كل الصعوبات ويزيلان أكبر العوائق .

وسائل الاعلام :

عصرنا الحاضر هو عصر إبلاغ وإعلام
ولذلك تعددت وسائل الاعلام فيه من
صحافة ، وإذاعة ، وخطابة ، وتلفزة ،
ومسرح ، وسينما ، زهى الوسائل المؤثرة
في الجماهير ، واللغة مع بعض العناصر . . .
الأخرى هي أداة هذا الإعلام وسبيله إلى
الوصول إلى جماهرة الناس والتأثير فيها سلباً
أو إيجاباً ، وأخذاً أو عطاءً . . . وقد
يعلو شأن أمة من الأمم على غيرها إذا
تأنت وسائل إعلامها أقوى وأبرز ،
وطريقتها في التأثير أذكى وأوعى .

ولا شيء أبلغ تأثيراً من الإعلام الرشيد
في الدعاية إلى فكرة حسنة ، أو الحث على
منهاج قويم .

كما لا شيء أسوأ من الإعلام المضلل
الذي يقود إلى المزالق والمهالك وإذا كانت
الإذاعة ، والتلفزة هما أحدث وسائل الإعلام
فلا بأس من إفرادها بإيضاح موجز .

(١) الإذاعة :

تكاد تكون الإذاعة أولى وسائل التأثير
في جماهير الناس فهي من العوامل الهامة
لتكوين رأى عام في المجتمعات الإنسانية
ذى أبعاد وأهداف ، وهي أداة فعالة
لنشر الثقافة والإحساس بوحدة المسؤولية
ولإيقاظ الوطنية وروح التعاون البشرى .

وبالنسبة لدعم انتشار اللغة العربية تكاد
تكون الوسيلة الأم إذا أحسن استغلالها
فهي من خلال العربية الفصحى يمكن أن
توحد سائر اللهجات العربية وتظهرها في
بوتقة واحدة .

والإذاعة بطبيعتها ذات جمهور عريض
وموصل ممتاز — كما تقدم — لمختلف نواحي
المعرفة والأخبار والتسلية والترفيه وتعليم
اللغات الحية ، وما إلى كل أولئك .

وكما أن لها حسناتها فإن لها بالتالى بعض
المعائب كاستفاد المستمع بتلق سلبى دون
المشاركة في حركة الإبداع ، والهيمنة على

فالأمة المعالجة تحسب في طلائع الأمم
رقياً ، إذا كان إعلامها مرتكزاً إلى حقائق
دامغة وأسس ثابتة وإلا كان ضرره أكثر
من نفعه وتشبه الأمة المعربة الخطيب المفوه
والكاتب المبين اللذين يبينان عن حاجتهما
ومقاصدهما ببلاغة ويسر ، أما الأمة المعجمة
فهي شبيهة بالعمى وبالأبكم اللذين هما كلف
قبيح في وجه مجتمعهما .

وقدما قال الشاعر المخضرم النمر بن تولب
مستعيناً بالله من الحصر والعبي :

أعدنى رب من حصر وعى

ومن نفس أعالجها علاجاً

ولا شك أن الأمم اليوم في حاجة إلى
تنشيط وتدعيم وسائل إعلامها فالإعلام
الخبير يلقى أضواء ساطعة على ماضى الأمة
وترائها ، كما أنه يبرز الجوانب المشرقة
من حاضرها ويبين ماهى عليه أو ماتصوبوا
إليه من عزة ومنعة ، أو من تطلع إلى
مستقبل حافل يمثل الخير والحق والجمال .

وتلجأ الأمم إلى الإعلام مثلاً في جلب
المنافع ، ودفع المضار بإبراز ما تملك
في نواحي العلم والفنون والثقافة والآثار
أو ما منعه من ظواهر طبيعية تجذب
إليها السائحين كما أنها تلمح — من
طرف خفى — إلى ما تملكه من عناصر القوة
والسلطة مما يخيف أعداءها ، ويجعلهم يحسبون
الحساب الكبير لمحاولة الأضرار بها .

المستمع بقوة التأثير ، وفرض مواد
إعلانية قد يتضايق لها السامع .

(ب) التلفزة :

أما التلفزة فتلتقي مع الإذاعة في بعض
نخصائصها وتفرق عنها من حيث إن المرئي
غير المسموع ، والغائب غير المشاهد ، فأنت
في الإذاعة تتخيل الصور ، أما في التلفزة
فترأها ماثلة عياناً ناطقة أمامك .

وتكاد التلفزة أن تكون امتداداً للمسرح :

كما أن الإذاعة تتيح قسطاً من الحرية
للمتحدث فالكلام في الإذاعة هو أكثر
طبيعية ، أما التلفزة فتستدعي قسطاً من التوتر
والاحتشاد والتكلف في الحديث والهيئة .

كذلك فإن الممثل الإذاعي يمكنه أن يقرأ
دوره من ورقة مكتوبة وهو يؤديه أما الممثل
في التلفزة فإن عليه أن يحفظه غيباً حينما يؤديه
عبر الشاشة .

والتلفزة أكثر إراحة للمشاهد لأنها تجمع
أمامه صور الأشياء دون حاجة إلى استعمال
خياله وكده في تصورها .

والتلفزة في حد ذاتها أداة ذات خطر فقد
جارت على كثير من وسائل الإعلام فسلبتها
جانباً كبيراً من جماهيرها واغتصبت بعض
نصوصياتها وهذه الوسائل هي الإذاعة
والمسرح والصحافة والسينما .

وإذا كان الإعلان مضيقاً في الإذاعة فإنه في
التلفزة أقل مضيقاً لاسيما إذا أبتعد عن التسلسل
خلال البرامج الشائعة وذلك لما يحتويه من
لمحات جمالية في الإخراج .

كيف تستفيد اللغة العربية من وسائل الإعلام:

إن الاستفادة من وسائل الإعلام متعددة
وتسخير هذه الوسائل لخدمة العربية أصبحت
واجباً محتماً إذا أردنا للغتنا سعة الانتشار
وسرعته وهو ما نهدف إليه جميعاً .

ومن الأسباب الفعالة إعداد برامج ثقافية
عربية قوية بطريقة جد مشوقة وتقديم هدية
للبلاد الأخرى لتعرض لديها في قنوات
الإذاعة والتلفزة .

وكذلك إعداد برامج موسعة لتعليم اللغة
العربية يقوم بها متخصصون اكفاء . .
تقدم هي الأخرى بطريق الإهداء .

ويمكن أيضاً إرسال بعوث من الإعلاميين
العرب للمشاركة في وسائل الإعلام الخارجية
يشاركون بالجهد والمال في إنشاء إذاعات
باللغة العربية وتتكفل بلادهم بتأمين متطلباتهم
الذاتية ولاشك أن وفادتهم ستلقى الترحيب
الكامل من البلاد التي يوفدون إليها .

والوسائل عديدة لاستفادة العربية من
الإعلام الحديث متى صدقت النيات وصبغت
العزائم . ومن أهمها التزام العربية الفصحى
وحدها .

خاتمة :

ونخلاصة القول أن اللغة العربية بسعتها وشمولها ودقتها ، وروعة مفرداتها وجمال تراكيبها ومتانة بنائها أداة طيعة مرنة للإعلام تستوعب حاجته ولا تضيق بمطالبه ، وإذا أحسننا الأخذ بهذه الأداة فإن إعلامنا سيبلغ الأوج ، ويستولى على الأمر .

كما أن العربية يمكن أن تفيد بدورها من وسائل الإعلام انتشاراً وذيوعاً .

ولاشك أن من الواجب دائماً مضاعفة العناية بتدريس اللغة العربية والتدقيق في اختيار الإعلاميين من أبنائها من محاضرين إذاعيين وصحافيين وكتاب رواية وتمثيلية وقصة فما أضر قضايا اللغة العربية في إعلامنا الحديث غير الاعتماد على قاصرة الأداة ومستصعب السهل ، فهؤلاء من عوامل تعثر العربية ، وانحراف مسارها في قنوات الإعلام الصحيح وهم بالتالي لن يفيدوا من خصوبة هذه اللغة ، ووفرة عطائها .

ومن المؤلم حقاً أن يسيطر الكثيرون من هؤلاء المهازيل الكسالى على الأداء الإعلامى وتصبح أخطاؤهم وغلطاتهم مفردات وجملاً - سائدة مسيطرة على لغة الإعلام والمكتوب والمنطوق ، وبحكم التقادم فإنها تضحى

أمثلة تحتذى بل إن بعضها قد أخذ طريقه إلى التداول والاستعمال ليس على مستوى الجواهر فحسب ولكن على مستوى بعض من يسمون بالخاصة .

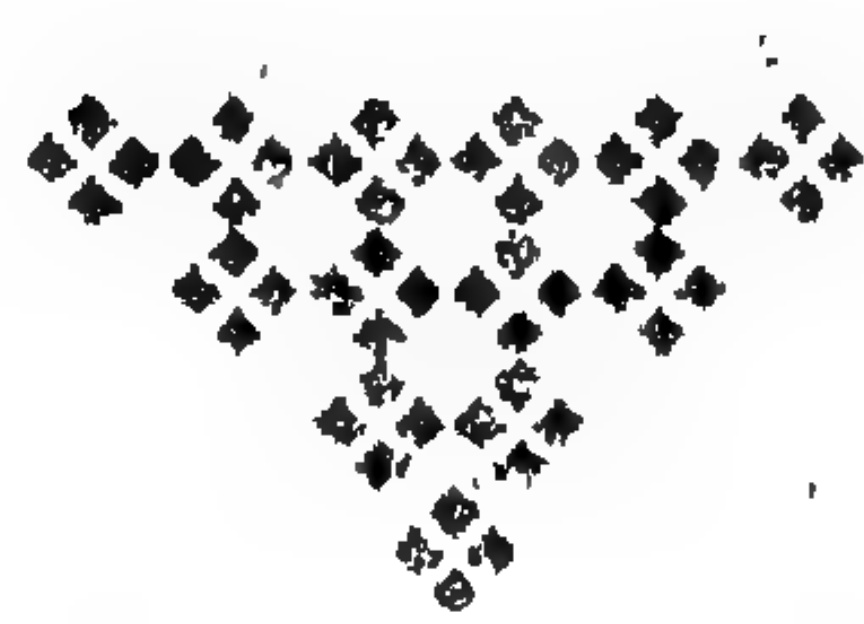
إن من الضروري انتقاء الأشخاص المشتغلين بالإعلام من العناصر الممتازة ذوى الكفاءة اللغوية وهم ولله الحمد أكثر من متخرجى الكليات المتخصصة كما أن من الواجب متابعة الدرس والبحث في جعل العربية أكثر مرونة وأيسر تلقيناً ، ولاشك أن علماء العربية المعاصرين مهتمون أوسع اهتمام بتدليل عقبات اللغة ، متفهمون روح هذا العصر العجولان الذى هر عصر (الشطيرة) كما هو عصر (الذرة) .

وأخيراً فإن الكسب المعنوى والمادى الذى تجنيه الأمة العربية داخلاً وخارجاً - من استعمال اللغة العربية في وسائل الإعلام لا يقدر بثمن .

هذه خطرات بالغة الإيجاز ، مكتفية بالإشارة الحاطفة عن (اللغة العربية ووسائل الإعلام) والله أسأل أن يوفق شعوب هذه الأمة ، ودولها وحكوماتها إلى خير الطرق لخدمة لغتها ورصد كل غال في سبيل رفعة شأنها وإعلاء مكانها .

حسن عبد الله القرشى

عضو المجمع المراسل من السعودية



قبل يكون ... وقبل أن يكون

لما سار محمد عبد الغنى ص

أَلَقَتْ

إلى المقادير يوماً عبء
الحديث عن الشاعر
العربي المصري تميم
ابن المعز لدين الله الفاطمي في معرض الحديث
جملة عن مصر الشاعرة في العصر الفاطمي.
والأمير تميم هذا شاعر له وزنه ، ظلمته
الأيام حيناً ، ثم حاولت إنصافه بأخرة من
الزمان ، فظهر ديوانه الضخم سنة ١٩٥٧
عن دار الكتب المصرية محققاً بجهود عالين
جليلين هما أستاذنا المرحوم أحمد يوسف
نجاتي ، وزميلنا في مجمع اللغة العربية
المرحوم الأستاذ محمد علي النجار :

وتميم هذا هو الذي يقول عنه ابن الأبار الأديب
الشاعر المؤرخ الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ
وصاحب « الحلة السراء » : (شاعر
أهل بيت العبيدين غير منازع ولا مدافع
وكان فيهم كابن المعتز في بني العباس :
غزارة علم ، ومعاناة أدب ، وحسن
تشبيه ، وإبداع تخيل ، وكان يقتفي آثاره
ويصوغ على مناحيه في شعره أشعاره) .

ولقد كان من حظي أن أقرأ ديوان
تميم بن المعز كله من ألفه إلى يائه بيتاً
بيتاً ، فمقادتني الألفة إلى التعرف إلى ملامح

مميزة يكاد يتفرد بها الأمير تميم من
دون شعراء مصر في العصر الفاطمي .
وإن كان بعضهم حاول أن يشركه فيها .
ووجدت لشاعرنا تعابير خاصة لعل فيها
من مصر آثاراً عليه بعد أن قدم من
المهدية والمنصورية في تونس سنة ٣٦٢ هـ
وهو في الخامسة والعشرين من عمره
في صحبة والده المعز لدين الله الفاطمي .

وما أكثر ما كان تميم يمد المقصور
ويقتصر الممدود في شعره على هيئة تلفت
نظر قارئ شعره ، وما أكثر ما كان
يصل همزة القطع ويقطع همزة الوصل
كقوله في مدح والده :

أأحصى أياديهِ ومن بعضها أنا
أم انعت جدواه ومن بعضها قدرى
وما أكثر ما كان شاعرنا يحذف
المشبه الموصوف مع ما يبدو في ذلك من
غرابة كقوله :

تفتر عن كالحمان منتظم
يضافح اللثم بارداً خصرأ

ويريد أن يقول : تفتر عن ثغر كالحمان .
وما أكثر ما كان يلجأ شاعرنا تميم إلى

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة ، الأربعين (جلسة الأربعاء ١٩٧٩ م) .
الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

لغة « أكلوني البراغيث » فيلحق علامة
الثنائية والجمع بعامل الفاعل ونائب الفاعل ،
كالذى صنعه عبد الله بن قيس الرقيات
في مراثيته لمصعب بن الزبير حيث يقول :
تولى قتال المارقين بنفسه
وقد أسلماه مبعد وحميم

كما أنشده ابن عقيل رقم ١٤٣ ، والأشموئي
رقم ٣٥٦ ، وابن هشام الأنصارى المصرى
في أوضح المسالك رقم ٢٠٩ ، وفي شرحه
لغذور الذهب رقم ٨١ . وكالذى صنعه
الشاعر أبو فراس الحمداني في قوله :
نتج الربيع محاسنا

ألقحها غر السحائب

بدلا من قوله : ألقحها غر السحائب .
وإن كان أبو فراس ممن لا يحتاج بشعره
على قواعد اللغة ومفرداتها لأنه مولد . وإن
كانت هذه اللغة أعنى لغة أكلوني البراغيث
هى لغة جماعة من العرب يلحقون علامات
الثنائية والجمع بالفعل المسند إلى المثنى
والجمع كما يلحق جميع العرب علامة
التأنيث .

وأظهر ما وجدته من غرائب التعبير
عند شاعرنا تميم بن المعتر هو حذف
(أن) المصدرية عقب الظرف (قبل) .
كقوله من أبيات في شعر الشكوى ، وليس

عجيباً أن يشكو الأمراء وأبناء الخلفاء
من زمان لا تنقطع الشكاة منه لدى غنى أو
فقير :

عدائي عن الشكوى إلى الناس أننى
عليل : ومن أشكو إليه عليل
ويمعنى الشكوى إلى الله علمه
بجملة ما ألقاه قبل أقول

ونستطرد هنا إلى إباء الأمير تميم وكبريائه
وعزة نفسه ، فهو يجد أسباب الشكوى
ولكن كبريائه ، لا تسمح له بالإفصاح
حتى إلى خالقه ، فالله عالم بكل ما يلقاه
فلا حاجة به إلى القول ، والناس كلهم
شركاء له في آفة الضعف البشرى ، فما
جدوى الشكوى من عليل إلى عليل ؟

ولقد ألفنا وألف الناس فيما يقرءون
ويحفظون ويتحدثون أن يقول القائل
(قبل أن أقول) : لا أن يقول : (قبل
أقول) بحذف أن المصدرية التى يسبك
منها ومن الفعل بعدها مصدر يقع مضافا
إليه للظرف : قبل . ويقدر هكذا : قبل
القول .

ولقد تكرر حذف أن المصدرية
هذه بعد الظرف (قبل) عند شاعرنا
تميم . فنجدته مثلا في قصيدة يمدح بها
أخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمى يقول :
ولست أرضى من الأمور بما
لا أجد المكرمات ترضاه

واسمع فعندى من كل صالحة

الطيف أسرارها وأخفاها

لأدعى الفضل قبل يشهد لى

به أدانى الدنى وأقصاها

فهو لا يقول كما يقول سائر الناس :

لأدعى الفضل قبل أن يشهد لى، بل يقول :

قبل يشهد لى ، فيحذف أن المصدرية

التي نألف ورودها في كثير جداً من منظوم

الكلام ومنتوره بعد الظرف الزمانى

المكانى : (قبل) .

وإذا تتبعنا « قبل » في القرآن الكريم

وهو أعلى مثل في الصيغة اللغوية وعلو

الاستعمال وجدناها إما مضافة أو مقطوعة

عن الإضافة لفظاً لا معنى ، أو مقطوعة

عن الإضافة لفظاً ومعنى .

والمضافة لها أحوال سنتحدث عنها

عما قليل . أما المقطوعة عن الإضافة

لفظاً لا معنى فكقوله تعالى : (لله الأمر

من قبل ومن بعد) آية رقم ٤ سورة

الروم . وقد قرأها السبعة على الضم ، وقدره

ابن يعيش على أن الأصل في الكلام :

من قبل كل شيء ومن بعده . ورأى

ابن هشام الأنصارى أن الأنسب للمقام

أن يقدر : من قبل الغلب ومن بعده ،

تمشياً مع سياق الكلام في قوله تعالى :

« ألم غلبت الروم في أدنى الأرض » ، فحذف

المضاف إليه لفظاً ونوى معناه فاستحق

البناء على الضم :

أما المقطوعة عن الإضافة لفظاً ومعنى

فاستشهدوا لها من القرآن بقراءة :

(لله الأمر من قبل ومن بعد) بالجر والتنوين

لقطع النظر عن المضاف إليه لفظاً ومعنى .

وشاهده من الشعر قول يزيد بن الصعق :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً

أكاد أغص بالماء الحميم

وإن كان « العينى » قد نسب خطأ لعبد

الله بن يعرب . فالظرف هنا منون منصوب

لأنه قطع عن الإضافة في اللفظ ، ولم ينو

المضاف إليه :

أما « قبل » المضافة في القرآن الكريم

فيدل التبع على ما يأتي : (١) إما مضافة

إلى اسم الإشارة « هذا » كقوله تعالى في سورة

هود : (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً

قبل هذا) . وقوله في السورة نفسها :

(ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من

قبل هذا) . وقوله تعالى في سورة مريم :

(ياليتنى مت قبل هذا) . وقوله في سورة

الواقعة : (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) .

(٢) وإما مضافة إلى اسم ذات كقوله تعالى في

سورة الرعد : (ويستعجلونك بالسيئة قبل

الحسنة) أو مصدر صريح أو مؤثر ، فالصريح

كقوله تعالى في سورة النساء : (وإن من

أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته) .

وقوله في سورة مريم : (فاصبر على ما

يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع

الشمس وقبل غروبها) أى قبل أن تطلع

الشمس وقبل أن تغرب . والمصدر المؤول

يكون من (أن) المصدرية المذكورة وفعالها الذى يلى (قبل) على أن يكون المصدر المؤول من أن والفعل مضافاً إليه للظرف « قبل » . ولقد جاء هذا الاستعمال فى القرآن كله على تسعة وعشرين موضعاً . كقوله تعالى فى سورة النساء : (من قبل أن نطمس وجوها) ، وقوله فى سورة الأعراف : (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) ، وقوله فى سورة إبراهيم : (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) ، وقوله فى سورة المجادلة : (فن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) وتأويل هذه المصادر هو على الولاء : من قبل طمس الوجوه ، آمنتم به قبل الأذن لكم ، من قبل إتيان يوم ، فصيام شهرين متتابعين من قبل التماس (٣) وإما أن تكون « قبل » مضافة إلى الضمائر الآتية : ضمير المفرد المخاطب كقوله تعالى : فى سورة البقرة (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) . ضمير المخاطبين كقوله تعالى فى سورة البقرة : (اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) . ضمير المتكلمين كقوله تعالى فى البقرة : (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) . ضمير الغائب المفرد ، كقوله فى سورة البقرة : (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) . ضمير الغائبة المفردة ، كقوله فى سورة الرعد : (كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أئمة) . ضمير

الغائبين كقوله تعالى فى سورة يوسف : (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) . ضمير ياء المتكلم كقوله تعالى فى سورة آل عمران : (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) .

ومن تتبعنا للمواضع التسعة والعشرين فى القرآن التى جاء فيها المصدر مؤولاً من أن المصدرية والفعل بعد الظرف (قبل) نرى أن القرآن جرى على ذكر أن لاحتفاء أو إضمارها ، كما جاء فى شعر تميم بن المعز الفاطمى . فالقرآن جرى على عبارة (قبل أن يكون) لا عبارة : (قبل يكون) .

ومعلوم أن (أن) المصدرية كما جاء فى شرح شذور الذهب ، وفى المغنى لابن هشام ، وفى حاشية الصبان ، وفى المقرب لابن عصفور تضرع وجوباً فى مواطن ، كما تضرع جوازاً فى مواطن أخرى نص عليها النحاة . فبعد اللام التعليلية ، ولام العاقبة التى تسمى أيضاً لام الصيرورة أولام المآل ، واللام الزائدة الواقعة بعد فعل متعد يجوز إظهار أن المصدرية وإضمارها . وقد ورد الإضمار والإظهار فى قوله تعالى فى سورة الأنعام : (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقوله فى سورة الزمر . (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) . أما لام الجحود المسبوبة بكون منى فيجب إضمار أن بعدها ، كقوله تعالى فى آل عمران : (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) ، وكذلك تضرع أن المصدرية وجوباً

بعد : كى التعليلية التى بمنزلة اللام ، ولا يجوز التصريح بأن بعدها إلا فى الشعر لضرورة ، على حين يجز الكوفيون إظهارها عموماً فى الشعر والنثر . أما حروف العطف الأربعة : أو ، الواو ، الفاء ، و ثم ، فمنها ما لا يجوز معه إظهار أن وهو الحرف : أو . ومنها ما لا يجب معه الإضمار وهو حرف : ثم ، والباقي وهو الفاء والواو يجوز معهما إظهار أن وإضمارها .

وإذا حذف أن المصدرية فى غير المواضع المنصوص عليها فى كتب النحو بطل عملها فلا تنصب المضارع ، فإذا نصبته كان ذلك شاذاً ولا يقبل منه إلا ما نقله العدول كما جاء فى حاشية الصبيان على شرح الأشموني . ومن ذلك قراءة بعضهم : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) سورة الأنبياء . بنصب الفعل يدمغ . ومنه قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فقد نصب الفعل : أحضر ، على الرغم من إضمار أن التى لا يُعملها الكثيرون لأن العامل الناصب ضعيف كالحار والحازم ، والعامل الضعيف لا يعمل إلا إذا كان مذكوراً فى اللفظ فإذا حذف لم يبق له عمل . ومن ذلك ما جاء فى المثل : (نخذ اللص قبل يأخذك) بالنصب ، أو قبل يأخذك بالرفع على رأى البصريين

ويبدو أن الإمام الشافعى قد تأثر بلهجة بعض قبائل العرب من حيث حذف أن المصدرية

قبل الفعل المضارع ، وبعد الظرف : (قبل) . فتصادفنا فى كتابه الرسالة وهو مشهور موثق أمثال هذه العبارات : عليه يتعلم الصلاة ، بدلا من أن عليه أن يتعلم الصلاة . وقبل تكمل الصلاة . بدلا من قبل أن تكمل ، قبل يحل عليك بدلا من : قبل أن يحل عليك . (انظر صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢ من الرسالة بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر) .

ويعد استعمال الإمام الشافعى لأمثال هذه اللهجات العربية توثيقاً لها ، ومساندة لصحتها . ومن هنا صح للشيخ أحمد محمد شاكر أن يقول فى هذا الصدد : (لغته — يعنى الإمام الشافعى — حجة ، لفصاحته وعلمه بالعربية .. وأصل الربيع من كتاب الرسالة أصل صحيح ثابت غاية فى الدقة والصحة . فما وجدناه مما شذ عن القواعد المعروفة أو كان على لغة من لغات العرب لم نحمله على الخطأ ، بل جعلناه شاهداً لما استعمل فيه) .

ومن هنا أيضاً نرى الأستاذ المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة يتحدث فى كتابه عن (الإمام الشافعى) قائلاً : (ولقد كان مع استحفاظه لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه لكتاب الله تعالى قد اتجه إلى التفصح فى العربية ، ليبعد كل البعد عن العجمة وعدواها

التي أخذت تغزو اللسان العربي بسبب الاختلاط بالأعاجم في المدائن والأمصار . وقد خرج في سبيل هذا إلى البادية ولزم هذيل . ويقول الإمام الشافعي نفسه عن نفسه كما جاء في (مناقب الشافعي) للفخر الرازي : (إني خرجت من مكة فلابت بالبادية ، أتعلم كلامها ، وأخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم ؛ فلما رحلت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار) . وإذا ما احتجنا إلى شاهد آخر غير الشافعي على الشافعي ، فإننا نرى الأصمعي اللغوي الراوية المعروف يقول : (صححت أشعار هذيل على فتي من قريش يقال له محمد بن إدريس) يعني الإمام الشافعي . وقد التقط المرحوم الأستاذ مصطفى منير أدهم سوابد الزميل د . إبراهيم الدمرداش - هذه الشهادة فرواها في محاضراته عن (رحلة الإمام الشافعي إلى مصر) التي ألقاها في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨ بدار الجمعية الجغرافية بشارع قصر العيني ، وطبعها في مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٣٠ وأسعدني بأنه أهداها إلى يومئذ ، كما أسعدني نجله الزميل الدكتور إبراهيم بإهدائي - من أشهر - نسخة أخرى من طبعة جديدة لها ؛

ومن الأمثلة على حذف أن المصدرية التي استشهد بها ابن هشام في معنى اللبيب ، والصبان في الحاشية ، وابن عقيل في الشرح ، والإمام أحمد بن عبد النور الماتقي المتوفى سنة

٧٠٢ هـ ، وابن عصفور في المقرب قول بعضهم : (مره يحفرها) أي أن يحفرها ، وقول بعضهم : (لابد من يتبعها) . وإن كان صاحب المقرب قد عد هذا من نادر الكلام .

فالإمام الشافعي قد أفاد من أمثال هذه اللهجات واستعملها في كتاباته وأدارها على ما كان يحضره بمصر ، وخاصة أنه دخل مصر سنة ١٩٩ هـ . ومات ودفن بها سنة ٢٠٤ هـ . وقد كان رضى الله عنه قد كتب كتابه (الرسالة) لعبد الرحمن بن مهدي قبل أن يجيء إلى مصر ، ولكنه أعاد كتابتها بهذا البلد الطيب من جديد .

ويبدو أن هذه اللهجات التي ارتضاها الإمام الشافعي وأكثر استعمالها في كتبه ورسائله قد لقيت من علماء مصر وأدبائها ومؤرخيها وشعرائها ترحيباً وقبولاً . فنجد الحسن بن زولاق مؤرخ مصر في القرن الرابع الهجري يلجأ في كتابه المشهور : (أخبار سيديويه المصري) - وهو غير سيديويه النحوي - إلى حذف أن المصدرية في المواضع التي لم ينص فيها النحاة واللغويون على حذف . كقوله : (فما قدرنا نقابله) أي أن نقابله . وقوله (فعقد على أبيه لا يعمل الصرف) أي أن لا يعمل الصرف . وقوله : (فقال : اذهب عافاك الله لا أراك ، على تأتي بعدها) يريد : على أن تأتي بعدها . وقوله : (لاشتهيت تصفع نفسك) يريد : لاشتهيت

أن تصفع : . . وقوله : (احتاج أحفظ)
 يريد احتاج أن أحفظ . وقوله : (فمنها
 أنه طلب مني حمراً يركبه فتهاربت منه
 خوف يطوف عليه) يريد خوف أن يطوف
 عليه . وقوله : (على شريطة تعطيني من ديني
 خمسمائة دينار) يريد : على شريطة أن
 تعطيني . وقوله : (ياسيدي : أخاف لا يقبل
 مني) بدلا من : أخاف أن لا يقبل مني .
 (انظر صفحات ١٦ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٥ - ٥٦) من كتاب أخبار
 سيديويه المصري . ونجد الكاتب المؤرخ أبا محمد
 عبد الله البيلوي - وهو مصري يرجع بنسبه إلى
 قبيلة بلي بالحجاز وكان معاصراً للدولة
 الطولونية . . نجده في كتابه (سيرة أحمد بن
 طولون) الذي حققه المرحوم محمد كرد علي .
 يميل إلى حذف أن المصدرية فيقول : (أريد
 أنخطب الأمير) بدلا من : أريد أن أنخطب
 الأمير .

ونجد الشاعر الشامي المشهور ابن حيوس
 من رجال القرن الخامس الهجري يحذف أن
 المصدرية بعد الفعل : أراد . كقوله من
 قصيدة يمدح بها أمير الجيوش :
 أراد يرينا الله جاهلك عنده
 ومن منك أولى بالحببة والزلفى

ويبدو أن العوام في مصر والشام والعراق
 وجدوا في حذف أن المصدرية استئناساً
 بمجيزي الحذف في اللغة المكتوبة ، فرى
 عند شاعر زجال عراقي اسمه ابن جابر

البغدادى من رجال القرن السابع الهجري
 استماله لأن المضمرة بعد (لا بد) في قوله
 نقلا عن الجزء الثاني من فوات الوفيات لابن
 شاعر الكتي :
 لا بد تظهر بين الناس
 قلندري مخلوق الرأس
 تلبس عوضاً ذا الكتان
 وحلتك من صوف خرفان
 رأو دلق أو تصبج عريان

وتدل وثائق البردي - المكتشفة في مصر والتي
 نشرها العلامة أدولف جروهمان في مصر
 سنة ١٩٣٤ ، سنة ١٩٥٢ - على أن حذف أن
 المصدرية قبل المضارع في غير مواطن الحذف
 المعروفة كان ظاهرة سائدة في الكتابات العربية
 - على أوراق البردي ، سواء أكانت تلك
 الكتابات مدونة بالحروف العربية أم بحروف
 قبطية ، وسواء أكانت مكتوبة بعبارة عامية
 فيها بعض الفصحى ، أو بعبارة فصيححة مشوبة
 بالعامية . ومن ذلك ما جاء في وثيقة كتبت
 في القرن الرابع الهجري وفيها هذه العبارة :
 (فكيف تسمح نفوسهم يسلفوا شيء
 ويأخذوه وقت الغلة) . بدلا من : (فكيف
 تسمح نفوسهم أن يسلفوا) .

ويظهر أن هذا الحذف وجد قبولا عند
 العامة لسهولة ولا يحاز الكلام فيه :

وليس عجيباً أن يهتم العامة في مصر بحذف
 أن المصدرية قبل مضارعها وأن يرتضوها

لهم لغة سهلة في الكتابة وفي الخطاب ، ولكن
العجيب أن يهتم الشعراء بهذه اللهجة أو اللغة
التي اختارها الإمام الشافعي وآثرها على اللغة
العالية في إثبات أن . وقد رأينا الشاعر تميم
ابن المعز في القرن الرابع الهجري يرضى عن
هذه اللهجة ويكررها في مواطن من شعره حيث
كان له عنها مندوحة . ونجد شاعراً مصرياً
آخر من الأشراف الطالبين هو الشريف
العقيلي الذي اختلف في وجوده بين القرنين
الرابع والخامس قد ارتضى هذه اللهجة كما
ارتضاها تميم بن المعز من قبل ، فنجد في
ديوانه الذي نشره زميلنا المرحوم الدكتور
زكي المحاسني في مصر قوله :

فكن لداعي التقي محيياً

من قبل تدعى فلا تجيب

بدلاً من قوله : من قبل أن تدعى .

ونجده في موطن آخر يقول في خمريته له :

فاسبق الشمس قبل تبدو بشمس

سرهما في غمامة الكأس جهر

بدلاً من قوله : فاسبق الشمس قبل أن تبدو .

ونجده في موطن ثالث يقول في إحدى خمرياته
النيلية :

فاشرب على مذهب أزهاره

من ذهب في فضة يجرى

قبل يريك الصبح بلوره

يلمع في فيروزج الفجر

بدلاً من قوله : قبل أن يريك الصبح بلوره .

ولا يقف حذف أن المصدرية في مصر قبل
الفعل أو قبل الفعل . وبعد الظرف (قبل) عند
شعر القرن الخامس الهجري : فنجد الظاهرة
تمتد عند شاعر مصري يمتد من رجال القرن
السادس هو ظافر الحداد الأسكندري المتوفى
سنة ٥٢٩ هـ كما جاء في أكثر المصادر ،
وسنة ٥٦٣ هـ كما ذكر ابن تغري بردي
الأتابكي في وفيات سنة ٥٦٣ هـ . فنجد له من
قصيدة في حالة النسيان التي كانت تعترى
أبا عامر قوله : من قبل يبسم أو تنهل عيناه . .
بدلاً من أن يقول : من قبل أن يبسم أو تنهل
عيناه .

على أن بعض شعراء الشام قد حلا لهم
أن يجاروا بعض شعراء مصر في هذه الظاهرة
التي أشاعها الإمام الشافعي باستعمالها في نثره
منذ أواخر القرن الثاني الهجري ، فجاء الشعراء
بعد ذلك وارتضوا استعمالها في غير ضرورة
على توالي العصور . ويصادفنا من هؤلاء
الشعراء الشاعر ابن حيوس الدمشقي المتوفى
سنة ٤٧٣ هـ والذي نشر ديوانه المغفور له
الأستاذ خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة
العربية بدمشق سنة ١٣٧١ هـ (سنة ١٩٥١ م) .
فترى هذا الشاعر يقول من قصيدة في مدح
أمير الحيوش :

لازلت تحكم في الأنعام مخولا

ملكاً يزول الدهر قبل يزول

بدلاً من أن يقول : يزول الدهر قبل أن
يزول . وليس معنى اختيار ابن حيوس
لهذه اللغة أنه غصَّ نظره عن إثبات (أن)
بعد الظرف (قبل) ، فإنه كان يراوح بين
الاستعماين ، كقوله من قصيدة عينية يمدح
بها أمير الحيوش :

ريعت له الأملاك قبل رضاعه

وتزعزعت من قبل أن يترعرعا

ولعل زملاءنا الأفاضل هنا من أهل المغرب
الكرام يسرهم أن يعلموا أن هناك شاعرين
يتصحف اسمهما على الناس باسم (ابن حيوس)
الدمشقي من أهل المشرق العربي . أحدهما
مغربي من فاس ، والآخر أندلسي من
أشبيلية . أما الأول فهو : عبد الله بن محمد
ابن حبوس بالباء التحتية الموحدة المخففة ،
وقد نبه إلى التصحيف فيه ابن خلكان .
والناس يصحفونه إلى ابن حيوس بالمشناة
المشددة . وهو غلط كما نبه عليه صاحب
الوفيات (انظر وفيات الأعيان ج ٢) .

أما الثاني الأندلسي فقد ورد اسمه في
معاهد التنصيب لعبد الرحيم العباسي بعد ترجمته
لابن حيوس الدمشقي . وهو من غرائب
التصحيفات ، وصوابه : ابن حنون
بنونين ، أولادهما مخففة كما جاء في « المغرب »
لابن سعيد المغربي ، وقد تنبه إلى ذلك الدكتور
عبد العزيز الإهواني ، ونبه عليه المرحوم
نخيل مردم بك .

ولقد وجدنا الشعراء في العصور المتأخرة
يتخففون كثيراً من حذف (أن) المصدرية
بعد الظرف (قبل) . ولعلمهم وجدوا
في الحذف شيئاً لم يألوه في الاستعمال
الغالب ، فآثروا أن يجرؤوا على اللغة
الشائعة الغالبة . ولكننا نصادف عند
الشاعر المهجري الكبير (إيليا أبو ماضي)
— وهو يمثل تيارات الشعر الجديدة في
المهجر الأمريكي الشامي — نزوعه بعض
الحين إلى اللغة التي ارتضاها الإمام
الشافعي في حذف (أن) بعد الظرف
(قبل) ، كقوله من قصيدة رائعة في أثر الغربة
في بلاد المهجر الشامي :

قالت : أينسى النازحون بلادهم

ماهاج حزن القلب غير سؤلها

الأرض سورياً أحب ربوعها

عندى ولبنان أعز جبالها

والناس أكرمهم على عشيرها

روحي الفداء لرهطها ولآلها

تشتاق عيني قبل يغمضها الردى

لو أنها اكتحلت ولو برمالها ؟

كما أن الشاعر المهجري الصديق زكى
فنصل من شعراء العروبة في المهجر الجنوبي
بالأرجنتين ينفرد من بين الشعراء العرب
في أمريكا اللاتينية بحذف (أن) المصدرية

عقب الظرف (قبل) . كقوله من قصيدة

عنوانها : ليلة حب

ماكنت أعلم قبل يجمعنا الهوى

أن النعيم على مدى خطوات

ولعله متأثر هنا بإيليا أبي ماضي الذي

يعجب به : ومتأثر كذلك بالنماذج المحدودة

لهذا الاستعمال الذي لا يعدمه المطالع على

ندرة نادرة في دواوين الشعر العربي

على مسيرة القرون :

وبعد : فهذه متابعة لاستعمال التعبير :

(قبل يكون) بدلا من (قبل أن يكون)

وهي ظاهرة كان يألّفها الكتاب والشعراء

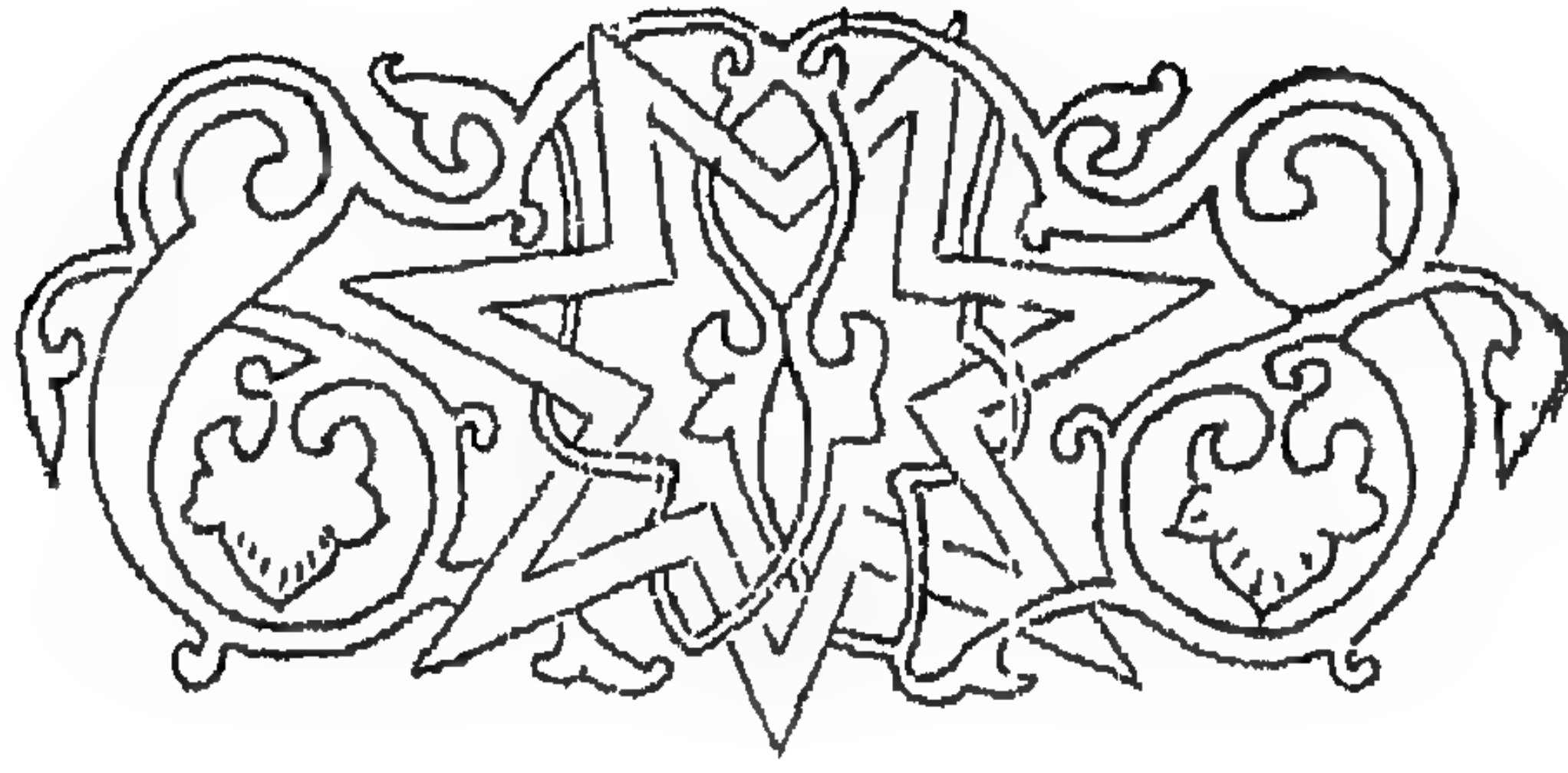
والمتحدثون حتى القرن السادس الهجري ،

ولكن لم يكن لها ظهور ولا رواج بعد

ذلك حتى عصرنا الحديث .

محمد عبد الغنى حسن

عضو الجمع



من كُنَاشَةِ النَوَادِر

للأستاذ عبدالسلام هارون

تراشنا

العربي زانحر بأنواع
شئى من المعارف بها

جلاء لكثير من غوامض العلم، كما أنه
مشحون بالطرائف وغذاء الذهن والروح
واللسان أيضاً.

وقد كان من سواف الأقضية أن
أقيد تلك الشوارد ما استطعت إلى ذلك
سبيلا ، فإن الحكيم العربي كان يقول
وقوله حق : « العلم صيد والكتابة قيد »
وإذا ضاع القيد ذهب الصيد .

وكثيراً ما يقرأ الإنسان شيئاً فيعجبه ،
ويظن أنه قد علق بذاكرته ، فإذا هو
في الغد قد ضاع منه العلم ، وضاع معه
مفتاحه ، فانتهى إلى إحيرة في استعادته
واسترجاعه .

والباحثون ، ولا سيما في أيامنا هذه ،
يقيدون هذه المعارف في جذاذات يرجعون
إليها عند الحاجة ، ولكنى سلكت طريقاً
أوثقاً من طريق الجذاذات ، هو دفتر
الفهرس ، وهو الذى سميت « كُنَاشَةِ
النوادر » ، أقيد فيها رموس المسائل مرتبة
على حروف الهجاء ، مقرونة بمراجعها

وقد وجدت أن هذه التسمية ، المع
ما فيها من التوليد أو التعريب ، أقرب
في الدلالة وأدق في التعبير .

فى القاموس « الكُنَاشَات بالضم والشد :
الأصول التى تتشعب منها الفروع »
وعلق عليه صاحب تاج العروس بقوله :
« نقله الصاغاني عن ابن عباد » وإذن فهنا
أصل عربي يولد منه كُنَاشَةُ الأوراق .

ويعقب عليه صاحب التاج أيضاً بقوله :
« قلت ومنه الكُنَاشَةُ : الأوراق تجعل كالدفتر
يقيد فيها الفوائد والشوارد لل ضبط . هكذا
يستعمله المغاربة . واستعمله شيخنا - يعنى
ابن الطيب الفاسي اللغوى - فى حاشيته
على هذا الكتاب كثيراً » ، يعنى حواشى
ابن الطيب على القاموس .

أما الخفاجي فى شفاء الغليل فيضبطه
بلفظ كُنَاش بضم الكاف وتخفيف التون
بزنة غراب ، ويقول : إنه لفظ سرياني
معناه المجموعة والتذكرة . وقد وقع هذا
اللفظ كثيراً فى كلام الحكماء ، وسموا به
بعض كتبهم .

(*) انظر التعقيبات على البعث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الخميس ٩ من ربيع
الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

وببحثي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء
للقفطي المتوفى سنة ٦٤٦ وجدته يذكر
الطبيب « يوسف الساهر » ويقول : « كان
طبيباً في أيام المكتفي الخليفة العباسي المتوفى
سنة ٢٩٥ » ثم يسرد من تصانيف يوسف
الساهر هذا : « كتاب الكناش » . وقال :
إنما سمي الساهر لأن سرطاناً كان في مقدم
رأسه ، فكان يمنع النوم ، فلقب الساهر
من أجل ذلك . ويقول القفطي : وإذا تأمل
متأمل كناشه رأى فيه أشياء تدل على أنه
كان به هذا المرض .

فهذا من أقدم التسميات . كما أن من
أقدمها ما عثرت عليه في كشف الظنون ،
من (الكناش المنصوري) للطبيب المعروف
محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١
صاحب الحاوي والطب الملوكي . ألف
هذا الكناش الأمير منصور ابن إسحاق
بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٣٠٢ .
وكذلك كناش أعين بن أعين الطبيب
المصري المتوفى سنة ٣٨٥ .

وأعتقد أنني بذلك قد أطلت واستطردت
في تعليل تسمية مذكراتي هذه باسم
« كناشة النوادر » . ولكنني بذلك لم أخرج
عن موضوع محاضرتي هذه .

وقد قيدت في هذه الكناشة على مدى
اشتغالي بالبحث والتحقيق زهاء نصف قرن

نحو ثلاثة آلاف مذكرة هي رعوس مسائل ،
أرجو إن مد لي في أجل الحياة أن أنشرها
مفصلة على هذا النحو الذي أشرف بتقديمه .

فمن طريف ما قيدته في هذه الكناشة
تفكير أسلافنا القدماء في أمور حضارية يزهو
بها عصرنا الحاضر ويعدها من مفاخره .

جراحة التجميل :

جاء في ترجمة الصحابي الجليل المقداد بن
الأسود الكندي أنه كان عظيم البطن ،
وكان له غلام رومي فقال له : أشق
بطنك ، فأخرج شيئاً من شحمه حتى تلتطف
أي تصير رشيقةً — فشق بطنه ثم خاطه .
فمات المقداد وهرب الغلام .

ولعل هذا أول تفكير في جراحة البطن
للتجميل ، نسمع به في عالمنا العربي القديم ،
القديم ، الذي سبق العالم الغربي في كثير
من أمهات الحضارة . الإصابة ٨١٧٩
محو الأمية :

كان العرب حراساً على إدماج أبنائهم في
التعليم ، ولا سيما حفظ القرآن الكريم ، بل
على إجبارهم عليه ، استجابة لأمر الكتاب .
فاذا أفلت أحدهم من قيد التعليم صغيراً رد
إليه كبيراً .

جاء في جبهة أنساب العرب لابن حزم
٨٣ في ذكر خالد بن عبد الله بن عمرو بن
عثمان بن عمان قواه : « وهو الذي أمر به
يزيد بن عبد الملك أن يحمل إلى الكتاب حتى
يتعلم القرآن مع الصبيان . فمات كمداً » .

فهذا سبق عربى فى الحرص على استدراك
تعليم من فاته التعليم ، وفى حرص الولاية على
تعميم التعليم .

تنظيم خدمة العملاء :

يزدحم الناس على العامل أو التاجر ، فيحدث
ذلك اضطراباً أو تدمراً أو صراعاً ، لا يعالجه
إلا تنظيم العملاء ، وهو الذى انتهى الأمر
فيه فى مدينتنا الحديثة بنظام الصفوف ، كما
هو واقع الآن فى التوين والمصارف ، ودور
اللهو ونحوها .

فلننظر إلى هذا النص من كتاب الحيوان
للجاحظ ٧ : ٢٦٢

وكان أهل المربد يقولون : لا نرى
الإنصاف إلا فى حانوت فرج الحجام ، لأنه
كان لا يلتفت إلى من أعطاه الكثير دون من
أعطاه القليل ، ويقدم الأول ثم الثانى ثم
الثالث أبداً حتى يأتى على آخرهم . على ذلك
يأتى من يأتىه . فكان المؤخر لا يغضب
ولا يشكو .

خيال الظل :

وهو الأصل الأول للسيمياء المعاصرة ، إذ
تتحرك الأشخاص . الأشكال خلف ستر
وقد سيطر عليها الضوء ، فتبدل صورها
متحركة من خلف الستر .

ومن أقدم النصوص التى سجلت فيها
هذه الظاهرة . قول ابن الجوزى المتوفى
سنة ٥٩٧ هـ أى منذ ثمانية قرون :

رأينا خيال الظل أعظم عبرة
لمن كان فى أوج الحقيقة راقى

شخص رأسكال تمر وتنقضى
وتننى جميعا والمحرك باقى

النجوم الزاهرة ٦ : ١٧٦ .

رايات العرب :

قد نظن أن رايات العرب كانت ساذجة
تتميز باختلاف ألوانها فحسب . والواقع
أنه كان لختلف القبائل فى أعلامها رموز
 وإشارات خاصة . قال المرزوقى فى شرح
المفضليات : « كانت راية تميم على صورة
العقاب ، وراية بنى أسد على صورة الأسد » .
شرح المفضليات ٣٤٧ دار المعارف .

اعياد الميلاد :

وجدت الاحتفال بها قديماً قبل سنة ٢٠٩
وعلى صورة رائعة غير مانشده اليوم .

قال المبرد : كان سعيد بن سلم إذا
استقبل السنة التى يستقبل فيها عدد سنه أعق
نسمة ، وتصدق بعشرة آلاف درهم : فقيل
للمدنى : إن سعيد بن سلم يشتري نفسه من
ربه بعشرة آلاف درهم . فقال المدنى : إذن
لا يبيعه . كامل المبرد ٣٣ : ٤١٥

وكانت وفاة سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلى
سنة ٢٠٩ كما فى النجوم الزاهرة .

وقد تظن أن الاحتفال بعيد ميلاد المسيح
بدعة حديثة ، وفي الحق أنه بدعة قديمة
جدا . ففي كتاب التحف والهدايا للخالد بن
ص ٩٧ :

كتب الحسين الضمحاك إلى أحمد بن
يوسف الكاتب ليلة عيد الميلاد يستهديه شمعاً :
وليلة ميلاد عيسى المسيح-

سبح قد طالبتني بميثاقها
فهني قدورى على نارها
وفاكهي ملء أطباقها
وبنت الدنان فقد أبرزت
من الخدر تجلى لعشاقها
فكن مهدياً لي فدتك النفوس
فجودك ممسك أرماقها
نظائر صفراً غدت فتنة
بلطف أنامل حذاقها
ومثل الأفاعي إذا ألهبت
واللروم زرقه أحداقها
ولم أر من قبلها أنفساً
تذيب الجسوم بإحراقها
وإن مرضت لم يكن برؤها
بشيء سوى ضرب أعناقها

وكانت وفاة أحمد بن يوسف الكاتب
وزير المأمون سنة ٢١٣ هـ

المرأة :

من أعجب ما وجدته في النصوص القديمة
ما ذكره صاحب القاموس في مادة (حسن)

أنه كان لعبد الملك بن مروان وهو من هو ،
مرجلة تتعهد شعره وترجله . ولا يقف عند
ذلك بل يعين اسمها فيقول : « واسمها
حسينة » .

وهذا مظهر حضارى ليس من السهل أن
يدور بخلد أحد من الباحثين .

و « حسينة » أيضاً : علم نادر من أعلام
النساء ، لم أجده نظيره إلا في « حسينة
اليسارية » صاحبة ابن ميادة الشاعر . وكانت
جميلة ، منسوبة إلى آل يسار من موالى عثمان
رضي الله عنه . وكانت حسينة هذه عند
رجل من قومها يقال له عيسى بن إبراهيم
ابن يسار . وكان ابن ميادة يزورها . وفيها
يقول :

ستأثينا حسينة حيث شئنا

وإن رغمت أنوف بني يسار
ودخل عليها زوجها عيسى يوماً فوجد
ابن ميادة عندها ، فهم به هو وأهلها ،
فقاتلهم ابن ميادة ، وعاونته عليهم حسينة
صاحبة حتى أفلت ، وقال في ذلك :

لقد ظلت تعاونني عليهم

صموت الحجل كاظمة السوار

وقد غادرت عيسى وهو كلب

يقطع سليحه خاف الجدار

الأغاني ٢ : ١١٠

أضخم مسيرة للنساء :

كانت وفاة الإمام العظيم أحمد بن حنبل في بغداد سنة ٢٤١ مثار حزن وأسى في ربوع بغداد . ووقع المأتم والنوح في أربعة أصناف من الناس : المسلمين ، واليهود والنصارى ، والمجوس ، كما يقول البغدادى في تاريخ بغداد .

ويروى بسنده إلى بنان بن أحمد القصباني أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل مع من حضر . قال : فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة ربع القطيعة ، وحرر من حضرها من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألف امرأة . فأى ضخامة هذه ، وأى حضارة تلك وأى تدينق ونظام ؟ ؟ تاريخ بغداد ٤ : ٤٢٢

نص نادر في النساء :

أورد البخارى في كتاب المغازى ٥ : ١٥٦ في غزوة الطائف أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل على النبي صلى الله عليه وسلم - وعندي تحت ، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية : يا عبد الله ، رأيت أن فتح الله عليكم الطائف ، فعليك بآبنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هؤلاء عليكم » .

والذى يعنينا في هذا النص هو تفسير تقبل بأربع وتدبر بثمان . ما الأربع وما الثمانى ؟ وكثيراً ما سئلت عن هذا التأويل : وقد أورده ابن حجر في فتح البارى ٨ : ٢٥ و ١٠ : ٢٨٠ وقال : معناه أنها تقبل بأربع

من العكن . والعكنة ، بضم العين : ما انطوى وتشى من لحم البطن سمناً . وأما إدبارها بالثمانى فلأن أطراف العكن الأربع التى فى بطنها تظهر ثمانية فى جنبها ، أربعة عن يمين ، وأربعة عن شمال .

وقد عثرت على رواية أخرى فى اللسان (ستت) : « فإنها تمشى على ست إذا أقبلت ، وعلى أربع إذا أدبرت » . يعنى بالست يديها وثدييها ورجليها . أى لهما لعظم ثدييها ويديها كأنها تمشى مكبة . والأربع رجلاها وأليتها ، وأنهما كادتتا تمسان الأرض لعظمهما .

تأصيل بعض الكلمات :

١ - البلاط بمعنى قصر الملك أو الخليفة . كثيراً ما نقرأ : تشريفات البلاط ، أخبار البلاط ، البلاط الملكى . والمعروف فى اللغة أن البلاط كسحاب : الأرض المستوية الملساء . وهو أيضاً : الحجارة التى تفرش فى الدار .

وهو كذلك كل أرض فرشت بالحجارة أو بالآجر . وفى اللغة أيضاً أن البلاط اسم لعدة مواضع وقربى ، منها بلاط مدينة الرسول الكريم بين المسجد والسوق وهو موضع مبلط . فالسكدة عربية قديمة كما أن استعمالها بمعنى القصر قديم جداً كذلك . وجدته عند المسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ عند الكلام على انزعاق نقفور للملك من رينى امرأة اليون بن قسطنطين فى سنة ١٨٧ ، وهى فى بلاط بنتة بالقسطنطينية . يقول المسعودى :

المسعودى : « والبلاط : القصر . وفي هذا البلاط
ميناء عليه سلسلة ، فيه ينزل رسل العرب
إذا قدموا للفداء . التنبيه والإشراف ١٤٢ .

وجاء في المعجم الوسيط أن البلاط قصر
الحاكم وحاشيته وذكر أن الكلمة معربة
والقول بأنها معربة مع أنها عربية اللفظ
وعربية الاستعمال أمر يحتاج إلى تصحيح .

فقد ورد في تسمية المواضع العربية بيت
البلاط ؛ من قرى دمشق بالغوطة . وكذلك
البلاط قرية بحلب يقول فيها الشاعر :

لولا رجاؤك مازرنا البلاط ولا

كان البلاط لنا أهلاً ولا سكناً

ودار البلاط : موضع بالقسطنطينية كان
سيف الدولة يحبس فيه الأسراء ، وقد ذكره
المتنبي في شعره كما ذكره أبو العباس
الصفري شاعر سيف الدولة وكان محبوساً
فضربه مثلاً وقال :

أراني في حبسى مقبلاً كأنني

ولم أغز في دار البلاط مقيم

وما بالنا نذهب بعيداً وشاعرنا الجاهلي
أبو داود الإيادي يذكر البلاط بمعنى
القصر المشيد في قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر

على رب أهله الساطرون

صرعته الأيام من بعد ملك

وعيم وجوه مكنون

ولقد كان في كتائب خضر
وبلاط يشاد بالآجرون

ديوانه ٣٤٧ والتاج واللسان (بلط)
والمعرب للجواليقي ٢١

البورى ضرب من السمك :

وهي تسمية لنوع من السمك شائعة
في مصر ، وقد يظن بعضهم أنها تسمية
حديثه ، حتى ذهب كثير إلى أنها نسبة
إلى بورسعيد . وإنما هي تسمية قديمة جداً ،
يرجع العهد بها إلى ما قبل زمن ياقوت
ابن عبد الله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦
قال في معجم البلدان : « بورة : مدينة على
ساحل بحر مصر قرب دمياط ، تنسب إليها
العمائم البورية والسمك البورى ، ومنها محمد
ابن عمر من حفص البورى » .

الشوربة والشوربجي :

الشوربة هي بالعربية الحساء أو المرق
ولاعلاقة لها بمادة (شرب) العربية .

جاء في الفتح الوهبي ١٢٨:٢ وهو
شرح لتاريخ أبي نصر العتبي عند ذكر جماعة
وقعت بنيسابور سنة ٤٠١ : « الشورباجه
فارسي معرب بمعنى المرق » . وأنشد قول
أبي محمد الزوزني :

والباب أغلقه عليك

موثقاً منه رتاجه

لا يفتضيك الجائعون

فقطختوك شورباجه

وصاحب القاموس والصاغاني كلاهما
لم ينص على الفذلكة وإن كان مفهوماً أنها
جملة الحساب والعدد .

وذكر المعجم الوسيط « الفذلكة » ،
وفسرها بأنها مجمل ما فصل وخلاصته «
وقرنها بعبارة « محدثة » مع أن الكلمة مولدة
توليدا قديما جدا . فقد وجدت في الفهرست
لابن النديم ص ١١٣ بمعنى نهاية التأليف
وحصيلته . قال في ترجمة أبي عمر الزاهد
المتوفى سنة ٣٤٥ : « ثم جمع الناس على قراءة
أبي إسحاق الطبري ، وسمى هذه القراءة
الفذلكة » .

وكانت وفاة ابن النديم أيضا سنة ٣٨٥
فالكلمة عمرها أكثر من ألف سنة . وليست
محدثة كما ذكر المعجم الوسيط .

كلمة الصابون :

في المعجم الوسيط أن الصابون الذي
تغسل به الثياب والأبدان ونحوها كلمة
دخيلة . وفي القول بأنها دخيلة نظر .
فصنيع صاحب القاموس يفهم منه أن الكلمة
عربية ، إذ يقول : « الصابون معروف
حار يابس مفرح للجسد » .

وصاحب شفاء الغليل لم يذكره في قليل
أو كثير . وهو إيجاء بأنه عربي .

أما الحواليقي (٥٤٠) في المعرب فقال
إنه أعجمي ، يعني أنه معرب وهو في
ذلك موافق لابن دريد (٣٢١) الذي قال
في الحمهرة ٣ : ٣٩٠ : « فأما طالوت

وفي معجم استينجاس ٧٦٥ أن شوربا
تعريب للفارسية القديمة « شوربا » . ومن
طرق التعريب عند العرب زيادة الحيم في
نهاية الكلمات المعربة كما قالوا في موزة
بمعنى الخف موزج ، وفي نشاسته بمعنى
النشا : نشاستج ، وفي بنفسه لتلك الزهرة
بنفسج ، وفي نهره بمعنى الباطل بهرج ،
وفي ديبا لضرب من الحرير : ديباج .

أما الشوربيجي فهي نسبة تركية إلى « شوربا »
لصانعها أو القيم عليها .

والمعجم الوسيط يجعل الشربة عربية مولدة
إذ قال : « الشربة : الحمرة في الوجه ،
وه مقدار ما يروى من الماء ، والخساء .
مولد » .

والحق أنها في استعمالها بمعنى الخساء معربة
تعريبا حديثا مأخوذة من التركية الآخذة
من الفارسية . وعربيتها : المرق والخساء .

الفذلكة :

في القاموس : « فذلك حساب » : أنها
وفرغ منه ، مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه
فذلك كذا وكذا « وهذا إشارة إلى أن
الكلمة منحوتة .

ومرجع صاحب القاموس هو نص
الصاغاني المتوفى سنة ٦٥٠ في التكملة : ٢٢٧٥
وبعده في التكملة : « وهذه الكلمة مثل
فهرس الأبواب فهرسة ، إلا أن فذلك ضارب
بعرق في العربية » .

وجالوت وصابون فليس بكلام عربي
فلا تلتفت إليه . وإن كان طالوت وجالوت في
التزليل ، فهما اسمان أعجميان . وكذلك
داود .

وقال صاحب اللسان : « : والصابون
الذي تغسل به الثياب معروف . قال ابن
دريد : ليس من كلام العرب » .

وجاء الأزهرى بعد ابن دريد بنحو
نصف قرن فذكر أنه معرب .

وكان الصابون معروفا زمان ابن قتيبة
المولود سنة ٢١٣ يقول في كتابه المعارف
٢٤١ : « وأول من عمل الصابون سليمان
ابن داود عليهما الصلاة والسلام » .

فكيف يقال في كلمة مثل هذه إنها
دخيلة ؟! لعل أقل ما توصف به أنها معربة ،
ومعربة تعريفا قديما أصيلا .

ولقد أنصفها العلامة ابن الطيب الفاسي
شيخ صاحب تاج العروس إنصافا بينا ،
قال صاحب تاج العروس : « قال شيخنا
— يعني ابن الطيب — : هو مما توافقت فيه
جميع الألسنة العربية والفارسية والتركية
وغيرها » .

ولقد ذهب استينجاس في معجمه ٧٧٧
إلى أن الكلمة في الفارسية مأخوذة من
العربية ورمزها بالرمز A .

في مجال التعبير :

كثيرا ما يحار المرء في اختيار اللفظ أو
العبارة ليعرب عما في نفسه .

١ — مثال ذلك أن يريد البكاء على عزيز
عليه فلا تجيبه عينه ولا دمعته ، وقد وجدت
في اللسان « الليث : التغبض : أن يريد
الإنسان البكاء فلا تجيبه العين » قال أبو
منصور : وهذا حرف لم أجده لغيره
ونحوه في القاموس .

٢ — ويريد أن يعبر عن يسخر بغيره
فيستعمل حركة معينة كأن يحرك له أنفه
ويقبضها .

وقد وجدت العرب قد عبروا عن هذا
المعنى الدقيق المشاهد في كل يوم في
اللسان : « ابن الأعرابي : كنّص إذا
حرك أنفه استهزاء . ويقال كنّص وجه
فلان ، إذا استهزأ به » ونحوه في القاموس .
٣ — ويريد أن يعبر عن الواحدة من
العظم بلفظ العظمة ، فيزجره علماء
اللغة المعاصرون ، ويأخذونه بأن يقول
عظم للجمع وللواحد أيضاً إن أراد .

وقد وجدت في تهذيب الأزهرى في
مادة (سهم) نقلا عن النضر بن شبل تلميذ
الخليل ، وكان ممن أقام بالبادية دهرأ طويلا
مقداره أربعون سنة « وجدت هذا النص
في مجال الكلام على سهام العرب : « والمريخ :
الذي على رأسه العظيمة ، يرمي بها أهل
البصرة بين الهدفين » .

ونقل هذا النص عنه صاحب اللسان .
ولا ريب أن لفظ « العظمة » مر عن
مؤث هو العظمة ، فتكون العظمة واحدة
للعظم .

٤ - ويتردد في ذكر أيام العرب ومغازيها
في التعبير عن قلة القوم بأنهم « أكلة جزور » .
وقد حدث هذا في غزوة بدر الكبرى ،
حين قال أبو جهل لجماعة قريش : « إن
محمداً وأصحابه أكلة جزور » .

وهي عبارة تحتاج إلى تفسير لم تذكره
المعاجم . وليس أعلى وأوثق من تفسير
الرسول الكريم لما حين سأل الغلامين
اللذين وجدا على الماء ، قال لهما : كم
القوم ؟ قالا : لا ندري . قال : كم
ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً
ويوماً عشرة . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « القوم فيما بين التسعمائة والألف »
وتفسيره أن أكلة الجزور يكونون
مائة عدداً .

٥ - وكثيراً ما نسمع هذا القول في التعبير
عن هوان الرجل الكريم في بلدة : « ليس
لنبي كرامة في وطنه » .

ونظنه حكمة حديثة ، أو نرجعه إلى
عصور الإسلام الأولى على أكثر تقدير .
والحق أنه أقدم من ذلك بكثير . عثرت
عليه في إنجيل يوحنا ٤ : ٤٤ . ونصه :
« وبعد اليومين خرج من هناك ومضى

إلى الجليل ، لأن يسوع نفسه شهد أنه
ليس لنبي كرامة في وطنه » .

وفي ظل هذا المعنى يقول المتنبي فيما
قال في صباه :

أنا في أمة تداركها الله

غريب كصالح في ثمود

وهو مسبوق في هذا بقول أبي تمام :

كان الخليفة يوم ذلك صالحاً

فيهم وكان المشركون ثموداً

من نواند التسمية

لأهل المغرب والأندلس بعض تسميات
لا تجرى على المؤلف . فنجد من أسمائهم :
حمود . ومنهم بنو حمود الأندلسيون
المتنمون إلى حمود بن ميمون بن أحمد
بن علي . وكان جدهم أحمد بن علي
هذا يسمى حموداً أيضاً كما في جمهرة
ابن حزم .

ومن أسمائهم أيضاً « عبود » . وحمود
وعبود تسميتان عريبتان فصيحتان . ومن
ضرب المثل به من العرب « عبود » نالوا .
فيه : « أنوم من عبود » . وكان عبداً خطاباً
أسود ، فغبر في محتطبه أسبوعاً لم ينم ، ثم
انصرف فبقي أسبوعاً نائماً . فضرب المثل به
لمن ثقل نومه .

وإذن فليس الأمر غرابة التسمية فحسب .
ولكنني وجدت نصاً لأبي حيان الأندلسي في
كتابه « النضار » الذي ذكر فيه أول حاله

واشتغاله ، ورحلته وشيوخه ، يقول فيه :
« وهم يسمون عبد الله عبودا ، ومحمدا حمودا »
ذكر هذا النص السيوطي في البغية ٦١

وهذا أيضا من النصوص النحوية النادرة .

وفيا يتعلق بالكنى والألقاب ، قال
أبو حيان في تفسيره ، عند قوله تعالى :
« ولا تنازروا بالألقاب » . قال : « وفي
الحديث : كنوا أولادكم . قال عطاء في
تعليل ذلك : مخافة الألقاب . وعن عمر :
أشيعوا الكنى فإنها سنة » .

ثم يقول أبو حيان : « ولا سيما إذا كانت
الكنية غريبة لا يكاد يشترك فيها أحد مع من
تكنى بها في عصره ، فإنه يطير بها ذكره في
الآفاق ، وتهادى أخباره الرفاق » .

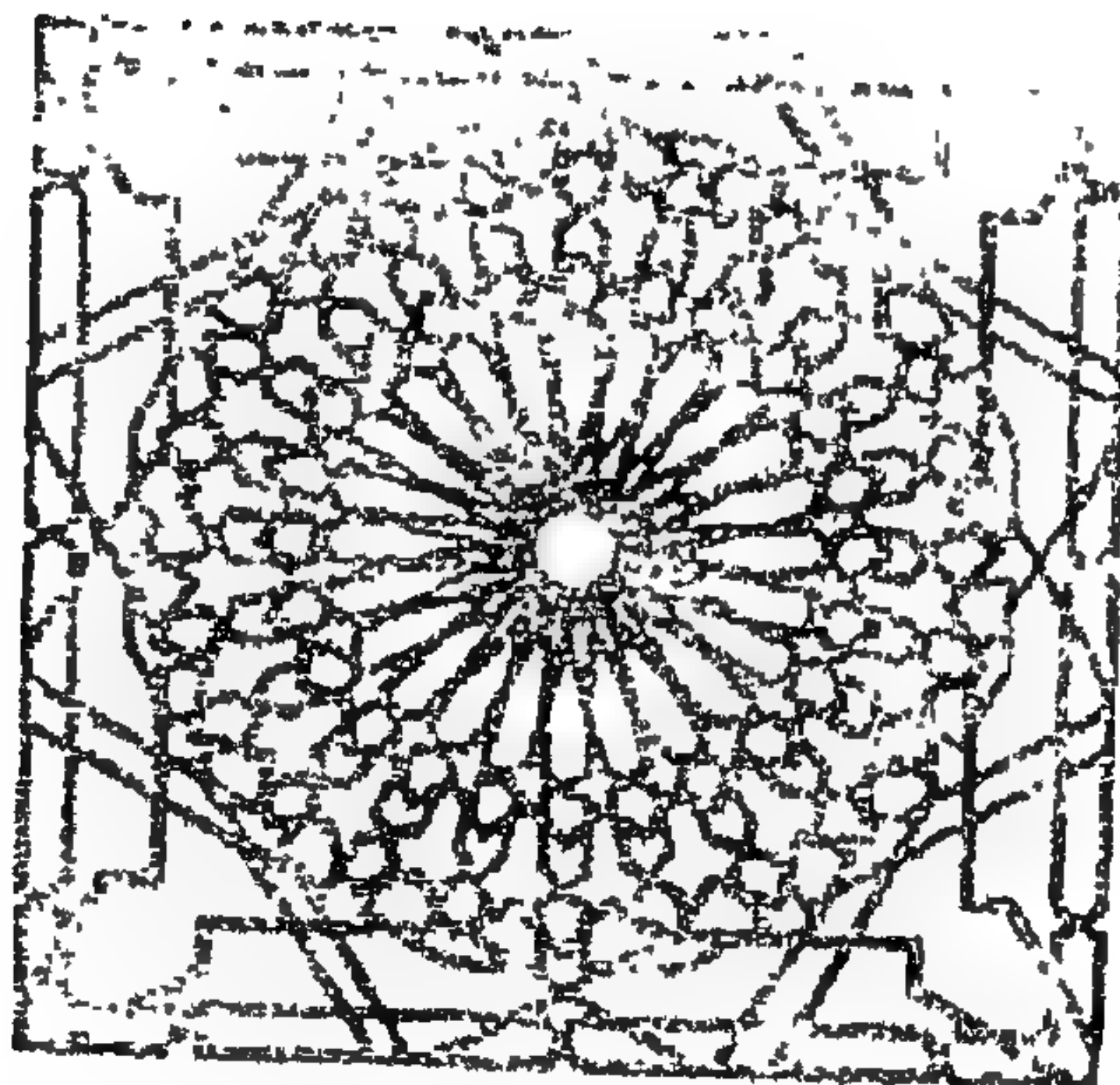
ويستدل أبو حيان على أثر الكنية من
واقعه الشخصي بقوله : « كما جرى في كنيتي
بأبي حيان ، واسمى محمد ، فلو كانت كنيتي :
أبا عبد الله ، أو أبا بكر ، مما يقع فيه الاشتراك
لم أشتهر تلك الشهرة . تفسير أبي حيان ٨ :
١١٣ .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

ونستطيع من نص ابن حزم السابق أن
نقول إنهم يسمون محمدا أيضا حمودا ، كما
سموا أحمد حمودا . فكأن هذه الصيغة
عندهم تسمية تدليل ، كما هو الشائع في
التسمية في وقتنا هذا .

وأهل المغرب والأندلس يتسمون بزيدون
وحمدون وفتحون ورحمون ، وحسون
وحفصون أو سمحون .

وتعليل هذه التسمية قد يرجع إلى إرادة
التفخيم بصيغة كصيغة الجمع . أو هو مطل ،
أى في الإعراب مع التنوين . وتعرب هذه
الأسماء إعراب الممنوع من الصرف . وفي
الأشيموني ٣ : ٢٦٣ أن أبا علي يمنع صرفها
للعلمية والعجمة ، ويرى أن حمدون وشبهه
من الأعلام المزيد في آخرها واو بعد ضمة ،
ونون لغر جمعية ، لا يوجد في استعمال عري
مجهول على العربية ، بل في استعمال عجمي



لغز

تَجَمُّعُ الْقُلُوبِ عَلَى الْحُبِّ

بدرستاز محمد عبدالغنى حسن

أَقَمْتُ فِيكُمْ أَمْتَالاً فِي الْمَهْرَجَانِ تَحْتَ عَطْفٍ حَالِيَاتٍ : الْأَمَانِ
يَتَمَشَّى الشَّبَابُ فِي مَفْرِقِ الطَّلَقِ وَيَبْدُو الرَّبِيعُ فِي أَفْنَانِي
فَكَأَنِّي فِيكُمْ رَدَدْتُ شِبَابِي وَأَعَسَدْتُ الَّذِي مَضَى مِنْ زَمَانِي
وَعَلَى مَنَكِبِي أَثْقَالُ عَمَرِي أَصْبَحْتُ كَالْهَبَاءِ فِي الْمِيزَانِ . .
كُلُّ لَقِيَا بِكُمْ تُجَدُّ جَدِيداً وَتُدَبُّ الْحَيَاةُ فِي شِرْيَانِي
يَأْرَجُ ! الطَّيِّبُ مِنْكُمْ فِي ثِيَابِي وَيَضْوَعُ الْعَبِيرُ فِي أَرْدَانِي . .
إِنْسَكُمْ لِلْعُرُوبَةِ الْيَوْمَ حَصْنِ مُسْتَطِيلُ الذَّرَا ، رَفِيعُ الْمَكَانِ
عَزَّ مِنْ صَارَ لَئِذَا بِحِمَاكُم يَا بَقَايَا الْفَصَاحِ مِنْ عَدْنَانِ !
نَسَبُ كَالضُّحَى تَأَلَّقَ ضَوْؤُهُ وَكُوجُهُ الرَّبِيعِ طَيْبَ مَغَانِي
أَنَا بِالْخَالِدِينَ أَطُولُ عُمُرًا لِي طَوْلُ الْمَدَى ، وَعَرْضُ الْجَنَانِ
كَيْفَ يَخْشَى الْفَنَاءُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَالَّذِي تَصْنَعُونَهُ غَيْرُ فَانِي ؟ ؟

* * *

التَّحِينَا مِنْ مُنْذُ عَامٍ وَعُدْنَا بَعْدَ عَامٍ إِلَى لِقَاءِ ثَانِي
دَوْرَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْعَمْرِ وَلَّتْ بِالَّذِي حُمِّلَتْهُ مِنْ حَادَثَانِ
نُثِرَ الْعِقْدُ مِنْ يَدَيْنَا ، فَصَرْنَا وَقَدْ انْقَضَ بَيْنَنَا نَجْمَانِ

(*) أَلْقِيَتِ الْقَصِيدَةُ فِي الْجُلُوسَةِ الْخَامِسَةِ لِمَوْتَمَرِ الْجَمْعِ فِي الدَّوْرَةِ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ بِجُلُوسَةِ السَّبْتِ : مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ
رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ١٣٩٩ هـ ، الْمَوَافِقِ أَوَّلِ مَارِسِ سَنَةِ ١٩٧٩ م .

فخسرنا (الخفيف) في ساحة الفقد سه وزاد الخسار في (عثمان)
 كان (عثمان) لي رفيقاً رقيقاً وصديقاً كما أراه يراني
 إنَّ خطباً فرداً يكون [الْجُساماً]... كيف [لَوْ] حَلَّ [بيننا] خطبان ؟

ذهبت كل ليلة بمعمان وأتت كل ليلة بمعماني
 ليت شعري! لماذا وراء الليالي من فراق الأحباب والأطعان ؟
 وهل الضاربان في مشرق الأر ض وفي غربها سيلتقيان ؟
 أذن الله أنفسنا نتلاقى بعد طول المسير والدوران . . .

* * *

جمع الله شملنا بعد عام حافل بالأفراح والأشجان
 شغلنا الجراح في قلب (أصنعا) (أودامي الجراح في (لبنان)
 أي خطب دهي العروبة حتى أصبحت لوحة بلا ألوان ؟
 نصل اللون في الورود . . . وغابت رقرقات العبير في البستان
 ذهبت كل روعة للموازين وأ ضحت شعراً بلا أوزان . . .
 لا تقولوا : أوهام شيخ يؤوس قد أقام الدعوى بلا برهان !

* * *

ما يبلغنا ياساً ولكن نفثنا رب نفث أراح صدر العاني !

* * *

لست أخشى على العروبة صدعاً فهي صرخ موطد البنيان
 كل خلف سينتهي لوفاق كل خوف سينتهي لأمان
 لا يضير النفوس - إن هي شفت - كل ما ثار بينها من دُخان . . .

أَمَلِي فِي الْعُرُوبَةِ الْيَوْمَ قَدْ زَادَ وَيَزِدَادُ عِنْدَهُمَا إِيْمَانِي
 كَيْفَ نَخْشَى تَفْرِيقَ مَا جَمَعْتَهُ مُحْكَمَاتُ التَّنْزِيلِ فِي الْقُرْآنِ ؟
 (بِنْتُ عَدْنَانَ) أَلْفَتْ مِنْ قَدِيمٍ بَيْنَ أَهْلِ الْهَضَابِ وَالْكَثْبَانِ
 لُغَةً تَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْحُبِّ فَتَمْضِي مَوِيَّةً فِي الْعَنَانِ
 رُزِقْتَ دَقَّةَ الْأَدَاءِ ، فَأَدَّتْ كُلُّ مَا فِي الضَّمِيرِ وَالْوَجْدَانِ
 دَخَلَتْ كُلُّ مَسْرَبَةٍ لِلْمَعَانِي سَلَكْتُ كُلَّ مَسْلَكٍ لِلْبَيَانِ
 فَهِيَ سِيَانٍ إِنْ تَمَثَّلَ فِيهِمَا آبَدُ الْوَحْشِ أَوْ (صَرِيحُ الْغَوَانِي)
 وَإِذَا شَتَّ فَهِيَ طَرَقُ قُيُونٍ وَإِذَا شَتَّ فَهِيَ عَزْفُ قِيَانٍ . .
 كُلُّ مَعْنَى لَهُ عَلَى الْقَدِّ لَفْظٌ فَهِيَ فِي السَّوَاءِ يَلْتَقِيَانِ
 كُلُّ حَرْفٍ يَلْتَفُّ حَوْلَ أَخِيهِ مِثْلَمَا التَّفُّ فِي الْهَوَى عَاشِقَانِ !

* * *

لُغَةٌ يَلْتَقِي بِهَا الْهَمْسُ بِالْعَجْهِ سِرٌّ وَلُطْفُ الْإِسْرَارِ بِالْإِعْلَانِ
 وَلِكُلِّ مَوَاطِنٍ . . لَمْ تَجَاوِزْ مَا يُرِيدُ الْمَسْكَانُ مِنْ إِمْسَاكِ
 حَسْبُهَا أَنَّهُ تَبَيَّنَ . . . وَتَجَلَّوْا مَا تَرِيدُ الْحَيَاةُ مِنْ تَبْيَانِ
 تَنْقُلُ الْفِكْرَ فِي بَيَانٍ دَقِيقٍ رُبَّ فِكْرٍ يَضِيقُ بِالْكَتْمَانِ . . .

* * *

لُغَةُ الْجَمْعِ . . لَا تَفَرِّقُ إِلَّا بَيْنَ أَعْلَى شَأْنٍ وَأَصْغَرِ شَأْنٍ
 رَقَّ فِيهَا الشَّفِيفُ مِنْ كُلِّ لَفْظٍ دَقَّ فِيهِمَا الْعَنِيفُ فِي الْأَذَانِ
 وَسِعَتْ كُلَّ مَا حَسَوَى الْكُونُ حَتَّى لَمْ تَضُقْ بِالْمَحْصَارِ وَالْمَرْجَانِ
 تَضَعُ اللَّفْظَ لِلْوَطَى مِنَ الْأَرَضِ وَلِلشَّامِخِ الْبَعِيدِ الرُّعَانِ

ثم تُضْفِي على المعاني ظلالاً لم تدّر في الظنون والحسبان
فهي ، فيها ما في الطبيعة من سحرٍ وما في الصنيع من إحسان . . .

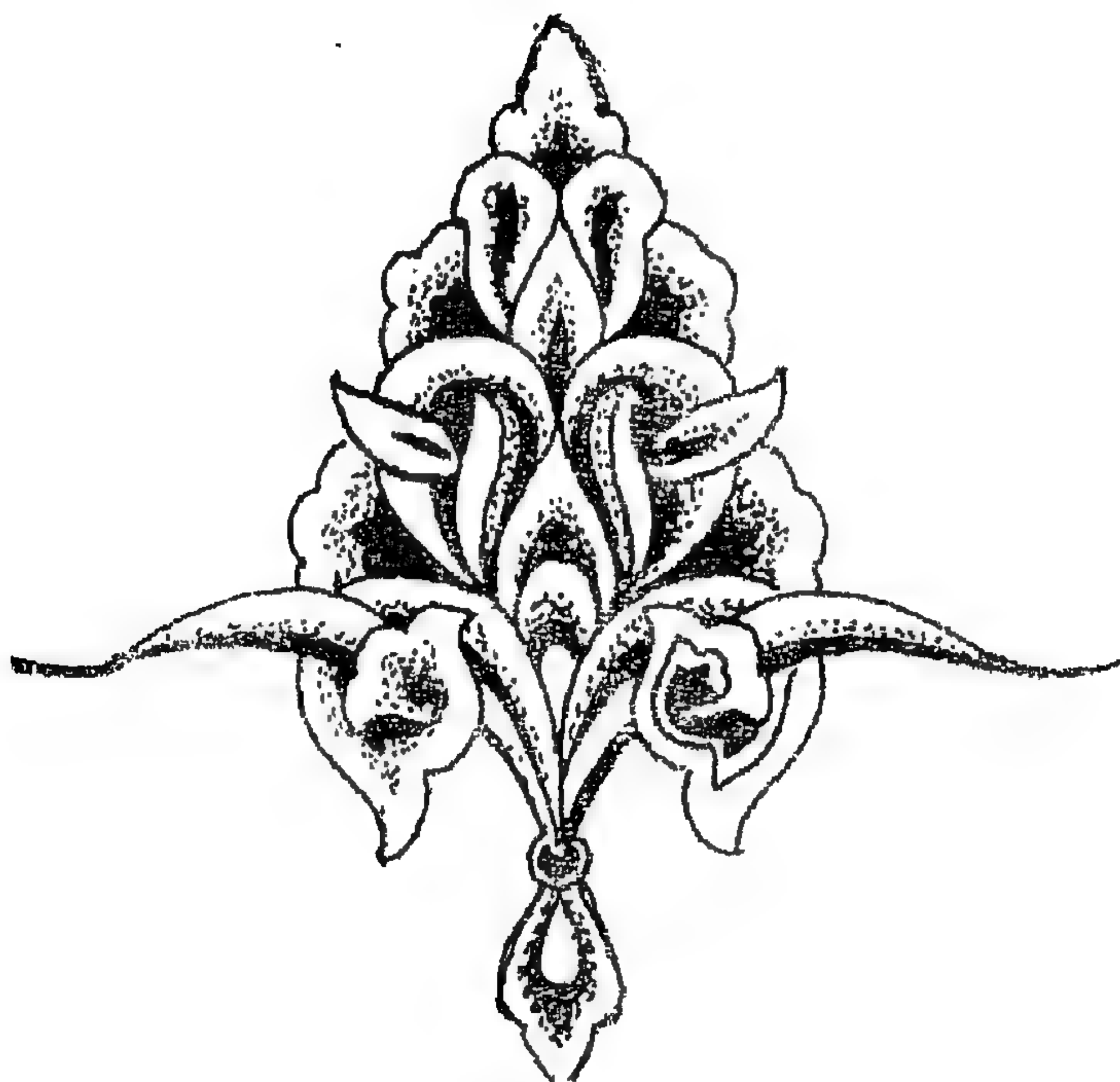
* * *

لغة تسبق النسيم إلى القلب وبِسرَد السُّلالِ المظمآن
هان أنا نرى المنيّة فيها لو أُصْبِنَا فيها ببعض الهوان ..
ضمن الله حفظَهَا بكتاب فهي تحظى منه بأوفى ضمان . .

* * *

إنّ من فَرَّق العُروبة أرضاً لم يُفَرِّق منا سوى الأبدان
نحن إن نجتمع على اللغة الفصيح حتى سنبقى في وحدة وكيان
نحنُ بالفكر نلتقي . . . والبيان وهي لقيا تطوى حدود الزمان.

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



من نصريف الضمير في القرآن الكريم

للمستاذ علي النجدي خالص

لم تعرف

الدنيا فيما طوت من
دهرها الأطول . ولا تعرف
فيما تشهد من حاضرها المائل ، ولن تعرف
فيما تستشرف من أبدعها القابل - كتابا
نزل من السماء ، أو خرج من الأرض ،
فصنع للبشرية مثل ما صنع القرآن
الكريم

لقد جاءها بدستور إلهي ، ينظم حياتها ،
ويقوم الأمر فيها على قواعد راسيات من
التراحم والتواد ، ومن العدل والحرية ،
ومن الإنحاء والمساواة ، وهو بعد معجزة
البيان الخالدة ، براعة نظم ، وإشراق
بيان ، وشرف رسالة ، وبلاغة حكمة ،
واستقامة هدى ورشاد .

فلم يكن عجيبا ولا مستغربا أن يؤخذ
الناس به ، وينشطوا إقبالا عليه عصر بعد
عصر ، يدرسونه ، ويتدبرون آياته ،
فكان من ذلك ، وبتوفيق من الله وعون -

أن اشتقت منه علوم ، ووضعت له علوم ،
ودارت حوله دراسات وبحوث ، لا ينفرد
بذلك أهل لغته والمؤمنون به ، ولكن -
يشاركهم فيه جمهرة عظيمة من أولى العلم
وأصحاب المزية هنا وهناك وسيظل ينبوع
معارف ومصدر وحى وإلهام على تعاقب
العصور والأجيال . وبكل لغة ذات حياة .

ومن عادة القرآن ألا يلتزم في التعبير
نهجا واحدا ، ولكنه يفتن فيه ما شاء ،
فهو حينما يأخذ على مقتضى الظاهر ، فإذا
بيان أبليج ، كأنه فلق الصبح وضوحا
وإشراقا ، وحينما يذهب مع المعنى ،
ويؤثره على النظم في نمطه المعتاد ، إلناشئة
من إشارة لطيفة ، أو لمحة دقيقة ، فيكون
من ذلك - فيما يكون تخالف بين الضمير
ومرجعه ، أفرادا وتشنية وجمعا ، وتذكيرا
وتأنيثا ، إلى ضروب أخرى من التخالف
تنطوي على أسرار مكنونة ، وحكم مصونة .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م).

ولعمري ما هذه وتلك إلا معالم يقيحها
التنزيل الحكيم مواقف تدبر وإمعان
لا يملك القارئ المستبصر إلا أن يقف
عليها ، وينظر فيها لعله ظافر منها بنفحة
من غيبه أو ومضة من نوره ، تطيب بها
نفسه ويخشع لها قلبه ، ويزيد بها إيمانه
قوة ورسوخا .

ولقد نالت هذه التشابهات حقها المقسوم
من عناية أسلافنا المكرمين . عكفوا عليها
لا يألونها درسا وبحثا ، غير أنهم كانوا
في جملة الأمر يعولون في أمرها على علوم
اللغة ، يستقتونها ، ويحتجون بشواهدا
ولا يكادون يعدلون بها بدلا ، أو يلتمسون
من سواها عونا .

ولعلوم اللغة في هذا المقام شأن مذكور ،
لا مرأى ولا خلاف ، لأنها قوانين العربية
والعيار عليها .

والعربية هي اللسان الذي اختاره الله
- تعالت حكمته - لكتابه الكريم لكن
علومها ليست هي المرجع الوحيد في كل
مقام ، فهناك أولا القرآن نفسه ، ليس
كمثله شيء تأويلا لمتشابهه ، وتفصيلا

لمجمله ، وكشفاً لأسراره ، في مواطن
مختلفات .

وإذن يكون التعويل على علوم اللغة
وحدها قصورا ، لا يؤمن معه التكلف
والاعتساف فإذا التأويل بعيد ، والمعنى
معه هزيل ، وإذا الذوق والإحساس بمضيعة
من القضية ، كأن ليس لهما فيها عمل
أصيل ، ولا رأى رشيد ، وإنهما لمناط المتعة
والاقتناع ، وعدة التأثير والانفعال .

ثم هناك مع القرآن الكريم في هذا
المقام واقع الحياة ، وسنة الله في الوجود .
وإني مورد هنا ثلاثة أمثلة من الآيات
جرى فيها تصريح الضمير على خلاف
مقتضى الظاهر ، ثم أحاول أن أكشف
سر هذا الخلاف على ما يبدو لي أنه الرأي
والله وحده هو العليم بما يريد .

أول هذه الأمثلة عن المنافقين ، وثانيها
عن وأد البنات ، وثالثها عن الأنعام .

والمنافقون الذين نعيهم هم الذين قال الله
فيهم : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ
النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ،
وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١)

إنهم - كما تصفهم الآيتان - قوم
آمَنُوا بِالسُّنَنِهِمْ ، وكَفَرُوا بِقُلُوبِهِمْ .
ويشبههم الله تعالى بما يزيد حالهم وضوحاً ،
فيقول : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ
نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ
بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) (٢)

ونلاحظ أن مسترق النار في الآية مفرد ،
وقد وصف بلفظ « الذي » وهو الاسم
الموصول الذي يوصف به المفرد ، وأسند
إليه الفعل « استوقد » كما يسند إلى
المفرد ، وعاد عليه الضمير المتصل بكلمة
« حوله » ، وهو ضمير المفرد أيضاً ،
لكن الضمير « هم » في كل من « نورهم »
« وتركهم » ولا يبصرون » ضمير الجمع
المذكر العاقل . فقد اختلفت هنا الضمائر
وما تعود عليه . هو مفرد وهي لجمع .

ولقد نظر العلماء في هذا الخلاف ،
ولكنهم لم ينتهوا فيه إلى رأى جميع فقال
الفراء ، « ضرب المثل - والله أعلم - للفعل :
لا لأعيان الرجال وإنما هو مثل للنفاق .
وعلى هذا يكون التأويل : مثل فعلهم كمثل
فعل الذي استوقد ناراً . فلما أضاءت ما
حول الفعل ذهب الله بنورهم . وهو تأويل
غير مقبول ، لأن لفظ الفعل ليس مذكوراً
وليس في الآية ما يشير إليه ، فكيف
يعود الضمير عليه ، ثم إن الأشبه بالمنطق
أن تضيء النار ما حول المستوقد ،
لا ما حول فعله . ويمضي الفراء فيقول ،
« وإنما قال الله - عز وجل - ، (ذهب
الله بنورهم) لأن المعنى ذهب إلى المنافقين (٣) ،
يريد أن المعنى في الآية هم المنافقون ، ولهذا
كان استعمال ضمير الجمع . ولا أدرى
أهذا الذي يقوله الفراء شيء خصت به
الآية ، أم هو الجائز في كل كلام ؟
وإذن تكون الفوضى والتخليط . »

ورأى ثان أن (الذي) مفرد لفظاً ،
لكنه في المعنى نعت لما له أفراد ، والتأويل

(١) سورة البقرة : ١٣ ، ١٤

(٢) سورة البقرة : ١٨

(٣) معاني القرآن : ١٥

على هذا مثلهم كمثل الجمع الذى استوقد ناراً . ولا أدري هل اشترك الجمع فى إيقاد النار أو عهدوا به إلى أحدهم ، فناب عنهم فى التعبير كما ناب عنهم فى الإيقاد . ورأى ثالث يشبه هذا فى دلالة ، وإن خالفه فى صياغته (١) .

لم يبق إذن إلا أن نرجع إلى الآية ، ونعيد النظر فيها ، لعلنا نهتدى إلى رأى نرتضيه ، فماذا هناك ؟ هناك ضمير حوله يطابق مرجعه وضمير كل من نورهم - وتركهم ولا يبصرون لا يطابقه ، وليس لها مرجع مذكور فهل ، علينا إذا ادعينا أن مستوقد النار ليس وحيداً ، ولكن له أصحاباً يشاركونه فى الصورة ، رمزت إليهم الآية بضمائرهم وغنيت بذكرها عن ذكرهم ، فالضمير يشير إلى صاحبه ، ويكنى عنه .

فأين نجد هؤلاء الأصحاب ؟ نجدهم فى القرآن نفسه ، إذا التمسناهم حيثما تذكر نار الدنيا نعمة للناس ومآعاً ، كما ذكرت هنا فى هذه الآية ، هم إذن فى قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ،

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) (٢) أى النازلين فى القواء ، أى القفر .

والقرآن كل متآلف ، وصرح متماسك ، فإذا نحن وصلنا هذه الآيات بآية البقرة ، وقرنا مستوقد النار هنا إلى أصحاب النار هناك جاز لنا أن نقول : إن مثل المنافقين عند الله كمثل جماعة من سراة الليل ، وجدوا فى أنفسهم حاجة إلى التعريس ، لعلهم يقسيبون شيئاً من راحة ومتاع وها هم أولاء قد عن لهم منزل صالح - لما يبتغون ، فأتوه ، وألقوا رجالهم وتقدم أحدهم فأوقد ناراً وفاءً لمطلب يراد ، فاشتعلت النار ، وأضاء نورها ، ثم لم تلبث أن طفت ، فإذا هم جميعاً مظلّمون .

فأما سرى الليل فيحكى هنا رحلة الحياة الضالة التى يحيها هؤلاء المنافقون ، وأما الإحساس بالحاجة إلى التعريس - فيحكى إحساسهم بالحاجة إلى ثقة المؤمنين بهم واطمئنانهم ليتقوا سخطهم وما قد تجلبه عليهم المناقضة والخلاف ، وما لهم فى ذلك حيلة إلا أن يتملقوهم ويقولوا لهم بألسنتهم مثل ما يقولون .

(١) البحر المحيط : ١ : ٧٤ - ٧٦ ، وروح المعاني : ١ : ١٥١ ، ١٥٢

(٢) سورة الواقعة : ٧١ - ٧٣

وأما النار التي استوقدها صاحبهم فهي الكلمات المؤمنة يقولها كل قائل منهم لمن يلقاه من المؤمنين ، فتخرج من بين شفتيه ولها وميض وإشراق ، وإن كانت لتخفى تحتها ظلاما حالكا ، كالنار الموقدة ، تضيء ما حولها ، وإن من تحتها لرمادا هامدا . وإذا ما انقلب إلى شياطينه ، وخلا إليهم لبس لبسهم ، وكان واحدا منهم في سره وجهره ، فإذا هم جميعا من الضالين المكذبين .

أما وأد البنات ، فإثم كبير ، لم يكن يتعاطاه إلا قلة من عرب الجاهلية ، أما الكثرة الغالبة فكانت تكرم الأنثى ، ولا تبخسها حقها ، على قدر ما تأذن به حياة البادية ، وتقاليدها الموروثة . فهذا مرة بن محكان ينزل به أضياف له ، فيدعو زوجته في رقة بالغة وعدوبة فائقة أن تنهض إلى رحالهم ، فتضمها إليها إذ يقول :

ياربة البيت قومي غير صاغرة ضمن
إليك رحال القوم والقربا^(١) .

وهذا معن بن أوس ينكر على من يبغض بناته بغضهن ، ويشيد بما آتاهن الله تعالى من حنو ووفاء ، فيقول :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم
وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن - والأيام يعثرن بالفتى
نوادب لا يملنه ونوائح^(٢)

وهذا أب كان يطمع أن يرزق مولودا ذكرا ، فجاءته زوجته بأنثى ، فغضب وهجر بيته ، ونزل على جار له ، فقالت زوجته تعاتبه في وداعة ورفق ، وتحاول أن ترد عليه ما عذب من صوابه فتقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبا إن ألا نلد البنينا
ليس لنا من أمرنا ما شيا
وإنما نأخذ ما أعطينا

ويسمع الأب الغاضب الرجز ، فيهرع إلى بيته آسفا ، فإذا الأم تناغى صغيرتها في حنان وحب أصيل ، فيشب

(١) ديوان الحماسة : ٢ : ٢٤٢

(٢) الامالي : ٢ : ١٩٠

(٣) الكشف : ٢ ؟ : ٣٤٨

إليها، ويلتقط الطفلة من بين يديها
يضمها إلى صدره مشوقا نادما، ومن سادة
العرب من كان يفتدى الموءودة من
حرما له، رحمة بها وإبقاء عليها.

وهناك الشعراء العرلون، كانوا يلهمجون
بالأنثى، ويتزلفون إليها رغبة وشوقا
أو حنينًا وإكبارًا .

أما أصحاب الوأد فجماعة من قساة
القلوب، أضلهم الله وأعمى أبصارهم
فبدت لهم الأنثى كلا ثقيلا، وخلقا
مأجزا، لا تكسب رزقا، ولا تحمل
رمحا، وقد تساق سبية في غارة من
متغلب ذي بأس شديد، فتجلب عليهم
الخزي والعار فهانت عليهم، وأنكروا
عليها حق الحياة، ورأوا أن بطن الأرض
خير لها من ظهرها .

وقد نهى الله عن الوأد وأكبر إثمه، وتوعد
عليه، ووعد مقترفيه أن تيرزق أولادهم
ويرزقهم معهم قال: (ولا تقتلوا
أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم
وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا)^(١) .

ويصف الله تعالى حال الأب من
ولاء حين تعجبه البشرية بمولد أنثى،
فيقول: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى
ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى
من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه
على هون أم يدسه في التراب ألا ساء
ما يحكمون)^(٢) !

ويلاحظ أن البشرية كانت بأنثى،
وأن الضمير في كل من «يمسكه» و«يدسه»
لذكر وإذن لم يطابق الضميران مرجعهما
ونحن إذ ننظر في الآية لعلنا نهتدي
إلى توجيه نرتضيه لهذا التخالف
لا نجد فيها مما قبل الضميرين
ما يصلح أن يكون مرجعا لهما إلا لفظ
«ما» في قوله تعالى: (ما بشر به)، فهو

اسم موصول مشترك، يستعمل للمؤنث
كما يستعمل للمذكر فهو إذن واقع
في معناه موقع الأنثى، وهو في لفظه
مذكر، فيصلح أن يكون مرجعا
للضميرين .

(١) سورة الاسراء : ٣١

(٢) سورة النحل : ٥٨ ، ٥٩

توجيهه - لعمري سليم في شرعة النحو،
 لكنه مشوب في شرعة الذوق والطبع ،
 لأن « ما » الموصولة موضوعة أصلا لما لا
 يعقل ولا تستعمل للعاقل إلا قليلا ،
 وبعون من التأري ، ثم إن إحلالها
 محل الأنثى هنا يجعل تأويل الآية :
 يتواري من القوم من سوء الأنثى وهو
 لا يتواري من سوءها نفسها بل من
 سوء البشرى بها كما يصرح به ظاهر
 الآية ، وكما في قوله تعالى في الآية
 الأخرى : (وإذا بُشِّرْ أَحَدُهُمْ بما ضرب
 للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو
 كظيم) .

فلندع إذن هذا التوجيه جانبا ،
 ولنلتمس سر التخالف الذي ذكرنا عند
 الأب وما يعجيش في نفسه من مشاعر
 ويدور في خلدته من خواطر ، حين
 جاءت البشرية ، سنراه - كما تصفه
 الآية ظاهرا وباطنا - أبيا قاسيا حقودا ،
 لا تعطفه على أنشأه عاطفة من أبوة ،
 ولا تأخذه بها نسمة من رحمة ، يبغضها

أشد البغض ، حتى ليستحل أن يسلبها
 حق الحياة بغيا وعدوا .

وهو أولى أن يسلبها حقها في اللغة
 أيضا ، فلا يذكرها بضميرها الذي
 وضع لها ، حين يسائل نفسه عما
 يصنع بها ، نفورا منها ، وضنا به
 عليها كما يفعل المغيظ المحنق إذا
 أسفل عمق وليس أقرب منه ، ولا
 أسرع إليه من ضمير المذكر فالذكر - لا
 الأنثى - هو الذي يتراءى في خياله
 وهو الذي يغلبه على وعيه وانتباهه
 إنه حلم اليقظة ، ومنية النفس ، وقرة
 العين ، فالتخالف بين الضميرين ومرجعهما
 ينطوى إذن على الليفة بارعة من لطائف
 الإعجاز الذي اختص الله به القرآن
 الكريم . إذ يصور حقد الأب رمزا
 وإيماء بعد ما صورته تصريحاً وتقريراً
 وهي الإيماء الدقيقة إلى خواطر السوء
 ومشاعر الحقد التي تضرب في نفس
 الأب الكنود .

وأما الأنعام فقد ذكرها الله تعالى
 في كتابه الكريم ثمانية وعشرين مرة ،

عوملت فيها على ما يقتضيه ظاهر اللغة
في ضميرها والإشارة إليها ، وفي
الإسناد أيضا ، فقال سبحانه : (والأنعام
خلقها لكم فيها ذفء ، ومنافع ،
ومنها تأكلون) ^(١) وقال : (وقالوا
هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها
إلا من نشاء بزعمهم) ^(٢) .

وذكرت مرتين لمقصد واحد ، لكن
عاد عليها في إحداها ضمير المؤنث ،
وعاد عليها في الأخرى ضمير المذكر
أما الأولى ففي قوله تعالى : (وإن لكم
في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ،
ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) ^(٣) .
وأما الأخرى فقوله سبحانه : (وإن لكم
في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه
من بين قرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين) ^(٤) .

فالآيتان تذكران أن في خلق الأنعام
عبرة ، وفي لبنها نعمة ، وتوشك
العبارة فيهما أن تكون واحدة
وكل ما بينهما من فرق أن الأولى

(١) سورة النحل : ٥

(٣) سورة المؤمنون : ٢١

(٥) الكتاب : ٢ : ١٧ : ٣٠ : ٢٣٠

تذكر أن لنا منها سقيا ، ثم إنها تعيد
ضميرها المطابق لها كما تصنع سائر
الآيات . أما الأخرى فتسمى الشراب
الذي يخرج منها وتصفه ، وتحدد
مسيله ، ثم تعيد عليها ضمير المفرد
المذكر ، دون سائر الآيات

وقد نظر علماؤنا السابقون في هذا
التخالف بين الضمير ومرجعه ، ففرقت
بهم السبل فيه ، فقال سيبويه في باب ما لا
ينصرف : « وأما أفعال فقد يقع للواحد ،
ومن العرب من يقول : هو الأنعام . وقال الله
عز وجل : (نسقيكم مما في بطونه) ^(٥)
وقال في باب ما لحقته الزوائد من
بنات الثلاثة من غير الفعل : وليس
في الكلام . . . أفعال إلا أن تكسر
عليه اسما للجمع ^(٦) وفحوى هذين النصين
أن سيبويه يرى أن صيغة أفعال جمع
لكنه مصروف ، وأن الأفراد لغة فيه .
وإذن يكون تذكير ضمير الأنعام عنده
آخذ على هذه اللغة فلا تخالف إذن
في الآية بين الضمير ومرجعه .

(٢) سورة الأنعام : ١٣٨

(٤) سورة النحل : ٦٦

(٦) المصدر السابق ٢ : ٣١٦ : ٣ : ٢٤٧

وقال الفراء: وأما قوله: (مما في بطونه)
ولم يقل في بطونها - فإنه قيل والله
أعلم إن النعم والأنعام شيء واحد، وهما
جمعان، فرجع التذكير إلى معنى النعم
إذ كان يؤدي عن الأنعام، ثم قال:
وقال الكسائي: (نسقكم مما في
بطونه) بطون ما ذكرنا، وهو صواب^(١).

وقال الزمخشري: يجوز أن يقال
في الأنعام وجهان: أحدهما أن يكون
تكسير نعم . . . ، وأن يكون اسما
مفردا مقتضيا لمعنى الجمع، فإذا ذكر
فكما ذكر نعم في قوله:

أكل عام نعم تحوونه

يلقحه قوم وتنتجونه

وإذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير
نعم، وأنه في معنى الجمع^(٢):

وأكتفى بهذا القدر من آراء علمائنا
الأولين، وهى آرائها في المباحث
اللغوية وزن كبير لكنهما - والأمر لله -

لا تجيب عن سؤال لا يزال يحوك
في الصدر، وهو: لماذا جاء ضمير
الأنعام مفردا مذكرا في آية النحل دون
سائر الآيات التي لها ذكر فيها، حتى
آية المؤمنون عى ما بينهما من تشابه
كبير في المعنى والعبارة.

لم يبق إذن إلا أن نرجع إلى الآيات.
لعلنا واجدون عندها الجواب، ونحن
إذ نفعل نجد آية المؤمنون لم تذكر
من الأشربة التي تخرج من حيوان
أو حشرة إلا لبن الأنعام - هو إذن
في موطنه وحيد لا يقابله من نوعه مقابل
أما آية النحل فتذكر عسل النحل مع
لبن الأنعام، حيث يقول الله سبحانه:
(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل
ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب
مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، إن
في ذلك لآية لقوم يتفكرون)^(٣).

(٢) الكشاف: ١ : ٢٨٥

(١) معاني القرآن: ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩

(٣) سورة النحل: ٦٩

فالأنعام ولبنها يقابلان هنا النحل وعسلها ، لكن الأنعام تخرج لبنا ، لا يختلف لونا ولا طعما ولا رائحة ، أو يكاد . وهى إذن جمع عددا ومفرد أو فى حكم المفرد لبنا ، ولا يـ كذلك النحل ، فهى تخرج شرابا مختلفا ألوانه ، فأبيض ، وأصفر وأحمر ، وأدكن . وهو مع ذلك - مختلف رائحة وطعما بحسب ما ارتشفه النحل من رحيق الثمرات وهى إذن جمع عددا وعسلا وإذن يناسب الأنعام هنا ضمير المفرد المذكر ، ويناسب النحل ضمير الجمع لغير العاقل وفى ضمير كل إشارة دقيقة إلى خصائص ما يخرج منه من شراب .

ويصطنع القرآن الكريم هذا النوع من الرمز بالضمير فى مواطن أخرى ، منها ، قوله تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ، واللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ)^(١) فضمير (يرضوه) مفرد ، واللّٰهُ وَرَسُولُهُ اثنان فى العدد لكنهما واحد فى حق الاختصاص بالإرضاء لذلك جاء التعبير هنا رمزا بالضمير ، وترك التعبير عنها تصريحاً لقوله تعالى

فى موطن آخر : مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)^(٢) ومن مواطن هذا الرمز أيضا قوله سبحانه : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)^(٣) فهاتان الطائفتان تظلمان على حالهما طائفتين ما أمسكتا عن القتال ، أما إذا اقتتلتا فقد انفرط العقد وانتشر الجمع ، وإذا هما فردا فردا لطائفة ، وصح حينئذ أن يرمز لهذا التفرق بضمير (اقتتلوا) حتى إذا ثابتا إلى الرشد وجنحتا للسلم ، فقد رجعتا إلى التماسك والتضام ، لأن الصلح لا يكون بين آحادهما ولكن بين جمعيهما بالإنابة والتوكيل .

أقول قولى هذا وأضرع إلى ربنا جل وعلا أن يتقبل ما عسى أن يكون فيه من صواب ، وأن يعفو عما عسى أن يكون فيه من خطئ ، ما كان إلا من أخذ بسبب من أسباب حكمة إنزال القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مباركاً ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب)^(٤) .

على النجدي ناصف
عضو المجمع

اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء للدكتور محمود حافظ

منذ

أكثر من ألف عام
تألفت في سماء

الأمة العربية نهضة علمية إسلامية بلغت أوجها في عصر الخليفة المأمون (٧٨٦-٨٣٣م) حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم، ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية، وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة التي امتدت بعد ذلك بضعة قرون عسدد من العلماء العرب الأعلام قاموا بأروع الإنجازات العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات وأضافوا إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم مما جعل بعض المنصفين من المؤرخين يعترفون بأنه لولا أعمال هؤلاء العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية طويلاً.

كان ذلك العصر عصر أزهى بالنسبة للغة العربية لغة للعلم زخرت بآلاف المقابلات والمصطلحات والمأثورات في مختلف فروع العلم التي تناولها العلماء العرب بالدراسة، وبرزوا فيها، وعلموا غيرهم، وأخذ عنهم

علماء عصر النهضة الأوروبية ما شاء لهم أن يأخذوا من هذا المعين الزاخر بالمعارف العلمية والإنسانية ولو أنهم كثيراً ما تناسوا فضلهم.

وكانت علوم الأحياء من بين هذه العلوم التي أولاها هؤلاء العلماء اهتمامهم دراسة وبحثاً وتأليفاً باللغة العربية مما كان له أبعد الأثر على الأجيال المتعاقبة التي جاءت من بعدهم عبر عدة قرون، ولازلنا نحن المشتغلين بعلوم الأحياء حتى اليوم نترع من نبعهم الفياض وأسفارهم الحزلة المعطاءة كؤوس العلم واللغة والمعرفة، تبهرنا فيها تلك الثروة اللغوية الهائلة في علوم النبات والزراعة والحيوان والحشرات.

ففي كتاب الشفاء لابن سينا (ولد في ٣٧١ هـ / ٩٨٠ م) الذي يقع في أكثر من عشرين مجلداً ، وكتب في فترة تعتبر من أزهى عصور الحضارة العلمية الإسلامية وترجم إلى اللاتينية واللغات الأوروبية . تناول الشيخ الرئيس في بعض فصوله دراسة النباتات الشجرية والعشبية والزهرية والفطرية والطحلبية . وذكر الأجناس المختلفة من النبات والأنواع المختلفة من الجنس الواحد ، وكذلك

(*) انظر التعميمات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع

الآخر سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٣ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

الآراء والنظريات حول تولد النبات والأنوثة والذكورة فيه ، كما تكلم عن الثمار في النباتات المختلفة وعن التطعيم وعن ظاهرة المساهمة في الأشجار والنخيل ، وذلك بأن تشمل الشجرة سنة حملاً ثقيلاً وسنة حملاً خفيفاً أو تحمل سنة ولا تحمل أخرى .

وفي الجزء الخاص بالحيوان وصف رائع لمختلف أنواع الحيوان والطير ، وعن الحيوانات المائية يقول ابن سينا : إن منها ذات ملاصق تلازمها كأنواع من الأصداغ ، ومنها متبرثة أى متحررة الأجساد مثل السمك والضفادع واللاصقة منها التى لا تبرح كالإسفنجة ، كما تكلم عن العظام والغضاريف والشرابين والأوردة والأغشية والأعصاب ، وتناول بإسهاب التشريح المقارن والأجهزة الداخلية في الحيوانات المختلفة ومنها الطيور والأسماك .

وفي كتاب الحيوان للجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر ٧٧٥ - ٨٦٨ م) وهو سفر ضخيم فى سبعة أجزاء دراسة موسوعية قل أن يكون لها ضريب فى ذلك الزمان ، اتسمت بالسعة والشمول والدراسة الحادة الدقيقة ، وقد طوع الشيخ اللغة المنثورة لمقتضيات الوصف العلمى على أروع صورة ، وعنى باختيار اللفظ ليعبر عن سلوك الحيوان أدق تعبير كما ظهرت فى كتابته القدرة على التمييز والبراعة فى الوصف ، فراه فى مقدمة الكتاب يقسم الحيوان إلى فصيح وأعجم : فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان .

ثم يستطرد ويقول : من الحيوان الأعجم ما يرغو وينغو وينهق ويصهل ويشمخ ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفر ويهادر ويوصوص ويوقوق وينعب ويزار ويبح ويكش .

والكتاب فى فصوله المختلفة مليء بمباحث عدة عن تقسيم الحيوان ومميزات كل قسم وعن تكوين البيضة من الفروج وعن بيض الطيور وعن بناء العش ورعاية الأبوين للصغار وعن الطيور وأنواعها كما تناول بالدراسة الكثير من الحشرات كالذباب والنحل والزناير والفراش والخنفس والجراد ، كما تحدث عن سمك القرش والقرد والخفاش والأفاعى وحيوانات أخرى كثيرة وصف حياتها وطبائعها . وكان يسجل مشاهداته على سلوك الحيوانات من واقع التجارب التى يجربها عليها حيث كان يضعها تحت ناقوس زجاجى ويرقب حركاتها وسلوكها كما كان يقوم بتشريح الحيوان ليستجلي أجهزته الداخلية ، وكان الجاحظ بذلك العلم الموسوعى والتجريبى رائداً له مكانته فى هذا المجال .

ومن أروع ما كتب فى علم النبات باللغة العربية منذ أكثر من ألف سنة كتاب النبات للدينورى (أحمد بن داود أبى حنيفة المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، ٨٩٥ م) والملقب بشيخ النباتين العرب الذى أخذ عنه علماء النبات الذين جاءوا من بعده ، وكان مرجعاً لكثير من دراساتهم وبحوثهم فقد وصف مئات النباتات

وصفاً دقيقاً مشيراً إلى استعماله ومواطن نموه وحماته ، وكما يقول الدكتور منتصر : لعل كتاب النبات للدينوري ويعنينا منه الجزء الخامس لم يصنف مثله في اللغة العربية حتى عصره وفيه أسماء النباتات مصنفة على حروف المعجم وقد اعتمد في روايته على المصادر العربية الأصيلة. وكتاب آخر في علم النبات يشير الإعجاب حقاً هو «الجامع لصفات أشات النبات للإدريسي» (محمد بن محمد عبد الله الأندلسي الحسيني الشهير بالإدريسي) الذي ولد عام ١٠٩٩م في أواخر القرن الخامس الهجري وعاش ثمانين عاماً . ويقع الكتاب في جزئين ضمن الجزء الأول ٣٦٠ ثلاثمائة وستين نباتاً، كما اشتمل الجزء الثاني على ما يقرب من ٣٠٠ ثلاثمائة نبات تنتهي بانتهاء حروف المعجم، وقد وصفها وصفاً رائعاً ووصف منافعها وخواصها وحقق أسماءها بلغات مختلفة وأورد هذه الأسماء باللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية واللاتينية وذكر أنه أضاف إلى قائمته النباتية أنواعاً أغفلها من سبقوه مثل التمر هندي والقرنفل والحلب وغيرها .

وفي كتاب المخصص لابن سيده (أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي المتوفى عام ٤٥٨ هـ وعمره ستون سنة) ذلك الكتاب الموسوعي الذي يقع في سبعة عشر جزءاً والذي كتبه إبان القرن الخامس الهجري بلغة عربية أصيلة يعنينا ما جاء به في بعض أجزائه خاصاً بالحيوان والنبات، ففي الجزء السادس

تكلم عن الخيل وصفاتها وفي الجزء السابع والثامن تناول بالوصف والدراسة الإبل والغنم والماعز والطيور والنحل والنمل والعناكب والسباع وغيرها من أنواع الحيوان وأشار، إلى حياتها وعاداتها وألوانها وأمراضها ثم تكلم في الجزء العاشر والجزء الثاني عشر عن الكلاً والشجر والعشب والحنظل والبصل ونبات القطن وبعض العقاقير وغيرها . وقد غنى بالأوصاف الدقيقة للأعضاء في الكائنات من حيوانية أو نباتية، والكتاب ذو قيمة علمية ولغوية للدارسين لعلم الشكل أو الهيئة في مجال علوم الأحياء .

وإبان القرن السادس الهجري كتب البغدادى (موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف ٥٥٧ هـ - ٦٢٩ هـ) كتابه المعروف « الإفادة والاعتبار » في الأمور المشاهدة والأحوال المعاينة في أرض مصر وقد وصف فيه الكثير من حيوانات مصر ونباتاتها، وكان وصفه دقيقاً في بعض الأحيان مع قدرة فائقة على المقارنة والاستنتاج .

وفي القرن السابع الهجري ألف ابن البيطار (أبو محمد عبدالله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي الملقب ٥٧٥ هـ - ٦٤١ هـ) إمام النباتين والعشابين كتابه الأشهر من بين مؤلفاته الكثيرة « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ثمرة من ثمرات دراساته الواعية العلمية والعملية في أربعة أجزاء ، وقد جمع فيه من مؤلفات العرب والأغارقة ومن تجاربه الخاصة كل ما يتعلق

بالنباتات الطبية وبعض الحيوانات التي تتخذ منها عقاقير لعلاج الأمراض، وكانت طريقته في الدراسة والإعداد لهذا العمل الكبير أن يذكر اسم النبات أو الحيوان باللغات المختلفة ثم يصف أجزائه وصفاً علمياً دقيقاً مستعيناً بما سبق أن قاله علماء الإغريق (أمثال جالينوس أو ديموقراطيس أو ديسقوريدوس) أو العلماء العرب (أمثال ابن سينا أو ابن رضوان) عن منافعه وطريقة تحضير الدواء ثم طريقة الاستعمال، وقد ذكر كل ذلك مرتباً ترتيباً هجائياً، وهذه الطريقة سرد البيطار المئات من النباتات والكثير من الحيوانات، واعتمد في حالات عدة على المشاهدة والتجربة، كما أنه كان صادقاً ودقيقاً في النقل عن غيره من ذوى العلم والخبرة .

وفي هذا المجال أيضاً ألف القرطبي (أبو عمران موسى بن عبد الله) كتابه «شرح أسماء العقار» وقد كتب المخطوط بخط ابن البيطار وبلغ عدد العقاقير التي شرحها القرطبي نحو ٤٠٠ أربعمئة عقار وجعلها من النباتات وبعضها من الحيوانات التي تتخذ منها العقاقير وقد رتب الأسماء على حروف المعجم بادئاً بالأترج (التفاح المائي) والأقحوان ومنهياً باليتوع (كل نبات له لبن يسيل إذا قطع) Euphorbia والياسمين .

وفي كتاب داود بن عمر الأنطاكي (توفي عام ١٦٠٠م) المعروف باسم «تذكرة

أولى الألباب والجامع للعجب العجائب» والذي اختص أساساً بدراسة الطب العلاجي وتحضير الأدوية والوصفات في إسهاب استغرق سبعمائة صفحة، يعيننا منه في المقام الأول الباب الثالث الذي تضمن المفردات والأقرباذهنيات مرتبة على حروف المعجم إذ أورد عدة مئات من أسماء النبات وعشرات من أسماء الحيوان مع وصف شامل دقيق لها والعقاقير المتخذة منها وقد ذكر هذه الأسماء باللغات المختلفة .

ويذكر كتاب القزويني (أبو عبد الله بن زكريا ابن محمد بن محمود ٦٠٥-٦٨٢هـ) «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» الذي كتبه إبان حياته التي امتدت سبعة وسبعين عاماً في القرن السابع الهجري بالكثير من المعارف عن الحيوان والنبات ووصف أنواعاً منها تعد بالمئات وخاصة ما تتخذ منها عقاقير تستعمل في الطب، وشملت دراساته الطيور والحشرات والأسماك والحيوانات المائية الأخرى كما تحدث عن سلوك الحيوان وحياته وطبائعه وكيف يجمع غذاءه ويدخر قوته ويصنع بيوته وقد طبع هذا الكتاب على هامش كتاب الحيوان للدميري وأعيد طبعه عدة مرات وترجم إلى عدة لغات .

وحياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري (٧٤٢هـ-٨٠٨هـ) كتاب في جزئين كتبه في القرن الثامن الهجري زانراً بالمعلومات عن الحيوان، يقول الدميري إنه جمعها من ستين

وخمسمائة كتاب وتسعة وتسعين ديواناً من
دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى
وصغرى، في كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا
ورتبته على حروف المعجم متبعاً الطريقة التي
جرت عليها أسلافه من العلماء العرب .

فبدأ بالكلام عن الأسد ذاكراً أساءه التي
جرت على ألسنة العرب وشكله وعاداته
وطبائعه مستشهداً بأبيات من الشعر ونوادير
وطرائف تتعلق بهذا الحيوان، ثم يذكر أمثلة
أخرى كالأربد (ضرب من الحيات)
والأرضة، والأرقم (حية فيها بياض وسواد
كأنه رقم أى نقش) ثم يمضى إلى الحروف
التالية معالجاً المثات من أنواع الحيوان، وقد
بلغ عدد الحيوانات التي تناولها بالدراسة
والاستشهاد نحو ٨٦٠ ثمانمائة وستين نوعاً
ضمم الجزء الأول من كتابه منها نحو ٣٨٠
ثلاثمائة وثمانين نوعاً وضمم الجزء الثانى
الأنواع الباقية .

وبالإضافة إلى ما حوى الكتاب من
وصف للحيوان وحياته وسلوكه وموطنه،
فقد وصف الكتاب بأنه جمع ما بين أحكام
شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد
بارعة وأمثال سائرة وأبيات نادرة وخواص
عجيبة وأسرار غريبة وبه تراجم نخبة من
الشعراء والعلماء والفلاسفة وقد طبعت عدة
مختصرات لهذا الكتاب وترجم أكثره إلى
اللغة الإنجليزية، وطبع في لندن ونمباى فى عامى
١٩٠٦، ١٩٠٨ كما عني بنشره المحققون وطبع
كاملاً منقحاً عدة مرات فى العصر الحديث.

هذه لمحة سريعة لمنجزات رائدة خالدة
فى علوم الأحياء جاءت بلسان عربى مبين،
وقام بها أسلافنا من الناطقين بالضاد وجادت
بها قرائحهم الوقادة وعقولهم النيرة وظلت
مشعلا وضاء وبحراً زاخراً بالمعرفة عبر
عدة قرون إبان العصور العلمية الإسلامية
الزاهرة وما بعدها لغيرهم إبان عصر النهضة
الأوربية .

ودار الزمن دورته وخيم على الأمة العربية
طوال القرون الثلاثة التى سبقت القرن التاسع
عشر تخلف رهيب نتيجة لاستعمار متحكم
جثم على صدور ها وقطع أوصالها وانعكست
آثاره على اللغة والعلوم والمعارف الإنسانية
كلها وفى القرن التاسع عشر بدأت صحوة
عربية للحاق بركب الحضارة ودعوة قوية أن
تعيد الأمة للغة العربية سابق مجدها، وبدأت
فى مصر وكذلك فى شقيقاتها العربيات حركة
فى هذا السبيل على يد عدد من المصلحين
والمجددين ومع بداية القرن العشرين نشطت
حركة التعريب وجمع المصطلحات العلمية
وتحقيقها وإصدار بعض المعاجم المتخصصة.
ووجدنا فى مجال علوم الأحياء عدداً من
الرواد قاموا بجهود ضخمة يطيب لى أن
أذكر منها «معجم أسماء النبات» للدكتور أحمد
عيسى الذى صدر فى شهر يناير من عام
١٩٢٦، ولا شك أنه أنفق فيه سنين عدداً.
فى إعدادة قبل ذلك ويقول إن مما عني به
عنايه خاصة وبذل الجهد فى جمعه وتحقيقه
أسماء النبات ومرادفاتا فى جميع العصور
ومن مختلف البلدان العربية اللغة كمصر
والسودان .

وببلاد العرب واليمن والعراق وسوريا
وفلسطين وبلاد المغرب .. وذكر الدكتور
عيسى في مقدمة معجمه أن لغوي العرب
قد عنوا بالنبات وأسمائه ولحم في ذلك التصانيف
الممتعة التي زادوا عليها ما اقتبسوه من نبات
الهند وفارس واليونان وغيرها من البلدان فامتألت
أسفارهم بالعربي الفصيح والمغرب والمولد
وقد جمع ذلك كله في معجمه وقد أراد
بذلك أن يكون المعجم شاملاً كل ما عرف
من أسماء النبات في المصنفات العربية مهما
اختلفت جنسية الكلمة ، وأن يكون المعجم
مرجعاً لتحقيق الكلمات التي أتت بها المصنفات
العربية ولم تكن معروفة الأصل مقتصرأ على
معرفة أسماء النبات — ولا شك أن معجم
أسماء النبات لأحمد عيسى إنجاز علمي ولغوي
ضخم لاغنى عنه للمشتغلين بعلم النبات
أو العاملين في مجال التعريب ونقل هذا
العلم إلى اللغة العربية .

وفي العام نفسه أي عام ١٩٢٦ صدر
قاموس الدكتور محمد شرف في العلوم
الطبية والطبيعية ومن بينها علوم الحيوان
والنبات وقد شمل المصطلحات باللغة الإنجليزية
ومقابلاتها وشروحها باللغة العربية ، وقد عني
هو كذلك أشد العناية بالرجوع إلى ما كتبه
الأسلاف من العرب في هذا الشأن وما كتبه
المستشرقون ثم يقول إنه لم يثبت اصطلاحاً
أو مفرداً بالعربية قبل أن يتثبت من صحته
وموافقته . فإن لم يعثر له على نظير بالعربية
جعل له اسماً مناسباً على نسق أسلوب العرب

في الأندلس أو عرب اسمه حسب الأصول
اللغوية المتبعة ، ويقع هذا القاموس في ما يقرب
من ألف صفحة ويضم أكثر من أربعين ألف
مصطلح بينها عدد لا يستهان به من علوم
الأحياء ، وهو عمل علمي ولغوي من الطراز
الأول يعتبر قمة في الأداء والاستقصاء .

ويجدر بي في هذا المقام أيضاً أن أشير إلى
عملين جليلين آخرين أسهمت اللغة العربية
بهما كذلك في خدمة علوم الأحياء وهما
معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف ومعجم
الألفاظ الزراعية للأمر مصطفى الشهابي ، والأول
صدر عام ١٩٣٢ ولو أنه يقول إنه بدأ في
جمع مادته ونشرها منذ عام ١٩٠٨ في مجلة
المقتطف وقد تناول وصف ما يقرب من
١٥٠٠ نوع من أنواع الحيوانات وصفاً
علمياً أوجز فيه أو أسهب حسب مقتضى
الحال مشيراً إلى اسم الحيوان في البلاد
العربية المختلفة وفي بلاد الهند وفارس وأوضح
الأسانيد التي أخذ عنها وقد توخى الأمانة في
النقل كما يقول وإيراد أفصح الألفاظ أولاً
ثم الفصيح ثم ما عرّبه العرب ثم المولد
ثم ما عرّبه المولدون واسم الحيوان موضحاً
باللغتين الإنجليزية واللاتينية .

أما « معجم الألفاظ الزراعية » للأمير
مصطفى الشهابي فقد صدر عام ١٩٤٣ ، ولكنه
ظل يجمع ويحقق مادته طوال عشرين سنة
قبل ذلك التاريخ ويشتمل المعجم على تسعة
آلاف لفظ فرنسي أو علمي وضع أمامها

ما يقابلها بالعربية، ويقول إن من الألفاظ العربية المذكورة ثلاثة آلاف لفظ على الأقل هي من وضعه أو تحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية، وهذا المعجم غنى بألفاظ العلوم الزراعية على اختلافها كزراعة الحبوب وأبحاث التربة وزراعة البساتين وتربية الخيل والأنعام والنحل والطيور، وماله صلة بالزراعة كالحشرات والحيوانات كما يتناول أهم الفصائل النباتية وأسماء التصنيف في علم الحيوان والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات الزراعية مع ذكر فصائلها بالعربية وقد عمد في إيجاد أصلح الألفاظ العربية إلى كتب اللغة وأخرج منها ماله علاقة بالعلوم الزراعية من الكلم، وكذلك فعل بكتب الفلاحة العربية واليونانية، كما راجع مفردات ابن البيطار ورسائل الأصمعي في الخيل والنبات والشجر، وألفاظاً محققة ومصطلحات من معاجم ومصادر أخرى عدة .

هذه أمثلة فقط لجهود رائدة لنهر من العلماء في الوطن العربي في مجال علوم الأحياء سبقتها وتلتها جهود أخرى قيمة في هذا المجال.

ولكن لعل أعظم إنجاز قومي وعربي أخذ بيد اللغة العربية وخطابها خطوات فسيحة إلى الأمام، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة لتواكب عصر العلم ومقضييات التطور هو إنشاء الجامعات اللغوية بالوطن العربي . ففي مصر وفي بداية الثلاثينات عام ١٩٣٢ أنشئ مجمع اللغة العربية؛ ولو أن محاولات أخرى جادة

في هذا السبيل قد سبقت إنشائه في مطلع هذا القرن، وسبقت هذه المحاولات دعوة إلى ذلك أيضاً في أخريات القرن التاسع عشر، وقد تحقق بإنشاء هذا المجمع أمل عزيز طالما تطلع إليه أهل العلم واللغة والأدب في مصر ليقوم بدوره البناء نحو اللغة والحفاظ عليها وعلى أصالتها وقيمتها، وليحمل على كتفيه عبء النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة للحياة العصرية المتطورة، ودراسة المصطلحات، وغير ذلك من المهام في مختلف المجالات .

وقد اهتم العلماء بصمة خاصة بإنشاء مجمع اللغة العربية نظراً للدور الرئيسي الذي يمكن أن يقوم به في مصر بل في الوطن العربي في تعريب العلم وكذلك، للعون الكبير الذي يمكن أن يقدمه لهم في مجال المصطلحات العلمية السليمة . وقد سار المجمع في هذين الاتجاهين شوطاً بعيداً بنشاط ملحوظ ودفع حركة النشر والترجمة والتعريب خطوات فسيحة إلى الأمام، وشاع استعمال المصطلحات العلمية السليمة في المؤلفات العلمية في مجال علوم الأحياء وغيرها .

ومن بين لجان المجمع الثلاثين التي تضطلع بمختلف أنواع النشاط العلمي واللغوي والأدبي لجنة علوم الأحياء والزراعة التي امتد نشاطها الملحوظ قرابة ثلاثين عاماً حتى اليوم، توفرت خلالها على دراسة مصطلحات علوم النبات والحيوان والحشرات والوراثة

وعلاوم البحار والزراعة ووضعت بحوثاً قيمة في بعض هذه المجالات . وقد بلغت جملة المصطلحات العلمية في علوم الأحياء التي درستها اللجنة ووضعت لها المقابلات المناسبة باللغة العربية وشرحت معانيها نحو عشرة آلاف مصطلح علمي ، وقد نشر نحو أربعة آلاف منها ظهرت في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يصدرها المجمع كل عام .

كما حققت اللجنة مئات الألفاظ من أسماء النبات والحيوان المحولة إليها من لسان المعجمات اللغوية بالمجمع وأضافت إليها الشروح والدلالات في العلم الحديث ، كما وضعت بحوثاً قيمة في أنواع الحيتان والثعابين والألفاظ الخاصة بالنخيل ، ونشرت كلها في مجلة المجمع ، كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات التحضيرات الخاصة بالفحص المجهري (الميكرو تكنيك) وكذلك نظرت في المصطلحات التي أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة الخاصة بالبيئة النباتية وأبدت فيها رأيها العلمي ، وراجعت بعضها مراجعة علمية ولغوية ، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به اللجنة من البحث المستمر في أمهات الكتب القديمة التي كتبها أسلافنا العرب في علوم الأحياء ومختلف المعاجم والمراجع مما يساعدها في عملها ويسر لها إنجازاتها . وأمام اللجنة حالياً مشروع لوضع معجم وسيط في علم الأحياء على غرار معاجم « بنجوين » ، وقد اتخذ المجمع الخطوات اللازمة للسير فيه بعد أن ناقش الدوافع لهذه الفكرة التي كان قد أبدأها المغفور له الدكتور محمود توفيق حفناوى عضو

المجمع ، وهي أن طلابنا في المعاهد والجامعات في حاجة ماسة إلى معجم وجيز في علوم الأحياء والزراعة يتداولونه ويستعملون منه مصطلحات صحيحة أقرها المجمع ، والأمل معقود أن يتم تنفيذ هذا المشروع في زمن ليس ببعيد .

ومن أهم إسهامات اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء من خلال المجمع ودراساته هو وضع قاعدة موحدة لتصنيف البيولوجي ، ووضع أسماء مقابلة لحلقات التصنيف المختلفة في عالمي النبات والحيوان ، وقد كان لإقرار هذه الأسماء من قبل مجمعنا أكبر الأثر في القضاء على حيرة كانت شائعة لدى المؤلفين والدارسين وأصبح اليوم كل اسم عربي يدل اصطلاحياً على حلقة واحدة معلومة من حلقات التصنيف على غرار الأسماء الأجنبية المقابلة لها .

وقد أقر المجمع كذلك القواعد الآتية في ترجمته أسماء المواليد والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها وهو من بحث للأمير مصطفى الشهابي عضو المجمع وهو ما تأخذ به لجنة علوم الأحياء والزراعة في عملها ما أمكن :

الأولى : ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو الحال الأوسع في حلقات التصنيف العليا ، وهي الشعب والطوائف والرتب فنقول :
المفصليات أو مفصلية الأرجل لشعبة Arthropoda

الثانية : أسماء القبائل والفصائل النباتية أو الحيوانية تكون عربية أو معربة على حسب اسم النبات أو الحيوان الذى تنسب إليه فنقول الخبازية لفصيلة Malvaceae .

الثالثة : أجناس المواليد التى ليس لها أسماء عربية تعرب أسماؤها العلمية إذا كانت منسوبة إلى الأعلام مثل زهرة دهلية Dahlia من الفصيلة المركبة، وهى باسم عالم نباتى سويدي، وترجم بمعانيها إذا أمكن ترجمتها فى كلمة عربية سائغة مثل جنس Formica وترجمته نمل، وإذا لم يكن ذلك ممكناً رجع تعريبها .

الرابعة : لاجمال للتعريب فى الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات وترجم ترجمة فى جميع اللغات الحية فنقول مثلاً خبازة مجمدة لكلمتى Malva crispa .

الخامسة : يوجد مجال فى الترجمة أو التعريب جميعاً فى الألفاظ الدالة على السلالات والأصناف أو الضروب، وقد أشار المجمع بضرورة الأزواج أى ذكر الأسماء العلمية اللاتينية فى الدراسات العليا وفى حالة احتمال أى لبس .

وحيث توجد ترجحات معقولة مستساغة لأسماء المجموعات التصنيفية الحيوانية النباتية فلا مجال للتعريب، ومن أمثلة ذلك الفقاريات والأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور فى طوائف الحيوان ، كذلك

لاجمال للتعريب فى غشائية الأجنحة وحرشفيات الأجنحة وذوات الجناحين من رتب الحشرات وكذلك الزهرية وذوات الفلقتين وذوات الفلقة الواحدة وما إليها فى النبات .

وعلى أى حال فإن لجنة علوم الأحياء والزراعة فى أعمالها التصنيفية وغير التصنيفية أخذت على نفسها أن تقصر التعريب على مقتضيات الضرورة وأجازته عندما يتناول المصطلح اسماً شاع استعماله بين اللغات العالمية ، وهناك بعض التوصيات حول أسلوب اختيار المصطلحات العلمية ستعرض على المؤتمر المقرر تستهدى بها اللجنة فى عملها ، ومع ذلك فإن اللجنة حين تتصدى لترجمة مصطلح فى علوم الأحياء أو الزراعة أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتينى أو اليونانى، وتبحث عن أفضل المقابلات له ، وقد ترجع فى ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، وقد تجد مقابلاً أو مأثوراً دقيقاً غير مطروق فى الكتب القديمة فتأخذ به إيشيع استعماله ، ويمر المصطلح بمراحل عدة من الدراسة والمناقشة والتمحيص كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى ، وقد أقر المجمع من هذه المصطلحات نحو عشرة آلاف مصطلح باللغة العربية بالفصحى أدت إلى علوم الأحياء خدمات جليلة حقاً .

ويجدر بى فى هذا المقام أن أشير إلى الجهود الرائدة البناءة التى قامت بها

المجامع العربية في دمشق وبغداد في سنوات حياتها الطويلة لاسيما في مجال المصطلحات . وكذلك إلى جهود مكتب التعريب بالرباط والهيئات العلمية واللغوية الأخرى المعنية بموضوع المصطلحات العلمية ، وأملنا كبير إن شاء الله في انجمع الأردني الوليد .

ولعل أهم ما يشغل البال بالنسبة لموضوع المصطلحات العلمية هو توحيدها في الوطن العربي وهو أمل طالما تطلع إليه المشتغلون بعلوم الأحياء والعلوم الأخرى للقضاء على بلبلة قائمة في استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة في البلاد العربية ، ونحن على يقين لأن اتحاد المجامع اللغوية ، وهو يحمل على كتفيه هذه المهمة الجليلة سيوليها عنايته البالغة .

ولست في حاجة إلى القول : إنه إذا كانت حركة التعريب العلمي والنقل إلى اللغة العربية في علوم الأحياء والزراعة قد خطت خطوات فسيحة إلى الأمام في ربع القرن الأخير ، مع ظهور المئات من الكتب والمؤلفات العربية في هذا المجال في الوطن العربي فإن اللغة

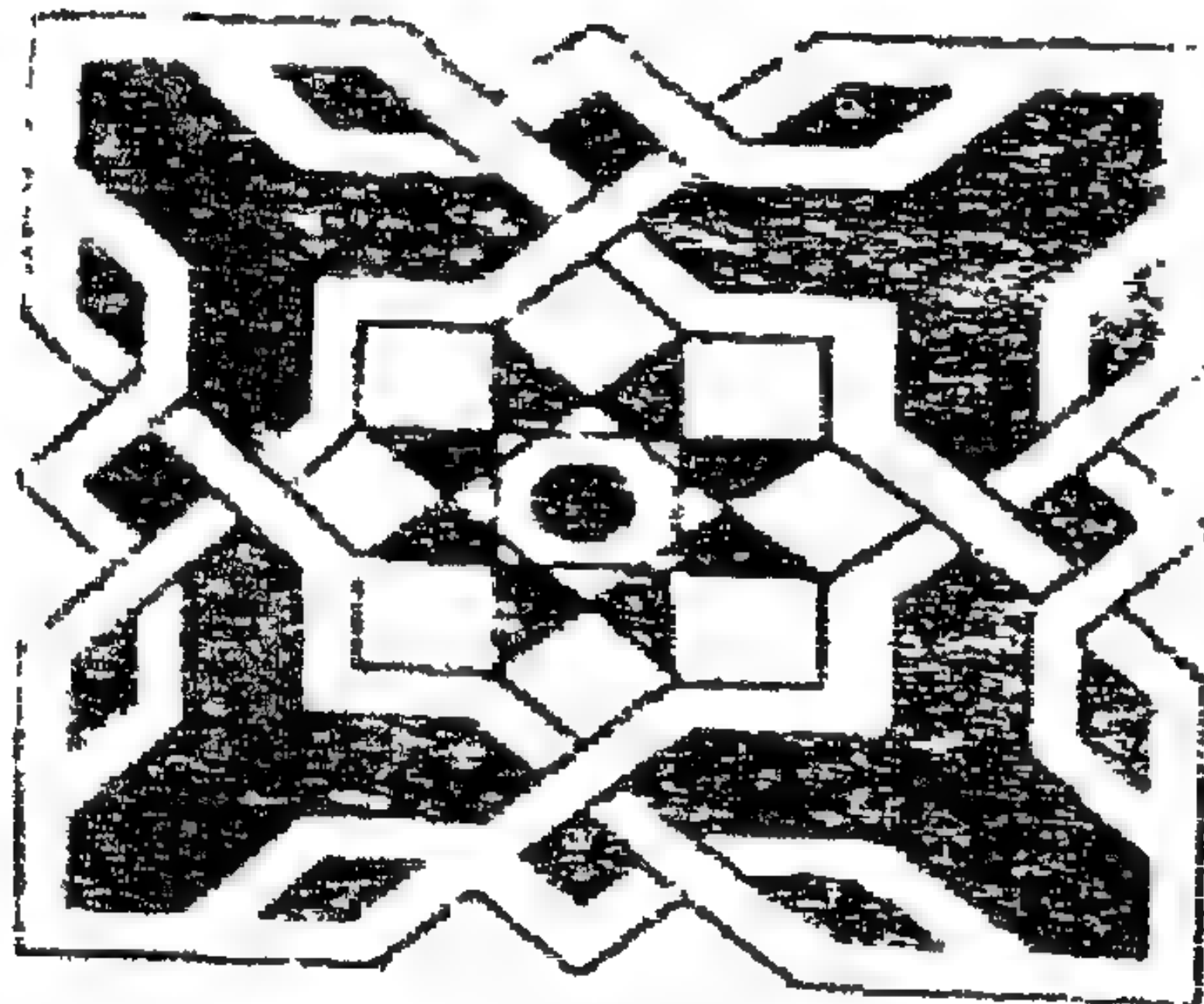
العربية كانت ولا ستست معين الذي لا ينضب ونبحر الذي غترف منه المؤلفون والدرسون آلاف مصطلحات ومقابلات التي نخرت بها كتبهم وأسفارهم . مما ينضج دليلاً ساطعاً على قوة هذه اللغة وراثتها وشمولها وتوسع آفاقها وقدراتها الفاتنة على استيعاب التطور متلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة . ودحضاً لنفرية التي انتشرت بين بعض المتعلمين من أن اللغة العربية تقصر أحياناً عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذي نشهده في هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمي .

تحية إلى مجامع اللغوية في الوطن العربي في بغداد ودمشق وعمان والقاهرة . هيئات مباركة قوامه على اللغة . وتحية إلى علمائها الأعلام الذين يعملون جادين مخلصين ليعيدوا إلى اللغة العربية سالف مجدها وهم بالغوه بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمود حافظ

عضو المجمع



المراجع

- ١ - أحاديث مجمعية (الحلقة الإذاعية الخاصة عن مجمع اللغة العربية)
- ٢ - أسماء النبات... .. للدكتور أحمد عيسى
- ٣ - الإفادة والاعتبار للبغدادى
- ٤ - الجامع لصفات أشتات النبات للإدريسى
- ٥ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار
- ٦ - الحيوان للجاحظ
- ٧ - الشفاء لابن سينا
- ٨ - التخصص لابن سيده
- ٩ - النبات للدينورى
- ١٠ - بحوث مجمع اللغة العربية :
- ١١ - تاريخ العلم للدكتور عبد الحليم منتصر
- ١٢ - تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب داود بن عمر الأنطاكى
- ١٣ - حياة الحيوان الكبرى للدميرى
- ١٤ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى
- ١٥ - قاموس فى العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف
- ١٦ - مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاماً للدكتور إبراهيم مدكور
- ١٧ - مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها مجمع اللغة العربية :
- ١٨ - معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابى
- ١٩ - معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف
- ٢٠ - معجم النبات المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط

آخر ساجع في الشام

لدكتور ساجع في الشام

للم أعرف

ما السجع في دراستي

الابتدائية بدمشق. لكني

كنت أسمع في خطب

الجمعة التي يتلوها بعض الخطباء في رسالة

قديمة مطبوعة ، فلا أعى منها غير التسييح

والصلاة على النبي ، إذ كان تنغم الخطيب

لها يأتي على ما بقي فيها من وضوح . ثم صرت

أسمعه شائعا في أسماء الكتب ومقدماتها ، (١)

فعلمت المراد من السجع قبل أن تدرس

البديع في الصفوف الثانوية ، إلا أن الذي

أذكره أني كنت في مطالعتي الكتاب أتجاوز

المقدمات المسجوعات بعد ما عانيت في

كثير منها الغموض والحفاف ، ثم هجر

كثير من المؤلفين في الشام سجع العناوين

بعد الحرب الأولى إلا في ردود أو رسائل

تتعلق بالموضوعات التقليدية وما إليها .

وعندي منها رسالة في الرد على مؤلف طعن

في بعض الصحابة طبعت (بدمشق سنة ١٩٣٦م)

لم يكتب صاحبها الشيخ محمد التونسي

الكافي رحمه الله بعنوان واحد مسجوع ،

بل ثلث فساها :

السيف اليماني المسلول في عنق من

طعن في أصحاب الرسول

أو

سم ساعة في كبد من فارق الجماعة

أو

الرماح والأسنة في فؤاد من لمز أهل السنة

أما في الكتابة والتأليف فقد نحي السجع

تنحية تامة إلا في نهاية بعض المقدمات

أو افتتاحيتها ، حيث نجد سجعين تقليديتين

أو أكثر في حمد الله أو سؤاله التوفيق .

وشاع ذم السجع بين المتعلمين والعصريين

عامة ، وبقي محنطا في القسم الأخير من خطب

الجمع المخصص للدعاء ، فغاب من حياة

(٢) انظر التقييات على البحث بمحاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الأسد ١٢ من

ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ١١ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

(١) كان السجع لعناوين الكتب تقليدا متبعا في المائة السادسة فما بعد ، فلا بن مالك مثلا : شواهد التصريح والتوضيح

لشكالات الجامع الصحيح ، ولا بن هشام الأنصاري : قطر الندى وبل الصدى ، وكتاب أرواح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،

وآخر من حجب إليه سجع العناوين صديقنا المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فقد سمى تعليقاته على شرح ابن عقيل :

منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل .

وحواشيه على طبعاته لكتب ابن هشام : (هداية السالك إلى أرواح المسالك إلى ألفية ابن مالك) و(سبيل الهدى بتحقيق

شرح قطر الندى وبل الصدى ، ومنتهى الأدب بتحقيق شرح شذور الذهب) .. الخ .

الناس غيبة كاملة حتى كان عام ١٩٣٥
وخرج من السرداب ، حين تجاذب موضوع
السجع مدحا وقدحا علما شاميان كبيران
فرقا الناس فريقين :

تحيز الفريق الأكبر منهما للأول لمكانته
في العالمين العربي والإسلامي ، ونصر الفريق
الأقل الثاني منهما لأن الحق معه .

كتب الأستاذ محمد كرد علي رحمه
الله فصلاً في مجلة «الرسالة»^(١) ناقدا كتابا
اسمه (قواعد التحديث) للمرحوم
الشيخ جمال الدين القاسمي ، ولم يكن
في نظر الأستاذ الناقد تأليفا ، فكان مما قاله :

«حدثت في التأليف طريقة جديدة هي
أن المؤلف في فن يقتصر على لباب ما قرأ
فيه ، ويدعم أقواله بشواهد من كتب القدماء
أو المحدثين بأسلوب خال من الخطائيات
والسجع . . . » بهذا القول بدأت
المعركة ، وكان هذا الكتاب قد استكتب
له ثلاث مقدمات غير مقدمة المؤلف ،
إحداهن للأمير شكيب أرسلان رحمه
الله ، فطلعت مجلة الرسالة بعد خمسة أسابيع

على العالم العربي برد مستفيض للأمير شكيب
جاء فيه :

« . . . ثم إن هناك غمزا بالسجع ،
وليس الأخ كرد علي الذي بدأ بهذا الغمز
بل كان أحد الأصحاب أطلعني على
كتاب للدكتور زكي مبارك تحت فيه
كلاما يشبه أن يكون استصغارا للسجع
واستكبارا لإتيانه ، وهذا باب جديد
عجيب ، إذا أردنا أن ندخل فيه يطول
الأمر ، فنكتفي بالقول إن السجع وجد في
الجاهلية والإسلام ، وجاءت منه أمثلة
لأفصح فصاحتها . . . »

وأفاض الأمير رحمه الله يجادل مسهبا
في شأن السجع إلى أن قال :

« . . . ولا يقدر أحد أن يقول إنني
مفرط في هذا المذهب ، لأنه ليس لأحد
من الكلام المرسل أكثر مما لي^(٢) ، ولكنني
لا أزال أرى السجع حلية الكلام العربي عندما
يكون في محله ، وذلك مثل مقدمات الكتب^(٣)
ومثل الخطب التي تلي على الجماهير . . . »
أهكذا قال .

تخاطف الناس أعداد الرسالة هذه انتصارا
للأمير المناضل عن العرب والإسلام والمسلمين

(١) العدد ١٠٤ (السنة الثالثة ١ - ٧ - ١٩٣٥ م) ص ١٠٨٠

(٢) صدق الأمير والله ، فقد « جاء في رسالة بعث بها إلى صديقه السيد هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية السورية غير
مرة عام (١٩٣٥ م) أنه أحصى ما كتبه في ذلك العام فكان : ١٧٨١ رسالة خاصة و ١٧٦ مقالة في الجرائد و ١١٠٠ صفحة
كتب طبعت ثم قال : « هذا محصول قلبي في كل سنة » وعرفه خليل مطران : (إمام المترسلين) من ترجمته في (الأعلام)
للزركلي رحمه الله .

(٣) العدد ١٠٩ في (١٢ / ٨ / ١٩٣٥ م) ص ١٢٨٠

من مقررته في جنيف ، وشهادة بوزير سابق في وزارة تخضع للأجنبي المحتل ، وقلة منهم فهمت الموضوع وتذوقته واستمتعت بمحاوره الرائدين الكبيرين .

الظاهر أن الأستاذ كرد علي أراد أن يربح الصفة بحجج لا ترد ، حتى من الأمير نفسه ، فعمد إلى جعل من سمع الأمير في مقدمته للكتاب موضوع النقاش واحتكم إلى القراء ، حين قايس بينها وبين كلام الأمير المرسل في تقرير كتاب آخر فقدم المثال الآتي مخاطباً الأمير^(١) : « بالأمس كتبت مقدمة (النقد التحليلي لكتاب » في الأدب الجاهلي ») للأستاذ محمد أحمد الغمراوي ، فن منا لم يعجب بما كتبت وحبرت ، وإن كنت قد أطلت وتوسعت ، واليوم تكتب ما تكتب ! (قواعد التحديث) في فن لست منه ولا أنا لا في العير ولا في النقيير ، وجئت تغالي بكتاب ليس فيه من حديث ولا أسلوبه أسلوب المؤلفين ولا يستحق هذه العناية والرعاية وهذه الضجة ، ولكل رأيه واجتهاده . وأكتفي الآن بجملة من مقدمتك وقد بدأتها بقولك :

لا يخفى على أهل الأدب أن الجمال^(٢) والقسام في العربي واحد ، وأن معنى القاسم هو الجميل ، فلا يوجد إذناً لتأدية هذا

المعنى أحسن من قولنا « الجمال القاسم » الذي جاء اسماً على معنى ، مع العلم أن الجمال الحقيقي هو الجمال المعنوي لا الجمال الصوري الذي هو جمال زائل ، فالجمال المعنوي هو الذي ورد فيه الحديث الشريف (إن الله جميل يحب الجمال) ، وعلى هذا يمكن أن أقول : إنه لم يعط أحد شرط الجمال بدرجة المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي . . . بحيث أن كل من كان يدخل دمشق ويتعرف إلى ذلك الحبر الفاضل والجهر الكامل ، كان يرى أنه لو لم يكن فيها إلا تلك الذات البهية المتحلية بتلك الشرائع السرية والعلوم العبقريّة ، لكان ذلك كافياً في إظهار مزيته على سائر البلاد وإثبات أن أحاديث مجدها موصولة الإسناد »

ويعقب الأستاذ علي هذا النص بقوله : « بأبي أنت وأمي ياشكيب ! أهذا بيانك الذي عرفته وعرفه فيك قومك ؟ أنا لا أطلب غير حكمك فلا أحتكم إلا إليك ، أهذا كلام ترضاه لنفسك في كتاب يتي ، وما هذا الفلق في المعاني والمباني ؟ ربما اغتفر جلدور مثل هذا من فتى يشدو في الأدب ولكن من شيخ كتاب العرب ، لا ثم لا . »

(١) العدد ١١١ في (١٩ - ٨ - ١٩٣٥ م) ص ١٣٥٩

(٢) لا تنس أن اسم المؤلف جمال الدين القاسمي .

ويستعمل الأستاذ كرد على إلى السجع وإلى كتابين للأمير بعنوانين مسجوعين يقول : « وحديث السجع أنت عرفت رأيي فيه ، ولعلك تذكر أنني كنت لفت نظرك إلى ماأسميت به كتاب رحلتك إلى الحجاز وهو «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أسمى مطاف » . وقلت لك يومئذ : إن القارئ مهما يبلغ من ثقب ذهني لا يدرك لأول وهلة معنى هذا العنوان المسجوع إلا بكثير من إجهاد الفكر ، وهكذا كدت باستحسانك السجع في بعض المقامات والغلو في تقريظ من ترى تقريظه أن تفسينا حسناتك علينا في كلامك المرسل الكثير » .

ويضرب الأستاذ كرد على الأمثال بالبلغاء الحسنيين ولا ينسى أن يقف عند الإمام محمد عبده الذي كما يقول : « قضى بقوة حكومته على استعمال السجع في الصحف والرسائل الرسمية فعُدَّ عمله هذا أكبر حسنة من حسناته ، ولولا عماله مادخلت اللغة في هذا الأسلوب الممتع الذي نقرؤه اليوم للمنشئين والمؤلفين » .

وكما احتج الأستاذ بمثال واضح من سجع الأمير في تقريظه جعل القراء يقتنعون بسلامة دعواه ، احتج أيضا على الأمير في تقديمه ديوان أخيه إذ جعل عنوانه : (روض الشقيق في الحزل الرقيق) .

ماقلته في فاتحته :

« . . . الذي لأجد لشعره وصفا أوفى من عرضه على الأنظار ، ولالديوانه

حلية أجمل من نشرها في الأقطار ، وخير وصف الحسناء جلاؤها والحواد عينه تغني عن الفرار . ولعمري لو وصفته بأزهار الربيع وأنواع البديع ، وشققت في تحليته أصناف الأساجيع وكان هو في الواقع دون ماأصف لما أغنيته فتिला ولا رفعتة عن دوحته كثيراً ولا قليلا ، كما أنني لو قدمته للقراء فريدة معطالا لايرن له حجل ولاسوار ، ولا يتلأأ عليه ياقوت ولا نضار وكان هو في نفسه درا نظما وأمرأ عظيما وديوانا تتأرج أرجاؤه ندأ ولطيا ، لما خفي أمره على ذوى الوجدان ، ولا تعانى عن سبقه أحد ممن له عينان . . . » .

يقول الأستاذ : لو كنت مكانك لقات وماباليت :

« الذي لا أجد لشعره وصفا أوفى من عرضه على الأنظار ولو وصفته بأزهار الربيع وكان هو في الواقع دون ماأصف لما أغنيته فتिला ، ولو قدمته للقراء فريدة معطالا وكان هو في نفسه درا نظما لما خفي أمره . . . » .

« أليس هذا الإنجاز أوقع في النفس وأجمل في أداء المعنى ، وأدعى إلى الإفهام من أسجاع تثقل على الطباع ، ونحن إنما نكتب لنفهم لالنعجم ونبهم » .

ونختم كلامه بالدعوة إلى أساليب البلغاء يوم لا هذا الترصيع والتسجيع ، ولا ذلك الضرب المستكره من أنواع البديع .

لم يصنع الأمير شيئا حين عاد بعد خمسة أسابيع يدافع - باختصار - عن ثنائه على مؤلف (قواعد التحديث) ويعترف المسجوع ، محتجا أن (نهج البلاغة) وكثير من كلام أفصح العرب من النوع المسجوع ، لكنه خرج عن الصدد في قوله آخر رده :

« . . فإن كانت اللغات الأوروبية ليس فيها سجع إلا ماندر فليس هذا بحجة على اللغة العربية ، فلكل لغة خواص تمتاز بها وقد خاق الله الناس أذواقا مختلفة ، وجعل لكل أناس مشربهم ، والعرب غير العجم ، والشرق غير الغرب (١) » .

إذ لم يجر للغات الأوروبية ذكر في كل مدار في هذا الموضوع .

كان الولوع بالسجع التعويذة الوحيدة من العين في تراث أمير البيان الخافل بصولات وجولات ما أروعها وما أبرعها .

وليست حملة الأستاذ كرد علي على السجع من حيث هو سجع ، والدليل على ذلك أنه نفسه كثيرا ما تنفق له السجعتان والثلاث من حيث لا يشعر هو ولا قراؤه أنه يسجع ، بل سجع هنا وهو يحمل على السجع حين قال آنفا « يوم لا هذا الترصيع والتسجيع ولا ذاك الضرب المستكره من أنواع البديع » وقال : (ونحن إنما نكتب

لنفهم لالنعجم ونبهم) : بل إن السجع ليجرى أحيانا في حديثه العادي ، زاره في مجمعه مرة مستشار معروف في العالم العربي بأسره ، ليقتراح عليه أمورا في شئون المجمع ، فتأخر عن موعد بيننا ، واعتذر بتلك الزيارة عن غير موعد ، وكنت أعرف أنه يثقل على قلبه فسألته كيف وجدته ؟ فقال نبيرا : أعجم طمطم ، ولا يفهم ولا تفهم .

إن السجع كبقية أقسام الكلام ، إذا أصدر عفوا من بائع مطبوع في مقام يقتضيه فهو حسن وإلا فلا ، وقد نص الأستاذ على أن «الكراهية آتية من التزيد والتكاف» .

وبعد فلا يغنى ما اقتطفت من كلامهما عن الرجوع إليه كاملا حيث أشرت إلى مبطانه من مجلة الرسالة ، ففيه دلالة على أدب جم وإطلاع مستفيض وطبع قوى ، وملكة متمكنة رحمها الله .

* * *

ظننا بعد هذه المعركة اللطيفة في الشام على الأقل أن أمر السجع مضى ولا عودة ، لكن حدثا مباركا أظل الناس في الشام سنة ١٩٥٨ م ، وقضوا في فرحته سنتين ، وكان أثرها عند العرب المغتربين في الأمريكيتين بايغا عارما ، فما أبهجنا حينئذ شيء كاعتزام أجلاء من شيوخ الأدب هناك الرجوع

إلى الوطن وقد نُجِلَتْ لأبصارهم بشائر
وحدة عربية طالما حلموا بها وغنوا لها ،
بدأ تحقيقها بوحدة مصر والشام ، فسعدنا
برؤية أعلام كنا نعمنا بأدبهم ونضالهم
للعثم وبلادهم ، واليوم نراهم بيننا يغنوننا
في قرحتنا أعذب الألحان : الشاعر القروي ،
والشاعر المدني ، والياس فرحات ، وإيليا
أبو ماضي وجورج صيدح و . . . الخ .

ويعيننا منهم في موضوعنا هذا الأستاذ
نظير زيتون حامل لواء السجع المطبوع الجميل ،
ولو كان بدا للحاملين على السجع لنكسوا
أعلام الحملة ، وتركوا لهذا الأسلوب
ميادينه يعمرها فرسانه الأصلاء المطبوعون .

كان السجع على لسان نظير زيتون
ينثال سهلاً سائغاً عذبا يطرب رنينه ويهبر
تدفقه ، ولو شاء جعل كلامه كله سجعاً ،
فهو فيه قريع أبي العتاهية في شعره سلاسة
وطبعا .

إن ما خلفه نظير زيتون هو أدب قبل أن
يكون سجعاً أو غير سجع ، وكان كما
وصفه صديقه الشاعر جورج صيدح في
تقديم قصته (من وراء القبر أو انهيار
أمبراطورية وولادة أمة) : سبقته إلى الشام

«شهرة طيرها المهاجرة وتصيدها الوطن ،
لقد عاد من البرازيل بثروة من الآثار القلمية
تغنيه عن التماس أثر جديد ، لكنه ظل
مهاجري الروح مهاجري^(١) الطابع ، وظلت
الرسالة المهاجيرية أمانة في عنقه سواء (توطن)
في الغربية أم (تغرب) في الوطن ، وتعود
أن يعيش بقلبه وقلبه كل محنة تنزل بأمته
كما يعيشها خديته الشاعر القروي بروحه
وبشعره ، وزميله فرحات بثورته^(٢) » حسبي هذا
تعريفاً بأدبه من زميل له عايشه في الغربية
العمر الطويل ، لأبادر بالكلام على سجعته :

في صيف عام ١٩٦٤ لفت نظري في مجلة
تصدر في دمشق تعليق سلمي على مقال عنوانه
(نجوى وذكريات من نظير زيتون إلى شفيق
معلوف) كان للتعليق رد فعل في نفسي حملني على
الإمعان في المقال فطربت لفقرته الأولى
وقد قطعت جملاً صغيرة مسجوعة ذات
رنين جميل وتصوير أجمل ، فتأملت
في القراءة استلذاً بأصالة البيان ، فلم
أرفع نظري إلا آتياً على خاتمته ، لم أدر
كم استغرق من وقت لكنه إحدى عشرة
صفحة . بالحرف الدقيق ، والرسالة راحة
في الذكريات ، والآمال ، والآلام ، أجاب
الكاتب بها صديقه الشاعر شفيق المعلوف^(٣) ،
سطارها الأولان :

(١) في الأصل (المهجر) وهو خطأ شائع هناك ثم هنا .

(٢) (من قصة وراء القبر) ص ١٦

(٣) مجلة المعرفة - دمشق ، العدد ٢٧ مايو ١٩٦٤ م ، والتعليق للفقيه الأستاذ فؤاد الشايب وكان ملماً بالآداب .

ولم يكن من العرف يومئذ أن يعهد برياسة تحرير لمن لا إلمام له بأدب ولا معرفة له بأدباء .

«حبذا الكتاب ونجواه ، والحرف وشذاه
والقلم في مجراه ومداه ونهاه ، والبحر ودره
الرهراه (الصافي) والولاء متجليا في سناه ،
والخلق المعطاء صداحة فوسيقاه ، نخبها
مجنأه ، هطالا جنأه » .

ثم يعرج على ذكرياته في الأمريكتين
مع رجال (العصابة الأندلسية) وغيرهم ،
ويحسن إلى أولئك الأيام « بين
رفاق تألفت قلوبهم ، وتجندت أرواحهم
للدروءات والمكرهات ، والذود عن أم اللغات
في دنيا غريبة اللغات والعادات ، فكانوا أحنى
ضلوعا على الحرف العربي من المرضعات ،
وأوفى بالضاد من شيوخها السادات ، وأكلف
بالفصحى من صوفي بالعبادات ، وأغضب
للغة القرآن من مضرى في حومة المساجلات
وعكاظ المفاخرات » .

وتمضى الرحلة في بلدان أمريكا الشمالية
والجنوبية حيث العرب المغتربون قد أقاموا
للفصحى في كل بلدة ناديا وسوقا وجريدة
ومجلة ، فيستعيد ذكرى المجالس الحافلات
بالأدباء والشعراء ، ومهرجانا أقاموه
للمتنبي فيقول :

« ولنخرج على شيخنا المتنبي في ذكره
الألفية ، ولنشف آذاننا بسماع شعراء
العصابة الأندلسية ، ولقد أصغينا إليهم قرأناهم

أمرأ ينشدون في حضرة المتنبي صاحب
الحلالة الملكية ، كما كان أبو الطيب ينثر
درره في ديوان سيف الدولة الحمدانية ، ويقهر
خصومه وحساده بالأبيات الخلية العصبية
ويؤجج في صدورهم نيرانا جهنمية » .

ولم تكن ذكرى المتنبي في سنان باولو
حفلة ولا مهرجانا ، بل رواقا باذخا رتلنا
فيه صلاة وقدمناه قربا ، وقرأنا ، وركعنا
نخشعا في مخراب الفصحى شيوخا وشبانا ،
وبزغت العربية في صدورنا نورا وإيمانا
وحبا وإحسانا ، وفصاحة وبيانا . .
ويختم رحلته قائلا لمخاطبه : « واكم لعبقري
شاعرا ولآي البيان ناثرا ، وللإخوان إصدرا
عامرا ، وللفضل بحرا زاخرا » .

شعرت أن الكاتب يغرف من قلبه الطافح
بأنبل العواطف ، وأن لغته الساجعة طاوخته
بل سابقته إلى هذا الغرف ، وأنت حين
تكون حيال أدب مطبوع لا تسأل عن
شكله ، فليكن شعرا أو سجعاً أو مرسلا ،
حسبك من قوة الطبع وعدوى الانفعال
والتأثر .

ثم عدت إلى نفسي أتساءل : (ألا يمكن
أن يكون الأستاذ نظير قد احتفل في هذه
الرسالة بأناقة الأسلوب لأنه قدر أنها للنشر ،
ولولا ذلك لكان تعبيرها عن طبعه في الصديق

والبعد عن التكلف ، . . ولم يطل بي الفكر
إذ ذكرت أن عندي رسالة شخصية منه
كتبها إلى في ٢٠ / ٧ / ١٩٦٣ فاستخرجتها
أقرأها ، فإذا هي وما تقدم من ينبوع واحد ،
وهذه فقرة منها لا أحتشم من ذكرها :

«ورحم الله الأفغاني جمال الدين ، الرئيس
الإمام ، وقد كان في الشرق قطب الإصلاح
وعلمه المصباح ، وبابه والمفتاح ، فكم نادى
في القوم وصاح ، ودعا إلى الفلاح ، وكم
شنها غضبة مضرية على السلطان السفاح ، وكم
ندد بالجهل والحمود والتخبط والفساد
وسائر ما ينتاب العقل من كساح ، وكم
أهاب بالعرب ودعا إلى السبيل الواضح ،
والسنن الصالح ، إلى أن أدركته المنية عملاقا
في الكفاح ، عبقريا في عظاته الفصاح ، أو
ليس بين هذين من قربى الأرواح موصولة
بصدقات فكر أصيل مالح ، وقلب خبير
سماح » .^١

وعالينا أن نراعى ما بين طبيعتي الموضوعين
من تفاوت ، فهذه رسالة شخصية ، وتلك
رسالة أدبية تزخر بالمواقف والعواطف
ولكنهما سقيتا بماء واحد .

قلت إن تعليق رئيس التحرير كان سلبيا ،
ولكل عصر شعارات خرافية تشيع حتى

ليتعبد بها كثير من الناس ، ومن هذه
الخرافات تعابير : القديم والحديث ، والسجع
الثقيل والشعر الحر وغيره ، والعمودي
والخليلي ، والرؤى الرمزية ، ومن ذلك
قولهم : أسلوب عفى عليه الزمان ، وتصاوير
الحيل الصاعد والمتحرر . . . إنها شعارات
العبودية والانجرار على الذبول يلوكلها
الحليون من العلم والأناة والتفكير ، وربما
تجرف أحيانا من تخطى المراهقة في الأدب
أو السياسة أو الغوغائية ، وقد جرفت فيمن
جرفت صاحب التعليق حين قال :

«لولا أنه نظير زيتون ، ولولا حبه العظيم
لعربيته وعروبوته لقلنا إنه أسلوب عفى عليه
الزمان وخلفته وراءها الركبان » .

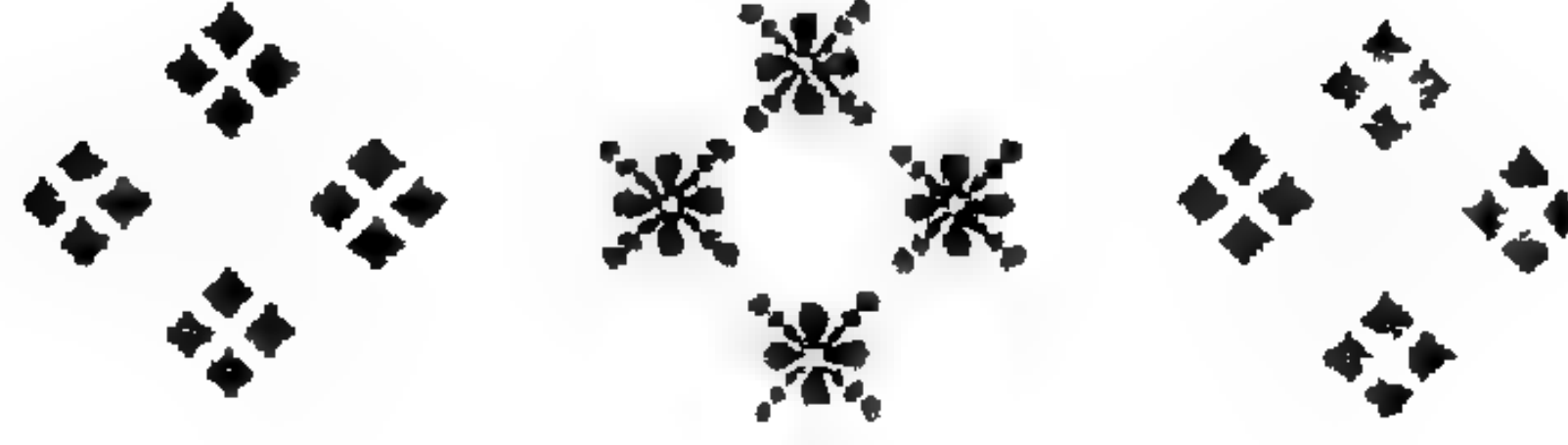
كان منتظرا بعد هذا التعليق أن يثور
جدال كالذي ثار بين الأمير شكيب ،
والأستاذ «محمد كرد علي» رحمهما الله ، ولا
شك في أنه من آثار حملات «كرد علي» على السجع
في نفوس الشباب حينئذ وصاحب التعليق
منهم ، ولعله طمع في شيء من مثل ذلك
الجدال لمجلته ، لكن شيئا لم يقع ، إذ فات
المعلق أن الأمر مختلف من وجهين :

كان آخر ساجع في الشام ظاهرة أدبية
فذة في الربع الثالث من هذا القرن .

سعيد الأفغاني

عضو المجمع المراسل من سورية

الأول أن الأستاذ نظير مطمئن إلى أدبه
الشهير المكين فلم يعبأ بالتعاقب ، والثاني
أن القراء سحرهم البيان الجميل المطبوع
فنسوا ، كان قال رئيس التحرير .



(١) ولد الفقيه الأستاذ نظير زيتون في حمص (الشام) سنة ١٨٩٦ م ، وفيها تلقى علومه الأولية ، وفي سنة ١٩١٤ م أول الحرب العالمية الأولى رحل إلى (سان ياولو) في البرازيل مهاجراً يطلب العمل والعيش فيها ، فعالج أبواباً من التجارة فلم تفتح له ، فعدل عنها إلى ميوله الأدبية واللغوية ، وقد وجد في مقاومة الحديد حافزاً يشجعها وبواعث تنشطها ، فأنصرف إلى دراسة اللغتين البرتغالية والأسبانية عاملاً على التبحر في آداب العربية وعلومها ، ولم يمض بضعة سنوات حتى أصبح واحداً من ألمع قادة الحركة الفكرية العربية في أمريكا الجنوبية . واشترك مع غيره من أدباء المهاجر في حمل رسالة الفكر العربي إليه ، كما اشترك معهم بنشره البليغ وبيانه المشرق في قيام (الحركة الأدبية في المهاجر) ، وقد أسندت إليه سنة ١٩٢٦ رياضة تحرير جريدة (فتى لبنان) ، وظل يشرف عليها حتى سنة ١٩٤٢ . كان الفقيه خطيب (النادي الحمصي) في (سان ياولو) وركناً من أركان (العصبة الأندلسية) ، وقد أسهم في تحرير مجلتها الرفيعة ، فلمع اسمه في مختلف جاليات المهاجر وأرجاء البلاد العربية. نشر كثيراً من المقالات الأدبية والدراسات الاجتماعية في مختلف المجلات والصحف العربية ، وقد جمع بعضها في كتب طبعت ، وظل أكثرها ينتظر من يجمعها لتعم فائدتها . ثم حمله الحنين إلى الوطن إلى سورية (في عهد وحدتها مع مصر) ، فلقى من مواطنيه كل تقدير لأدبه الرفيع وجهوده البالغة في خدمة القضية العربية ، ومنحته الحكومة السورية وسام الامتياز السوري . أقام في بلدته (حمص) إلى أن وافته المنية صباح السبت في ٢٢ / ٧ / ١٩٦٧ م .

[عن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مع بعض التشذيب ٤٣ - ٢٠٧]

اللغة العربية وسائل لإعداد

أترجمة أم عدوى لغوية؟

للكترابراهيم السامرائي

قَالَ

القساريء ستأخذ
طيرة من العجب أن
أستعير كلمة «العدوى»

من بيئة الأعراض والأدواء فأجتلها اجتلاباً
إلى حيز واضح في علم « اللسانيات ». غير أنني
قد استجرت لنفسى هذه الكلمة فتوسعت
في دلالتها توسعاً لا يحمل الضيم عليها ولا
يفسدها على نحو ما يعرض للكثير من الكلم في
هذه الأيام بحجة التطور وبذريعة أن العصر
يفرض علينا من الحديد أفانين شتى .

أريد بـ « العدوى » ما أسلفته الترجمة

بالعربية من « ضير » ، فقد حفلت العربية
المعاصرة بأنماط كثيرة من « الصياغة »
« Tournure » ومن غيرها مما يدخل في
أساليب التعبير (١) . ولقد كنت قد أشرت إلى
ذلك في موضوع أعددت له لمؤتمر المستشرقين
العالمي الذي انعقد في باريس (تموز ١٩٧٣) .
والموضوع مهم يتصل بالعربية وسلامتها كما
يتصل بعلم « اللسانيات » من حيث أن أنماطاً
لغوية خاصة بلغة عربية فرنسية ثم إنكليزية
قد وجدت السبيل إلى هذه العربية فبدت
عربية جديدة وسمت بسمات من « التغريب »

(١) قد يخطر في أذهان الدارسين ما يقابل هذه المواد المستعارة في اللغات الغربية (أخص منها الفرنسية والانكليزية)
وهو ما تفرضه العربية هذه اللغات من الكلم والمصطلح والأساليب . وهذا موضوع تاريخي كتب فيه الغربيون فأشاروا
إلى الدخيل العربي في الفرنسية والانكليزية والأسبانية وغيرها من اللغات وصنفت في ذلك مصنفات معروفة . وقد تجاوز
الامر هذا الدخيل فكان نمطاً جديداً من الفرنسية التي يحورها العرب من التونسيين والجزائريين والمغاربة . وهذه من الأنماط
الظاهرة التي وقف عليها علماء اللغة واللسانيات من الفرنسيين .

انظر مقال الأتيسة زهرة رباحي بالفرنسية والمرسوم به اللغة الفرنسية كما تتكلمها « الإطارات التونسية » (في
المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد ١٣ مارس ١٩٦٨ ص ١ - ٢٤) . وقد أثرت أن أثبت كلمة « الإطارات » لأشير إلى
أن التوانسة وغيرهم من الإفريقيين قد استعاروا كلمة (cadre) : الفرنسية واستعملوها مجازاً استعمال الفرنسية لها
على غير الحقيقة .

ومن غير شك أن الإنكليزية المستعملة لدى غير الإنجليز قد عرض لها من الحديد والدخيل ما أحالها إلى إنكليزية
أخرى .

(بالغين المعجمة) ولا أقول « التعريب »
فقد اتجه هذا المصطلح الأخير وجهة جديدة
تختلف كل الاختلاف عن « التعريب » الذي
عرفته العربية في عصور سلفت . إن « التعريب »
في اصطلاح أهل عصرنا هذا يعني الترجمة
والنقل من لغة إلى أخرى .

وإذا كنا نترجم عن اللغات الغربية
ولا سيما الإنكليزية والفرنسية فمن المعلوم أن
طائفة كبيرة من هؤلاء المترجمين النقلة
يحدثون جديداً غريباً يضاف إلى العربية
الجديدة . وليس من حرج على أن أستعير
عبارة أهل العلوم في عصرنا فأقول : إن
كيان العربية لا يقبل في أغلب الأحيان هذا
الجسم الغريب الذي أريد له أن يزرع فيه
فيجد له مكاناً . لقد شاه هذا الجسم وساء
مغرساً ولكننا قد ألفنا هذه اللغة بـعـجـرـها
وبـعـجـرـها كما قيل :

لا أريد أن أحجر على العرب فإذهب إلى
شيء من « قل ولا تقل » وذلك لأني موقن
أن العربية واسعة وأن كثيراً مما أشير إليه أنه
ليس من كلام العرب كان من كلامهم بل
من كلام الصفوة أهل الفصاحة واللسن . وهل
في طوقنا أن نذهب إلى القول إن العرب لم تقل
كذا وكذا ونحن لم نملك الكثير من كلام
العرب ؟ وأن القليل الذي بين أيدينا لم نخط

به علماً ؟ وإني لأذكر أحداً من هؤلاء الذين
ذهبوا هذا المذهب من إخواننا المصريين قال :
إن كلمة « بعض » تدل على الجماعة وليس

على « الواحد » وهو يرد بذلك على الأستاذ
الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - ،
أقول : لقد فات هذا الأستاذ الفاضل أن
كلمة « بعض » تدل على الجماعة وعلى الواحد
وهي كذلك في لغة التنزيل في آيات عدة .
فإذا كنا لم نخط إحاطة كافية بأشهر كتاب
من كتب العربية الحليّة وهو كتاب الله - جل
وعلا - فكيف يتأتى لنا أن نقول هذه المقولة :
فندهب إلى أن العرب لم تقل كذا وكذا ؟

أعود فأثبت أني لا أومن بهذا المنهج ، وأن
هذه « المعيارية » شيء عرفه المتقدمون وقالوا
به ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه ، فقد
تجاوزتهم اللغة إلى أشياء كثيرة .

ألم يكن الكثير من مسألة « عمود الشعر »
والخروج عليه شيئاً يقدر بهذه المعيارية
الخيالية ؟

ولابد من عودة إلى « الترجمة وآفات »
لأشير إلى أن المتقدمين أحسوا بعسرها ، وأنها
مشكلة ليس لنا أن نصل فيها إلى سمت
المحجة وقصد السبيل كما يقول الحافظ .
لقد فطن الحافظ إلى أن الترجمة مطلب عسير
وأن ليس في طوق المترجم أن يأتي بالعلم لما
يمكن أن تنال لغة من لغة أخرى ، فقال في
صفة هذا المترجم :

« ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ،
علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ، لأن كل
واحدة من اللغتين تجذب الأخرى ، وتأخذ

منها ، وتعرض عليها ، وكيف يكون
تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه كتمكنه إذا
انفرد بالواحدة وإنما له قوة واحدة ، فإن
تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة
عليهما « (١) » .

وهذا يعنى أن الترجمة عمل صعب ، وأن
صاحب الترجمة لا بد أن يكون ذا علم واف
باللغتين وإلى هذا أشار الجاحظ فقال في صفة
المترجم : « أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول
إليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٢) .

وهذا النمط من الترجمة فريد لا نعرفه
إلا في فئة قليلة من أهل العلم . ولعل الجاحظ
كان يقصد إلى هؤلاء في كلامه على القصاص
حين قال :

« ومن القصاص موسى بن سيار
الأسوارى ، وكان من أعاجيب الزمان ،
كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته
بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور
به ، فتتعد العرب عن يمينه ، والفرس عن
يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها
للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس
يفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدري بأى لسان
هو أبين . واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد

أدخل كل واحدة منهما الضيم على صاحبها
إلا ماذكرنا (٣) » .

ولقد أشار ابن خلدون في « المقدمة » (٤) إلى
معايير الترجمة وماتوول إليه ، وإنها تؤدي
إلى شيء غير مقبول في اللغة فقال :
« لأن البعد عن اللسان إنما هو مخالطة العجمة
فن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك
اللسان الأصلي أبعد » .

وامتنحن المحدثون بأمر الترجمة امتحاناً
شاقاً حتى ذهب أهل العلم والنسفة من
الإيطاليين إلى القول : « إن المترجم خائن »
(Traduttore traditore) . وما أظن
هؤلاء ذهبوا إلى هذا التماساً للسجع
والمشاكلة على نحو ما قيل عن صاحب بن
عباد أنه خاطب قاضياً بمدينة « قم » فبدأ
الكلام بقوله : « أيها القاضي بقم فلم يجد
ما يتم به هذا الخطاب إلا بقوله :
« قد عزلناك فقم » .

أقول : لم يكن شيء من هذا دفع أهل
الفصاحة من الإيطاليين أن يذهبوا إلى أن
« المترجم خائن » والترجمة خيانة ،
ولكنهم خبروا من أمرها عسراً أدركوا أن
النقل يجور على اللغتين أيما جور .

(١) الجاحظ : الحيوان ١ - ٧٦

(٢) المصدر السابق .

(٣) الجاحظ : البيان ١ - ٣٦٨

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٨

ومن المفيد أن أشير إلى شيء مما نال العربية من هذه الأساليب المترجمة التي تفتقر إلى الفصاحة . لقد أخذ الناس يقرءون في المجلات والصحف مثلاً : « إن الشاذلي أحد أكبر العسكريين العرب » (١)

ألا ترى أن هذا الأسلوب في إضافة « أحد » إلى « أكبر العسكريين » أسلوب لا تعرفه العربية؟ وهو من باب إضافة « الواحد » إلى « الواحد » وذلك لأن « أكبر العسكريين » واحد في الأصل إلا أن يكون في التعبير ما يشير إلى غلبة المضاف إليه وهو « العسكريين » . إن هذا لتأثر بأسلوب مترجم هو : . . . one of the bigger

ولو أدرك الكاتب أن في العربية ما يغنيه عن هذه الرطانة لاهتدى إلى أن الأداة « من » الحارة تفيد التبعض فكان عليه أن يقول :

« إن العقيد الشاذلي من أكبر العسكريين » وأعيد لأذكر أن هذا ليس من باب « قل ولا تقل » ولا من باب « التحجير » فاللغة واسعة ولكن ذلك يشير إلى التداخل اللغوي الذي جاءت به الترجمة فأساءت إلى بناء اللغة وكيانها ثم إنني لأذهب إلى أن التصحيح تفرضه علينا معايير جمالية مما ندعوه بالمصطلح المعرب « الاستطيقا » الذي أشار إليه النقدة والفلاسفة المتقدمون (٢)

ألا ترى أن استعمال « من » الحارة هو أرشق عبارة وأخف لفظاً وأهدى سبيلاً ؟ وإذا جئنا إلى اللفظ الجديد في دلالة لرأينا نماذج جاء بها المترجم جاهلاً بمعنى الكلمة الأجنبية أم غير جاهل . ومن هذه قولهم : « المعطيات » (٣) .

ولعلني بحاجة أن أتوسع في الكلام على هذا الجديد الذي لم يستقر المعربون على دلالة استقراراً يوحى أنه مادة عربية . إن « المعطيات » جمع مؤنث للمفرد « معطى » وهو اسم المفعول من « أعطى » الرباعي . وقد جمعه المترجم الناقل لأنه قد نحىل إليه أنه يؤدى الكلمة الفرنسية (Les données) وصيغة الكلمة الفرنسية اسم مفعول مؤنث مجموع ، فكان المترجم على حق في أخذ المقابل العربى اسماً مفعولاً مؤنثاً مجموعاً . وهكذا نشأت كلمة جديدة شاعت شيوعاً عجيباً في كتابات أهل هذا العصر من يعرف منهم اللغة الفرنسية ومن يجهلها .

قد تقول : وهل من بأس أو ضير في هذا الجديد الوافد ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن الكلمة الجديدة يستعملها جمهرة من الناس ولا يدركون دلالتها وقد تسأل أحدهم عنها فيجيب « إنها أفكار » ، وهل تكون

(١) مجلة الوطن العربى (السنة الثانية ، العدد ١٠٠ ص ١٣)

(٢) انظر كتاب الألفاظ للفارابى (ط . الكاثوليكية) .

(٣) فقه اللغة المقارن إبراهيم السامرائى (بحث تعابير أوربية في العربية) .

« الأفكار » في عموميتها « معطيات » ؟
ويجب آخر فيذهب إلى أنها « إحصاءات »
أو « مقترحات » أو أشياء أخرى .

والكلمة الفرنسية في « المعجم الفرنسي »
وفي استعمال الكتاب من أهل الاختصاصات
وغيرهم تعني « النقاط التي لا تناقش ولا يتنازع
فيها » فهل ترانا بلغنا المراد في « المعطيات » ؟ .

وقد أدرك اللغويون المحادثون هذه
الناحية فكتبوا فيها مصنفات أشاروا فيها
إلى الصعاب التي تعترض سبيل المترجم
وما ينتج عن هذه المهمة من الدخيل
والمسخ والنسخ والتحريف والترجمة
الحرفية وآفات أخرى .

ومن هؤلاء اللغويين الذين شغلوا بمسألة
« تداخل اللغات » العالم اللغوي « يوريل
فاينرايش » (Uriel Weinreich) ، فقد
صنف كتاباً في الموضوع نفسه وسيم « اتصال
اللغات » (Languages in Contact) (١)
وقد نبه هذا العالم إلى ملاحظة ما يعرض
لأية لغة من معايب حين ينقل إليها شيء
من لغة أخرى .

ومن المفسرين بالذكر أن من يضطر
إلى أن يعرب بلغة غير لغته الأصيلة وهو لا يجيد

اللغة الأخرى إجادته للغته ، أو قل إنه
لا يعرب باللغة المكتسبة إعرابه بلغته الأولى
إن هذا النفر من غير شك ليضيف إلى
اللغة الأجنبية التي يحمل عليها إضافات
غير محدودة تنال من جوهرها فضلاً عن
بهائها وجمالها . ومن هنا نشأت إنكليزية
المستعمرات أو ما وراء البحار كما نشأت
فرنسية إفريقية أو فرنسية أخرى .
ومثل هذا يعرض للغات كافة فليس بدعاً
أن تكون لنا عربية جديدة فيها مما يتصل
بالنحو وبناء الجملة وما يتصل بالصرف
والأبنية ثم ما يتصل بالأصوات والدلالة
شيء جديد قد يكون عجباً في بعض الأحيان .

ولقد أشار إلى التحريف والعيوب التي
تلاحق أسلوب المترجم وهو ينقل إلى لغة أخرى
المسيو « جان بول فيني » (Jean Paul Vinay)
في بحث له ضمنه كتاب يشتمل على بحوث
أخرى (٢) . وقد جاء بشيء واحد عدة
تشير إلى ما عرض للمترجم من صعاب
جنبته سواء السبيل .

ومن المفيد أن أشير إلى شاهد اقتطعته
من دراسة في الترجمة (٣) للسيد صالح الفرماوي
التونسي وهو يشير إلى الفرنسية التونسية
وتأثيرها في العربية نقلاً وترجمة .

(١) من منشورات الحلقة اللغوية لمدينة نيويورك (Languistic circle of New york) (وطبع

طبعة زيد فيها في مدينة لاهاي سنة ١٩٦٣)

(٢) ورسم الكتاب بـ (Le Langage) في سلسلة دائرة معارف بلياد (Encyclopédie de Pléide)

(٣) من بحث للأستاذ صالح الفرماوي موسوم بـ « الترجمة من حيث عامل هام من عوامل المدى اللغوية »

يقول الفرنسي : (Je n'ai plus faim)

يعرفها العربي في الشمال الإفريقي والعربي في المشرق فيتأثر بها وهو يدرج في كلامه الشفوى أو قل : وهو يكتب فيقول : « لم يعد عندي جوع » .

وهذه ترجمة حرفية ، ولو قال : شبعنا لكان أوفى لعربيته . ومن المعلوم أن للشعوب طرائق خاصة في الإعراب عن المعاني والأعراض فقد يكتفى الشرقي المسلم في هذه الحالة بقوله : الحمد لله ، بعد الانتهاء من تناول الطعام ؛ كناية عن اكتفائه وشبعه .

غير أن قول القائل : لم يعد عندي جوع تشبه . ما نسمعه في ديار المشرق العربي من قولهم : « عندي جوع » وهذا نظير قول التونسي : لم يعد عندي جوع وهو فرق ما بين الإثبات والنفي . ولا أشك في أن تكون هذه العبارة المشرقية قد جاءتنا ترجمة حرفية لاستعمال إنكليزي ثم فرنسي ..

ومن المفيد أن آخذ شيئاً من تجربة تونسية أشار إليها الأستاذ صالح القرمادي في البحث الذي نوهنا به قبل قليل .

جاء في البحث المشار إليه : « ومثل ذلك يقال في المثالين التاليين وقد اخترناهما من نصوص قمنا بترجمتها شخصياً :

١ - النص الفرنسي :

(Je Préfère la montagne à la mer).

الترجمات العربية :

١ - أفضل الجبل على البحر . وهي

ترجمة حرفية .

٢ - الجبل عندي أفضل من البحر .

وهو تحوير أو تكييف .

٣ - وللجبل خير لي من البحر وأبقى .

وهو تعديل منسوج على منوال الأسلوب القرآني .

٢ - النص الفرنسي (١) :

(Le gros rouge qui détache).

الترجمات العربية :

١ - الأحمر الغليظ الذي يفصل .

وهو ترجمة حرفية سمجة .

٢ - الأحمر الحمراء المبتدلة التي لا تبقي

التياب بل يبق رأس صاحبها إلى حيث

(١) قارن بين مختلف كيفيات أداء نفس المعنى وهو الصراع في اللغات الآتية :

مثلا في العربية الصحيحة : برأسي ألم . وفي العربية التونسية : رأسي يوجع في .

وفي الفرنسية : (J'ai mal à la tête) . وفي الإنكليزية : (I have a headache)

وفي الإسبانية : (me duele la Cabeza) . وفي الروسية : (Golova mnie bobit)

لاندري وهذه ترجمة فيها شيء من التكلف والإفراط في التحليل لا محالة . إلا أنها تدل على توفيق المترجم مبدئياً إلى العثور على مرادف غربي للتورية الفرنسية الموحى بها في عبارة (detache) المقلوب عن (tache) ، وهذا المرادف هو بقمع وأبقع .

ولئن كانت هذه الإمكانيات المتعددة في نوع درجات الترجمة من لغة إلى أخرى ناتجة عن اختلاف الثقافات في العالم فإن مردها الأساسي من حيث علم الألسنة إلى أن كل لغة يصنف أصحابها التجربة البشرية تصنيفاً خاصاً ، كما ذهب إلى ذلك العالم الألسني الفرنسي « اندري مارتيني » (André Martinet) (١٦).

وقد تأثرت اللغة الإعلامية المبهمة بالإعلان المذاع ، وما يكتب في اللوحات أو قطع القماش أو في الجدران مما يراد به الإعلان والدعوة لشيء من الأشياء .

ومن هذا ما سمعت من إحدى الإذاعات العربية أن المذيع يتلو جملة هي :

« آخر صيحة في عالم الساعات » وهو يقابل في عبارته ما تذيعه الإذاعة نفسها في اللغة الفرنسية وهي :

(Dernier cri dans le monde des montres)

وإذا عرفنا أن هذه اللغة الجديدة تجاوزت حدودها فليست هي مقصورة على اللغة السائرة الدارجة- مما يدخل في الإعلان

والتجارة والحر السياسي والفائدة الاقتصادية وإنما وجدت سبيلها إلى لغة الجدل في المادة الأدبية وسائر ألوان النشاط الفكري . وحسبك أن تعلم أن عبارة :

الأكثرية الساحقة :

La majorité écrasante

قد وردت في فتوى دينية لأحد العلماء والأعلام من المراجع الدينية . وهذا يعني أن اللغة المترجمة مما ندعوه بـ « المولد الجديد » قد شاع شيوعاً تاماً حتى خيل لكثير من الناس أنه مادة عربية . ومن أجل ذلك استعمله هؤلاء المفكرون الكبار من غير أن يشعروا أنه مولد جديد لا تعرفه العربية الفصيحة . ولم يتساءل هؤلاء كيف توصف « الأكثرية » بـ « الساحقة » ؟ ومن أولئك الذين تسحقهم الأكثرية ؟ وأكبر الظن أن هؤلاء لم يخطر في أذهانهم أن العبارة اجتلبت من بلد يحكمه نظام يقوم على المجلس النيابي الذي تكوّن فيه « أكثرية » « وأقلية » .

ومن المفيد أن أقف على هذه الأبنية المحتومة بباء النسبة مع تاء التأنيث . لقد وجدوا أن الكلمة الأجنبية مؤنثة (Majorité) فكيف يكون المقابل العربي مساوياً في التأنيث للكلمة الأعجمية ، فلم يكن منهم إلا أن يفزعوا إلى هذه الصيغة المنسوبة المؤنثة .

(١) بحث الاستاذ ضالح القربادى الذى أشرنا إليه . وهو غير منشور ولكنه أعد ليلقى بندوة علمية .

وقد شاعت في الحقبة الأخيرة ألفاظ
منسوبة ثقيلة مثل المادة « الأصغرية »
والاتفاقية « التصفوية » و « البرامج
التنموية » والاتفاقية « النووية » .

وشيوع هذه الألفاظ المنسوبة دليل
على غياب الشعور بالفصاحة والقرب من
العجمة ذلك أن هؤلاء العرب لم يشعروا أن
أسلوب الإضافة يؤدي ما تؤديه هذه
النعوت المنسوبة الثقيلة . ألا ترى أن
قولنا : اتفاقية التسوية أو التصفية ،
وبرامج التنمية أخف لفظاً وأرشق عبارة
من الاتفاقية النووية أو التصفوية .

لقد اضطر العربون في مطلع هذا
القرن إلى أن يستعملوا هذا الأسلوب في
قولهم : الأنظمة التربوية وعلم النفس
التربوي .

ولعل هذا قد كان بسبب من الترجمة
الحرفية المقيتة . أما المادة « الأصغرية »
فتلك طامة « كبرى » وهي إن دلت على
شيء فإنما دلائلها عجمة مستحكمة ،
فقد جهل الناطقون بالعربية أن الصفة
« الصغرى » التي تترشح للتفضيل أحياناً
تغنى عن هذه « الأصغرية » القبيحة .

ومن هذه الأساليب الجديدة قولهم
في العربية :

« لتغطية حاجاتنا » وهذا ليس من العربية
في شيء بل هو ترجمة حرفية للعبارة
الفرنسية

(Pour la couverture de nos besoins).

ولقد شاعت هذه « التغطية » حتى
صارت شيئاً لا بد أن تجد في كثير مما
يكتب في الصحف .

يقال مثلاً: « لقد كلف فلان بتغطية وقائع
المؤتمر » ويريدون ضبط الوقائع والإخبار
عنها ولو أن أحداً كان قد سمع هذه
العبارة قبل ما يقرب من ربع قرن لفهم عكس
ما يراد فهمه منها في هذه الأيام . أن
« تغطية » الشيء في العربية تعني حجب
ولإخفائه فكيف كان العكس في لغة عصرنا
هذا ؟ هذا ما لا نريده لهذه العربية مع
إقرارنا بالحاجة إلى تطويرها وتطويرها
لحاقاً بما عند الأمم الأخرى .

ولعل أقطار الشمال الإفريقي قد عرفت
من أمثلة هذه الرطانة شيئاً كثيراً نلمحه
في أسماء المتاجر والمقاهي وغيرها من
المحلات العامة . أنك تقرأ مثلاً في واجهة
إحدى المقاهي في مدينة الجزائر :

مقهى النهاية، وهو من غير شك ترجمة
لاسم مقهى بالفرنسية هو :
(Café Terminus) .

والاسم بالفرنسية يعني «النهاية» أي نهاية
الشارع أو نهاية الخط الذي ينتهي إليه
القطار أو الحافلة .

غير أن ترجمة الكلمة الفرنسية (Terminus)
إلى كلمة (النهاية) بالعربية ذات إحياءات
مفرعة لانحسارها في الكلمة الفرنسية .

وقد يتسمح غير المعنيين باللغة والكتابة الأدبية والعلمية من التجار والصناع وأصحاب المصالح العامة بالمادة اللغوية فيبيعون لأنفسهم ما لا يتقبله أهل الحد والعلم . ومن ذلك ما وجدته في بحث الأستاذ جان بول فيني^(١) (J.P. Vinay) الذي أشرنا إليه من أنه وجد في « كندا » الفرنسية إعلاناً يدعو الناس إلى التوفير والادخار فيعبر عن « الادخار » بأنه : (Passe Port pour une meilleur vie) .

وهو ترجمة للنص الانكليزي : (Passport to better Living) . وقد يتجاوز هذا الدخيل مسألة الألفاظ والتعابير إلى الأصوات والأبذية وشيئاً من النحو كما سنتبين :

التداخل الصوتي :

من غير شك أن الأصوات العربية تفتقر إلى أصوات لانجدها في عدتها كالأصوات اللاتينية : (V.P.G.) . ولقد امتحن المتقدمون بهذه المواد فاختاروا لها الفاء لـ (P) والواو (V) والغين لـ (G) ولكنهم لم يثبتوا على هذا المتعارف المشهور . وكان الحق أن يكون في العربية القديمة التي وصلت إلينا في مواد الشعر الجاهلي ولغة التنزيل العزيز والتي نخلت من

هذه الأصوات ، هذه الأصوات المشار إليها ذلك أنها أصوات عرفت في اللغات السامية الأخرى . ومن غير شك أن اللهجات العربية القديمة قد عرفت أيضاً ولكن الفصيحة المشهورة قد تجاهلتها .

لا أريد أن أدخل في علم الأصوات التاريخي للعربية، ولكنني أبتدرك فأقول إن العربية المعاصرة قد امتحنت بهذه الأصوات وهي تنقل الكلام الأعجمي أذكر أني عرفت الشاعر الفرنسي (Victor Hugo) وأنا صغير قد تجاوزت مرحلة الدراسة الابتدائية في كتابه الشهير « البؤساء » ، فعرفت أن هذا الشاعر الكبير قد عرفه قراء العربية الذين لا يعرفون الفرنسية بأسماء عدة هي :

« هيغو، هيكو، هوجو، هوكو، هوغو، هيغو » ومن المعلوم أن ليس بين هذه الكلم شيء يفصح عن النطق الفرنسي . أما (Victor) فكان بالفاء . وليس « الفاء » نظير الصوت (V) وأهل الأصوات يعرفون هذه الحقيقة الأولية . وقد نتجاوز هذا القدر من الأصوات الساكنة هذه (Consonnes) إلى الأصوات الصائتة أو المصوتة ولا أقول « العلة »^(٢) ويدخل في هذا ما ندعوه في العربية بـ « الحركات » .

(١) المرجع المذكور آنفاً (سلسلة دائرة معارف بلياد) .

(٢) أقول : إن مصطلح العلة مصطلح لا يني بالحقائق العلمية للأصوات اللينة «أصوات المد مع الحركات» وذلك لأن هذا المصطلح لا يتكفل بحقيقة هذه الأصوات وطبيعتها ومادتها وصفاتها وكيف تحدث بل يشير إلى أن هذه الأصوات لا تثبت . فيعرض لها الأبدال وهذه «علة» فيها أي أنها لا تنساري الأصوات الأخرى التي نسبوا إليها الصلابة والسلامة .

ولنأخذ مثالا على ذلك نطق العلم المشهور الفرنسي « الجنرال ديغول » نسمع العربى ولا سيما فى الشمالى الأفريقى ينطق هذا العلم المشهور وهو يعقب صوت الدال (d) بـ (e) وهى حركة وسطية نصف منغلقة وبالصوت (g) وهو صوت فى أقصى الحنك شديد مجهور فرنسى لانعرفه فى العربية الفصحى وإن كنا نباشره فى اللهجات العامية الدارجة .

وقد يكون هذا محدوداً بالنطق فلا يتجاوز الأمر إلى إحداث شئ مما ندعوه بـ « الفونيم » فى علم الأصوات .
ومن التداخل ما يتصل بالأبنية الصرفية الجديدة .

لقد شاع فى اللغة المعاصرة ضرب من التركيب الذى يؤلف أبنية مركبة غريبة ليست من النحت الذى عرفته العربية كقولهم :

« انكازساسون » وهو من (Anglo — Saxon)

« افرو آسيوى » وهو من (Afro — asiatique)

« هندو — أوربى » وهو من (Indo — européen)

« الصناعات البترو — كيمياوية » وهو من (Les Industries Pétro — Chimiques)

وكان العربى فى عصرنا ياءوا بانه الأبنية مواد عربية ، ومن أجل ذلك عوليت معاملة الكلم المنحوتة فانت تجد ياء

النسبة فى آخرها كقولهم : الصناعات البتروكيمياوية . واللغات الهند وأوربية . وهكذا . .

ولنعرض لشيء آخر يتصل بالبناء الحديد فى الحملة العربية ، ومن ذلك ما شاع من استعمال الكاف التى لا يراد بها التشبيه كأن يقال :

« هو كأستاذ » والمراد : هو من حيث كونه أستاذاً . وهذا من الفرنسية : (I est comme professeur)

وقد يكون من سوء فهم الدلالة الصحيحة أن تأتى الترجمة أبعد ما تكون عن الأصل . ومن أمثلة ذلك الفعل (Connaitre) تترجم غالباً بالفعل « عرف » ولكنه يعنى « عانى » وقاسى و « كابله » فى قولهم مثلاً :

(M. Nixon a connu toutes les étapes de cette dégradatio).

وكانت الترجمة العربية : « لقد عرف السيد نكسون كل مراحل هذا الانحطاط » .

وليس من مكان للفعل « عرف » فى الحملة الفرنسية ذلك أن الفعل الفرنسى (Connaitre) يعنى من بين معانيه الكثيرة (éprouver) أى عانى وقاسى وليس « عرف » فإذا ترجمنا الفعل الفرنسى بـ « عرف » لم نحظ بالمعنى المراد .

ونمثل هنا ما قرأته مثله زغن ليشين ينجيد : « أن مصر تعرف أزمة اقتصادية » والفعل

الفرد في هذه الحملة هو (Connaitre) ولا يعني هذا « عرف » إنما يعني « المعاناة »
« والامتحان » .

مثال آخر (١) :

Après avoir résisté pied à pied aux
requisitions,, qui Lui Parvenaient de
la comission d'enquêt du Sénat et du
Procureur spécial, épaississant le trouble
autour de lui, il s'est déclaré mercred,

الترجمة :

وبعد أن صمد تجاه الاستدعاءات التي
توجهها إليه لجنة التحقيق التابعة لمجلس
الشيوخ والمدعى الخاص والتي تزيد في
شدة الحيرة والارتباك حوله أعلن يوم
الأربعاء ...

قال الأستاذ صالح القرمادى :

« هنا ينبغي الإدلاء بعدة ملاحظات ،
نفس الجدير أولاً — وبالعكس مما ذكرناه
(كذا) من تدخل إلى حد الآن أن نلاحظ
المجهود الذي قام به المترجم قصيد اجتناب
الغلوى والتأثر بالفرنسية . ومن ذلك أنه
قال : « لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ .. »
ولم يقل لجنة التحقيق لمجلس الشيوخ
(باستعمال حرف اللام (ل) مرادفاً للحرف
(de) الفرنسى » .

واستعمل المترجم : « تزيد في شدة »
مقابلاً له (épaissir) . (وهذه الترجمة

هى التوصل إلى المعنى) بطريقة غير
مباشرة .

واستعمل المترجم : « الحيرة والارتباك »
مقابلاً له (trouble) واستعمال لفظتين
مترادفتين موزونتين ومن خصائص اللغة
العربية الفصحى القدماء المرموقة (كذا) .
كما يجدر بنا ثانياً أن نلاحظ ما جاء في
هذه الفقرة من تأثر تركيب الحملة العربية
بتركيب الحملة الفرنسية من ذلك استعمال
جملة فرعية زمانية تبتدىء بـ « بعد أن »
قبل الحملة الأصلية التي تبتدىء بالفعل
« أعلن » وذلك رغم طول تلك الحملة الزمانية
وتشعبها لاحتوائها على جملتين فرعيتين
ثانويتين موصولتين (كذا) (التى
التي)

وهذا الترتيب إنما هو من خصائص
الحملة الفرنسية فى الأسلوب الأدبى ،
وأما العربية الفصحى القديمة فقد كان
الترتيب العادى فيها باستثناء الحمل الزمانية
المبدوءة بـ « لما » أن يعكس الإنسان فيأتى
بالحملة الأصلية ثم بالحمل الفرعية » .

انتهى كلام السيد صالح القرمادى .

أقول : إن الحملة فى ترتيبها كما ظهرت
مترجمة متأثرة من غير شك بالترتيب
الفرنسى فى الحملة الفرنسية . غير أن
كلام السيد القرمادى فى ترتيب الحملة

(١) المثال مأخوذ من بحث الأستاذ صالح القرمادى الذى أشرنا إليه .

العربية الفصيحة وكيف تأتي الحملة الأصلية
مبدوءاً بها ثم تأتي الحمل الفرعية غير
سديد؛ وذلك لأن الحملة العربية تبدأ بما
هو المراد فحيث أريد تعيين الذات بدئاً
بالاسم ، فإن أريد تعيين الحدث بدئاً
بالفعل ، فإن احتيج بيان المكان أو الظرف
أو الحال الخاصة بدئاً بالظرف أو الجار
والمحور أو نحو هذا . قال تعالى : « إياك
نعبد وإياك نستعين » وقد يتجاوز التداخل
اللغوي فيحمل الضم على شيء من خصائص
النحو القديم ، ومن أمثلة الفصل بين
المتضامين كقول غير العارفين بفصيح
العربية :

« سكرتير عام لجنة التنسيق » وهو من
(secrétaire général du comité de
coordination)

كان الصحيح الفصيح أن يقال جرياً
على سنن العربية : « سكرتير لجنة التنسيق
العام » أو « السكرتير العام للجنة التنسيق »
غير أن التأثير بالأسلوب الأجنبي جرّ
المترجم إلى اتباع ما لا يجوز في العربية :
ومثل هذا مسألة العطف على المضاف
قبل المضاف إليه كأن يقال :
دراسة لغة وأدب العرب

وهذا يقابل في الفرنسية :
Etude /de/ la /langue /et/ de /la littérature
des Arabes
وكان الصحيح الفصيح أن يقال :
دراسة لغة العرب وأدبهم .

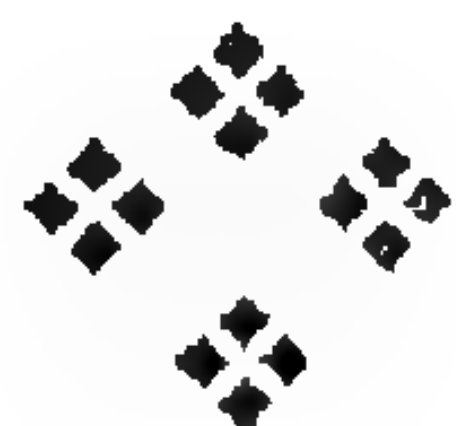
خاتمة :

هذه نماذج جد يسيرة كشفت عن أن العربية
المعاصرة يتعاورها الدخيل والغريب حتى أحالها
إلى شيء جديد . وهذه المظاهر تلقاها في
أنماط شتى من هذه اللغة فليست هي
خاصة بـ « لغة الصحافة » بل تجاوزتها إلى
لغة الصفوة من أهل البلد والعالم . ولا
تعدم أن تجد في لغة أهل الأدب والمعنيين
بالعلوم اللغوية أشياء كثيرة منها :

وبعد أليس هذا هو « التعريب » ؟
بالغن المعجمة . لا « التعريب » ؟ وهل
ترانا أسعد حظاً إن كنا نركن إلى « التعريب » ؟
وهذا التعريب ترجمة ونقل لأساليب
غريبة بعضها شر لا بد أن نطرحه جانباً ،
وبعضه شر لا بد منه ، وبين هذا وذاك
منافع جمة لا بد منها لحضارة معاصرة .

ابراهيم السامرائي

عضو المجمع المراسل من العراق



نخطبات مجعنة

في الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس ٣٠ من
الأول سنة ١٣٩٨ هـ (٩ من مارس سنة ١٩٧٨ م) أقام
المجمع حفلاً لاستقبال عضويه الجديدين : الأستاذ محمد
عبد الغنى حسن والدكتور حسن على إبراهيم .
وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مدكور

رئيس المجمع

سيداتي ، سادتي :
من حسن حظ هذه الدار أنها تغذى كل
عام بغذاء جديد ، وفي هذا الغذاء ما يبعث
فيها نشاطاً وحياة ، ويمدها بعلم ومعرفة .
ونصيبنا هذه المرة ثلاثة من الأعلام ،
لم يستطع واحد منهم ، أداء لواجب في
الخارج أن يكون معنا ، وهو الدكتور سليمان
حزين ، ونحن على موعد مع استقباله بعد
مؤتمرنا السنوي . ويسعدنا أن نستقبل اليوم
شيخين من شيوخ الأدب والعلم ، هما
الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، والدكتور
حسن على إبراهيم .

* * *

وأولهما أديب وكاتب ، باحث ومؤلف ،
ناثر وشاعر . ويضمّ دون نزاع إلى تلك
السلسلة الذهبية من كبار الشعراء الذين نعم
المجمع بهم ، واعتز بعضويتهم ، أمثال على
الحارم ، وعباس العقاد ، وعزيز أباظة ،
ومحمد بهجة الأثرى .
وثانيهما جراح كبير أولع بالشعر والأدب
منذ صباه . وستسمعون اليوم إلى شيء من

وباسم المجمع يستقبل الدكتور أحمد الحوفي
زميله الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، ويأسف
أنه لم يستطع أن يتولى ذلك بنفسه ، وتفضل
الزميل الأستاذ محمد شوقي أمين فتاب عنه .
ويستقبل الدكتور أحمد عمار زميله الدكتور
حسن إبراهيم .
والكلمة الآن للأستاذ شوقي أمين .



في استقبال الأستاذ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

إخوتي السادة أعضاء مجمع اللغة العربية :

سادتي :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد .

فقد اشترع المجمع شرعة حميدة أن يقدم أحد أعضائه العضو الجديد المنتخب ، تحية له من ناحية ، وتعريفاً كاملاً به من ناحية ثانية .

وكان من قسمي الطيب أن أقدم اليوم الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

وإذا كان من حق اللآل أن يزهي بدرجة نفيسة يقدمها ، فيصفها في دقة وخبرة وأمانة مشيداً بمزاياها ، مباهياً بنفسها ، واثقاً من صدقه فيما يقول ، مطمئناً إلى أمانته فيما يصف فإن من حق أن أنوه بنجم من نجوم مجتمعتنا اللغوي الموقر أقدمه اليوم ، كما جرى العرف منذ إنشاء المجمع على أن يقدم العضو اللاحق عضو سابق .

ولا فإن الأستاذ محمد عبد الغني حسن ليس في حاجة إلى تقديم ، لأنه ينطبق عليه

المثل العربي القديم : لا يجهله إلا من لا يعرف القمر .

عرفته منذ آخر العقد الثالث من هذا القرن ، ونحن من طلاب مدرسة ثانوية خاصة اسمها تجهيزية دار العلوم ، كانت تعد لدار العلوم وحدها طلاباً يدرسون ما يدرسه طلبة المدارس الثانوية ، ويزيدون عليه سعة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، ويحصلون بعد ثلاث سنوات على الكفاءة ! ، وبعد سنتين على البكالوريا ، ثم يلتحقون بالدار ، ألا ليت التجهيزية تعود ، ليتها تعود ، ليتها تعود .

كان الأستاذ محمد عبد الغني حسن في السنة الخامسة ، وكنت في السنة الأولى ، وسمعته يخطب مرات ، ويلقي شعره مرات ، فحبرت به وابتهجت ، ونبئت بيننا مودة منذ ذلك العهد .

ولقد أولاه السادة أعضاء المجمع ثقهم ، ومنحوه أصواتهم ، فلما فاز تحفوا به ، وبشوا إليه وهشوا له ، وتهللوا بنجاحه .

والحق أن كثيراً منهم يعرفه باسمه وبانتاجه منذ نصف قرن تماماً ، ولا يستطيعون أحد هذا الزمن ، فان الأستاذ مد الله في عمره ومتعته بمزيد من الصحة والنشاط . ازال ريان من ماء الشباب ، ومازال متألق الفكر ، فتي القلب ، مشبوب الوجدان ، سخى القلم ، دثر العطاء جم الإنتاج .

ولعل كثيراً منكم يتذكرون أنه كان يسمى شاعر الأهرام لأن جريدة الأهرام كانت تعني بنشر قصائده ، وتضفي عليه هذا اللقب :

وبشعره وبشره تألق اسمه في مصر وفي الأمة العربية ، وما زال يتألق .

لهذا أستبجح لنفسي أن أهنته بثقة المجمع اللغوي ، وهي ثقة عزيزة المنال ، طالما هفت إليها أفئدة ، وطالما علقت بها آمال ، وأن أهني المجمع بانضمامه عضواً عاملاً به ، راجياً أن يوفقه الله سبحانه وتعالى إلى بذل جهد مضاعف موصول ينضم إلى جهود زملائه القدامى والجدد ، لتنمية العربية الفصحى ، والحفاظ عليها ، وتطويرها ، ومسايرتها لركب العلوم والفنون والحضارة والابتكار . وأسارع فأطمئن الإخوة المجتمعيين إلى أن زميلهم الحديد الذي أقدمه الآن يمزج ثقافته الفياضة وأدبه المتدفق بكثير من خلال الخير ، كالتواضع والدعة والمودة والمسارة إلى إثارة الحق ، والشغف بالحقيقة أياً كان مصدرها يفعل هذا كله في قناعة الواجد ، وتجريد

الحاصد ، وأمانه الباحث ، وتواضع الزاهد . وإلى لوائح أن مجمعنا الموقر يرحب بهذه الخلال التي تعطره بالهدوء ، وتعمره بالسكينة وتكفل للحق وحدة أن يعلو صوته يستعلن ويستقر .

(٢)

أيها السادة :

أرجو أن تأذنوا لي في ذكر كلمة موجزة عن حياة الأستاذ محمد عبد الغني حسن وإنتاجه الأدبي .

١ - ولد الأستاذ بالمنصورة في ١٩ أغسطس ١٩٠٧ وتخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٣٢ ، وأوفد في العام نفسه إلى جامعة أكستر بالإنجلترا لدراسة التربية وعلم النفس ولغتين شرقيتين ، وانتظم في دراسة صيفية بجامعة ثور ، وبوانسون الفرنسيين لدراسة الفرنسية وآدابها .

٢ - أما الوظائف التي شغلها فهي التدريس بالمدارس الثانوية وبكلية فكتوريا بالمعهد العالي للتمثيل وكلية الشرطة ، وعين مديراً للاذاعة المدرسية ، ومفتشاً بالتعليم الثانوي والأجنبي ، ومديراً للنشر والدعاية بدار المعارف ، ومديراً لمؤسسة المطبوعات الحديثة ، ومديراً للنشر بالدار القومية .

٣- وأما مؤلفاته فهي كثيرة متنوعة
تجمعها كتب وبحوث :

(أ) في مجال الدراسة الأدبية له : الشعر
العربي في المهجر ، معرض الأدب
والتاريخ الإسلامي ، من أمثال العرب ،
الخطب والمواعظ ، التراجم والسير ،
الفلاح في الأدب العربي ، فن الترجمة
في الأدب العربي دراسات في الأدب
العربي والتاريخ ، بين السطور ،
جوانب مضيئة من الشعر العربي ،
خمسة من شعراء الوطنية (باشتراك) .

(ب) في السير والتراجم له :

حياة م ، عبد الله فكرى حياته
وعصره ، أحمد فارس الشدياق ،
المقري صاحب نفح الطيب ، م أدبية
الشرق والعروبة ، ابن الرومي ، تراجم
عربية ، جرجي زيدان ، الشريف
الإدريسي ، الشريف الرضي ، حسن
القطار ، ابن سعيد المغربي ، موسى
ابن نصير ، أبو مسلم الخراساني ،
بطل السند محمد بن القاسم .

(ج) في تحقيق التراث :

حقق الكتب الآتية :

تلخيص البيان في مجازات القرآن
للشريف الرضي ، حلقة الفرسان

وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي ،
الشيخ محمد عياد الطنطاوي للمستشرق
أغناطيوس كرتشكو فسكي .

(د) في التاريخ :

العرب صراع خلال العصور ، علم التاريخ
عند العرب ، المعاهدات والمهادنات
في تاريخ العرب ، تيجان تهادت ،
ملاحم من المجتمع العربي ، غرائب
من الرحلات .

(هـ) في الدراسات الإسلامية :

القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز ،
الإسلام بين الإنصاف والحدود .

(و) في الترجمة :

ترجم عن الإنجليزية :

كتاب المرأة والدولة في فجر الإسلام
للباحثة نايبة أبوت ، رواية مون فليت
مجموعة (أولادنا) .

(ز) في الشعر .

له عدة دواوين :

من وراء الأفق ، من نبع الحياة ،
من وحى النبوة ، ماض من العمر ،
سائر على الدرب .

(ح) وللاستاذ مناح آخر من النشاط في مجلات مصرية وفي مجلات عربية شتى . وفي سنة ١٩٧٧ نال وسام الرواد الأوائل للمعلمين في عيد العلم .

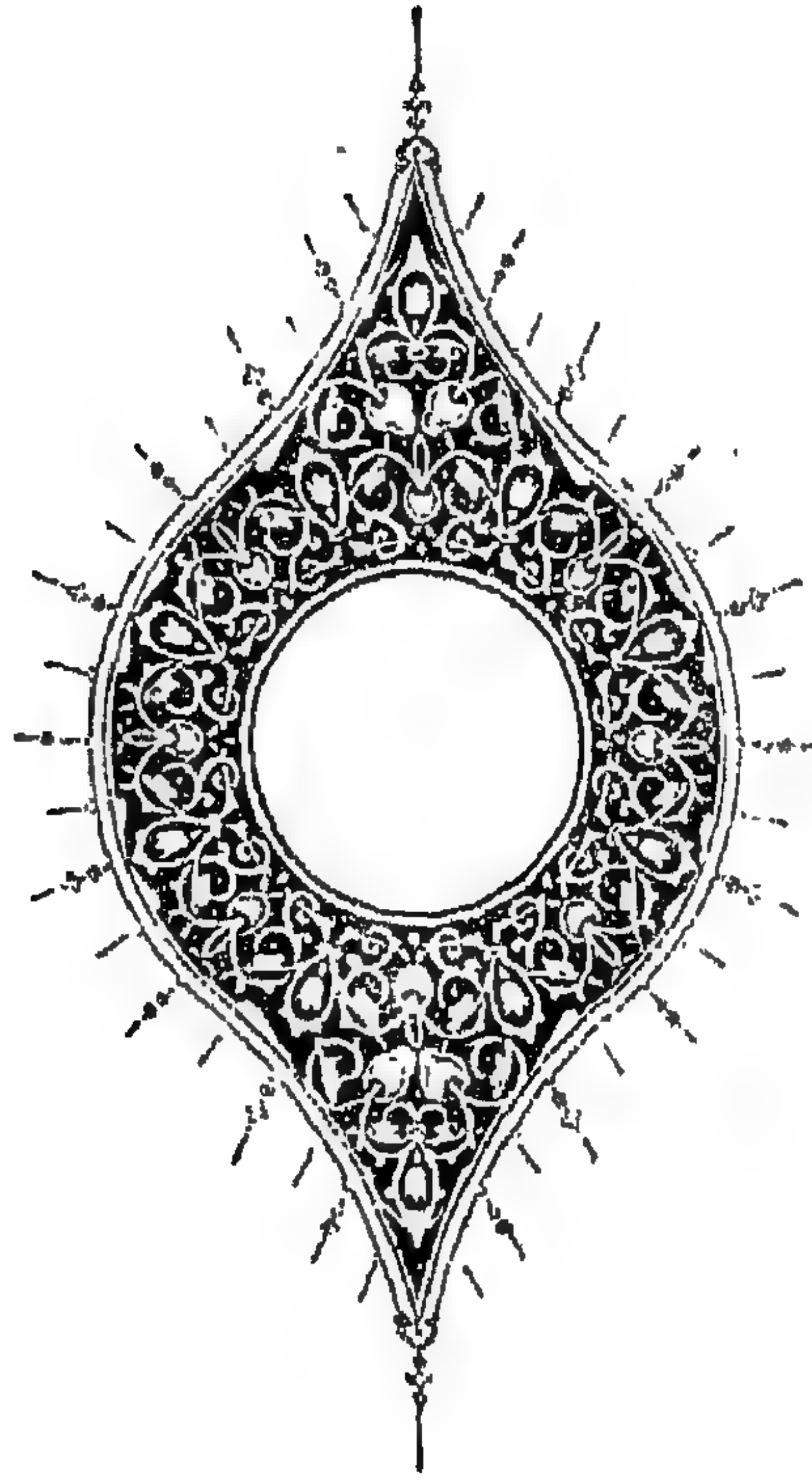
أيها السادة :

أكرر تهنئتي للأستاذ محمد عبد الغنى حسن وأكرر تهنئتي للمجمع اللغوى ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد الحوفى

عضو المجمع

ولهذا كله عين سنة ١٩٧٢ عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق ، وحصل سنة ١٩٤٦ على وسام النيل من الطبقة الخامسة ، وحصل سنة ١٩٦٨ على وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة ، ونال جائزة الدولة التشجيعية على كتابه في فن السير والتراجم (أحمد فارس الشدياق) سنة ١٩٦٨



●● كلمة الأستاذ محمد عبد القنى حسن

في حفل استقباله عضواً بالمجمع

حينما صرت بكم في الخالدين

عدت من عمرى بآلاف السنين
لو يسمى الفوز يوماً صفقة
أنا مذ آوى إلى قمتمكم
قد تلقيتم جهادى بيد
نخفت أنى لم أكن إلهلاككم
همت بين الشعر والنثر كما
فتنتنى (عبر) يوماً . . وهل
وتنقلت على أعرافه
تارة أدنسو . . وطورا أرتقى
وتوجهت إلى النثر . . على
المطايا لم تعد لى ذللاً
فحططت الرحل إفا بينكم
مذ طرقت الباب من نحوكم
هكذا قيل لنا عن شأنكم
أيها الأشياخ من علمكم
عرب أنتم كرام . . إنمسا
ليس في الباب لديكم إمسرب
فليصدق الباب مثنى وثلاً
هذه الكعبة من إيمها
شهادة الله لقد رشحنى

حينما صرت بكم في الخالدين
كنت في الصفقة خير الرايين
فأنا آوى إلى ركن ركين
كل ما فيها على الحق أمين
فأراني فضلكم كيف أكون
راح في التهام بعض العاشقين
بعد وادى عبر كان فتون؟
سأدرأ ما بين شك ويقين
بخيالى في متاهات الظنون
ما به من مركب صعب حرون
والأمانى أصبحت وهى شجون
واستقرت بى على الشط السفين
لم يجب صوت ، ولا امتدت يمين
فى لقاء الطامحين الطارقين . . !
أن تصدوا الأسد عن باب العرين
تتحرون الرجال القاصدين
لضعيف ، أو مجال لظنين
ث ، ولا بأس بصبر الطائفين !
فليطف فى بابها بضع سنين !!
عندكم خير المكرام الشاهدين

راح « سلام » يزكى أدبي
 لم يزل يغمرني من حبسه
 وانشى « الحسوفى » يخصى دأبى
 أحسنا ظنهما فى ناهض
 لم يزالا بى فى السعى إلى
 مضيا يلتسان الإذن لى
 وأفءا بى إلى محرابكم
 وهما كانا إليكم سبى
 فالتقى عزمهما فى عزمكم
 اغفروا لى إن تخطيت إلى
 لم يضق بى النثر عن تحسائكم
 ليتنى أبلغ من مرضاتكم
 لم تخفى لغسة النثر... ولا
 كيف يعي الشعر أن يبالغكم
 وهنا أحببت أن أطرفكم
 وقفة إني طال تفتننا
 سنة الدهر لدينا اجتمعت
 الكراسى التى إنشغلها
 فاسأل المجمع عن أمه
 صور تأتى ، وتمضى صور
 لا تقل إنا تجاوزنا المسمى
 نون الله بما فات... فهل
 لا تقل شيئاً... فما شاب الذئب
 نحن مازلنا شبابا ناهضا
 فاذا أعطت قلبا نابضا

وهو فى معروفه غير ضنين
 بالذى يعي لسانى أن يبين
 وهو فى الأحكام خير المنصفين
 بجناح هسو صنع الحسين...
 أن أتانى منكم النصر المبين
 عند أهل الرأى خير الآذنين
 فى خطا الواثق ذى العزم المكين
 وعلى أيديهما اجتزت الحصون
 إنما الفضل إلى الفضل قرين...
 بابكم أعرافكم فى القائلين
 فتخبرت لسان الشاعرين
 كل ما أرجوه من شعر رصين
 عزنى فيها بيان مستبصر
 بالذى فى النفس من معنى دفين؟
 بالذى فى الشعر من يسر ولين
 كيف لو كانت بباب الأربعين؟
 والتقت فينا عظام الواعظين
 لم تزل تشغرك من حين لحين
 ثم أمسى فى سجل الراحلين
 ولبنات لنسا ما ينقضين
 لا تقل إنا تخطينا السنين
 نحسن الظن بآيام بقين؟
 يقطع الليل عناقاً للمنود
 رغم ما فى الشيب من عمر العيون!
 كل شىء بعده سوف يهون

صاحب الكرسيّ قد خلفه
الفراغ الضخم من يملؤه
(رفعة) كان لمصر رفعة
جمع الفضلين في أعطافه
شهدت (أسيوط) منه مولداً
كان للتاريخ تاريخاً حوى
ليثى أظفر من كرسى
ظنكم - والله - لن أخلفه
أيها المجمع شكراً ، حيناً
هكذا الزراع رفقا بالحنى

سلفاً ، أو قدوة للمقتدين
كم عروس أتخمت بالخطابين ؟
ومناراً واضحاً للسالكين
: شرف العلم ، وخلق العالمين
لم تهينه قصور المترفين
بالعصاميّة قدر المعرقسين
بالذى أوليتموني من ظنون
فلقد صدقت والله المعين
كنت فينا أكرم المستقبليين
وكذا الآباء لطفاً بالبنين . .

* * *

سيدى الرئيس . وسادتي الأفاضل :
حسبت أن الشعر بلغ منى أو بلغت منه
ما وددت أن أقوله عن سلفى العظيم الأستاذ
المؤرخ محمد رفعت رحمه الله . ولكن حين
وفيت بشعرى المعانى التى تجيش بصدرى
في هذا المقام ، تأكدت - كما تأكدتم - أنني
لم أوف سلفى حقه ، ولم أجعل جوانبه .
وخشيت أن يكون في ذلك جنف منى وحيث
ليسا من طبعى ، على حين أردت أن أكون
منصفاً ومقسطاً . وهنا قلت لنفسى : ماذا
تقول عن محمد رفعت ، وقد تحدث عنه
الزميل الدكتور أحمد بدوى يوم استقبله
فألم به من أكثر جوانبه ، وتحدث عنه الزميل
الأستاذ على النجدى ناصف يوم تأبينه فأحاط
به في أكثر مبادئه . كما تحدث سلفى الغائب
الحاضر نفسه عن نفسه يوم استقبلتموه ، فأظهر
من ملامح صورته مازادها دقة وتفصيلاً ،

و أبان لكم في حديث غير مملول كيف
اختار التاريخ الحديث ميداناً لدراسته في
ليفربول على حين كان التاريخ المصرى
القديم يغرى الطالب بأستاذ إنجليزى ذى
سمعة عالمية ومكانة دولية . وصرح لنا رحمه
الله أنه أشفق على نفسه من التوغل في مسارب
الظلمات وأودية الخدس والمجهول وقضاء
العمر في فك الرموز وحل الطلاسم . وكأنما
تغاضى رحمه الله عن مجاهل التاريخ الحديث
ومسلماته وتياراته وهى تحت أسماعنا وأبصارنا
اليوم نراها ولا ينقضى منها عجبنا . على أن
المؤرخ محمد رفعت حين أنس بالتاريخ الحديث
وسهولة مأخذه ، وقرب تناوله لم يقطع صاته
بالتاريخ القديم ولم ينسلك من الماضى جملة .
لقد ظهر ذلك في كتابه : (التيارات السياسية
في حوض البحر الأبيض المتوسط) ، ففي
تقديمه لهذا الكتاب صرح بأنه (بحوث

تستمد أصولها من التاريخ قديمه وحديثه .
ولعل صلاة محمد رفعت بالتاريخ القديم تتضح
في « الأطلس التاريخي » الذي نشرته شركة
مكملان بلندن سنة ١٩٢٦ يوم أن كان رحمه
الله مدرساً للتاريخ بمدرسة المعلمين العليا .
فقد جمع فيه بين المواطن التاريخية والتغيرات
الإقليمية ، ما بين قديم ومتوسط وحديث .

سادتي :

لا أريد أن أحد صورة سلفي محمد رفعت
بتاريخ مولد و وفاة وما جرى بينهما ، في راحل
عمره الذي بورك له فيه . فبطاقة حياته حافلة
بكل معلم بارز من معالم الطريق . ولا أظن
وقتكم ووقتي يسمحان لي باجتياز هذا
الدرب مرحلة مرحلة فدون ذلك موانع
تغلب الدوافع . ولكنني حين صحبت سلفي
العظيم في بعض ثنایا الطريق و بنياته ، أخذتني
منه جوانب مشرقة . وأدع علمه وكتبه
 وجهوده في لحنتي التاريخ الحديث وألفاظ
الحضارة هنا . وأدع آثاره في التعليم وفي
المحاضرات وفي الوزارة التي أتمته منقادة
تجبر أذيالها . فلم يكن كل منهما إلا صالحاً
لصاحبه . ولن أكرر فيه هنا ما قيل فيه استقبالا
و ترحيباً و تأبيناً و توديعاً . فبحال ذلك كتاب برامته
أرجو أن يعين الله وفيّاً على إنجازهِ . إلا أن
جوانب من أخلاق سلفي محمد رفعت قد
شدتني إليه أكثر من علمه وتاريخه ، فإن كنوز
الدنيا كلها لا تعدل ما في ذرة واحدة من
خلق كريم .

لقد شدني وجذب انتباهي إلى فراغه الذي
لا يسد باقة من الوفاء والتواضع والاعتراف
بالفضل لأهله ، والمضاء والتصميم ، والصبر
والتسليم ، مع عفة في اللسان ، ونقاوة في
الحنان ، وتجل ذلك كله رجولة ظاهرة
ومروعة نادرة .

لقد وقف في حفل استقباله هنا يوم ٦
مارس سنة ١٩٦٧ يتحدث عن سلفه المرحوم
الدكتور أحمد البطاروي ، فلم يفته أن
يعرج في وفاء نبيل علي والده أستاذنا المرحوم
الشيخ محمود البطاروي ، وكان أستاذاً له في
مدرسة المعلمين العليا ، فأثنى عليه بالذي
هو أهله . ولما قدم لأطلسه التاريخي المشهور
لم يفته أن يقدم كلمة عرفان ووفاء لمن أعانه
في هذا العمل ، بدءاً من الميجر « سافدج » إلى
إخوانه وزملائه الذين ساعدوه في مراجعة
الخرائط ، وعمل الفهرس .

وأشهد أني بلوته في وزارة المعارف يوم
أن كان له فيها رأى متبوع ، وصوت
مسموع ، فما لقيت منه إلا خيراً ، على حين
لم يسعفني حظي بما كنت أرجوه وما كان
يرجوه لي . فإن الذي انبسط لي من أسباب
بره ، عزائي عما فاتني من درك المأمول . . .

وإذا كانت مجموعة الأخلاق الكريمة
التي تحلى بها سلفي محمد رفعت تستمد أصولها
من تدينه ودينه ، ومن علمه ويقينه ، فإن ذلك
النبع الروحي الذي استقى منه شيخنا قد بدا
على عذوبته وصفائه فيما كان يعالجه من بحوث

تاريخية . وقد تجلى ذلك في بحوثه الرائعة حول
الإطار التاريخي لبعض آيات القرآن الكريم
« فقد كان كل بحث منها يظفر بتعليق كريم ،
من أحد الزملاء الكرام » . . .

ولا أنسى ما علق به الزميل الأستاذ
محمد بهجت الأثرى من تأكيد للمدح بما
يشبه الذم — على طريقة البديعيين — حين
قال : (إذا كان هناك من عيب في هذا
البحث الخليل فهو أنه جميع المحاسن كلها
فكراً وروحاً وتعبيراً) .

ولا أنسى كذلك ما علق به الزميل
المرحوم الأستاذ محمد محيي الدين عباد الحميد
حين قال عن ثاني بحوثه : (ومما لا شك فيه
أن هذه المحاضرة قيمة ، وأن أبداع ما فيها
أنها تدل على أن صاحبها مؤمن بإيماناً صالحاً ،
كما آمن السلف الصالح في هذه الأمة) .

سيدي الرئيس : سادتي :

لقد اجتمع في سبقي المؤرخ محمد رفعت
من العلم والدين والخلق ما أوجب له المزية
علينا ، والتقدم فينا ، والإشارة منا ،
وما جعل كرسية الضخم ، ومقعد الطاهر
أمانة وأمنية يناط بهما الرجاء ، وسما
ما طاولتها سماء :

أمانة أسلمتموها لنا

أقدرنا الله على حملها

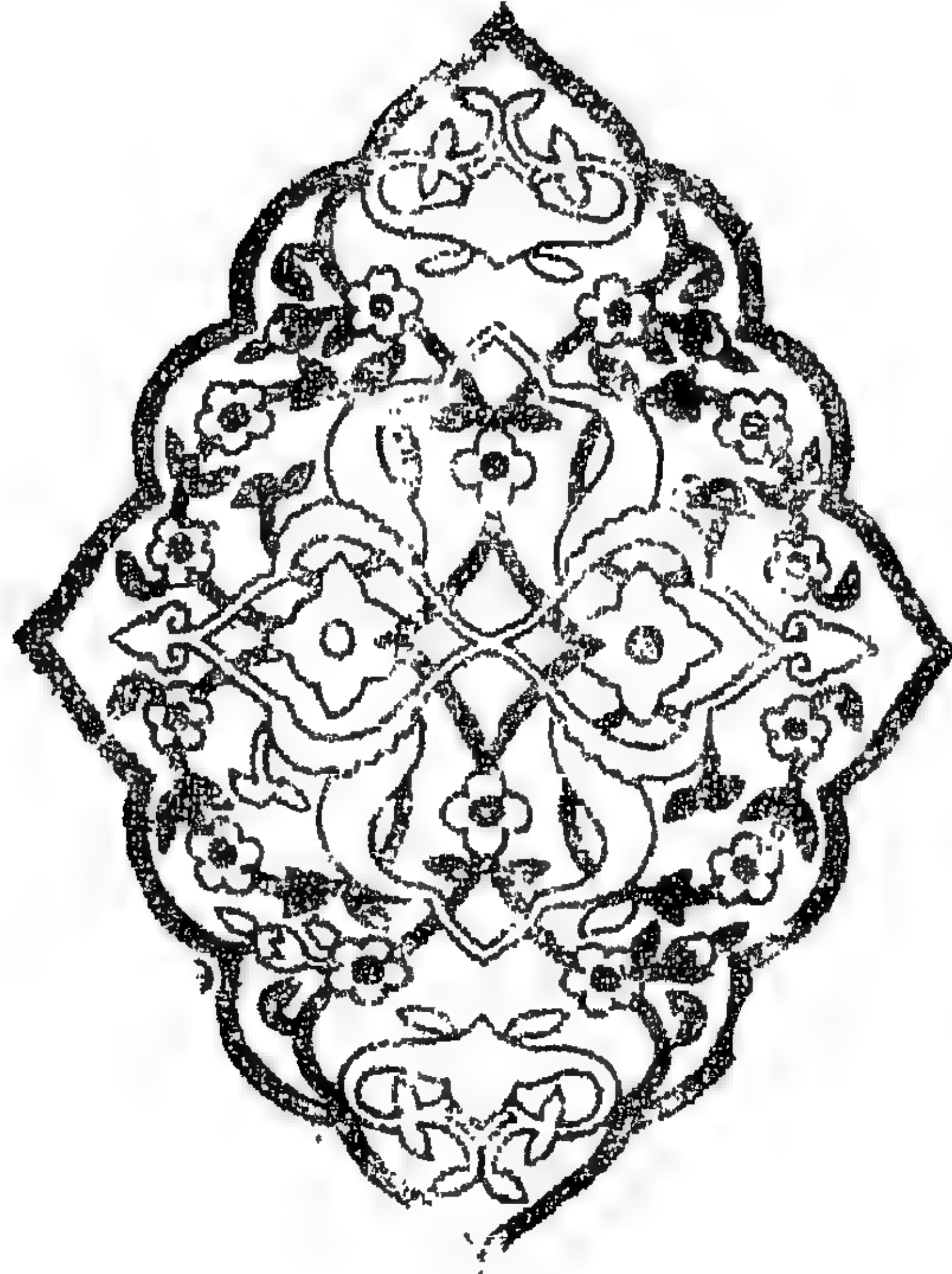
إلا نكن أهلاً لها فلنكن

كما أراد الله من أهلها

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبد الفنى حسن

عضو المجمع





في استقبال

الأستاذ الرئيس

الزملاء الأعزاء

السادة الفضلاء :

المجمع وأعماله . فالتاريخ يسجل للدكتور
علي إبراهيم أنه كان منذ مطلع هذا القرن
أحد الرواد الذين هذبوا إلى إحياء لغة الطب
العربية ، واتخذوا شتى الوسائل لتحقيق
التفاهم بالعربية بين الأطباء العرب . فهو
منشئ المجلة الطبية المصرية منذ ستين سنة ،
وهو داعي الدعاة إلى إنشاء اللجنة المركزية
لتوحيد المصطلحات الطبية في ظل المجمع
بعد إنشائه بقليل من السنين . وهو الذي
استمسك بأن يكون في طليعة برامج المؤتمرات
الطبية موضوع المصطلحات الطبية وتوحيدها
بين الناطقين بالضاد .

ولقد كان الرجل ، على وفرة ما بين
يديه من المهام ، متعدد أوجه النشاط في مناحي
الإصلاح ، نهاضاً بالعظام فيها على بصيرة
وهدى . وكان عظيم الثقة بمستقبل الحضارة
العربية ، حريصاً على وصلها في غدها
المرموق بماضيها المجيد ، وبخاصة في ميدان
الطب . وكان يؤمن عن بينة بأن العربية
قادرة على أن تستوعب من جديد هلم
الطب ما استوعبت من قديمه ، حين كان

الآن ونحن نحتفي باستقبال زميل جديد ،
هو العالم الطبيب الأديب ، الدكتور حسن
علي إبراهيم ، أحس أعظم إحساس بأننا
نحيط بنا هالة متوهجة ، في أعطافها نفحات ،
عطرة من ذكريات غالية باقية ، ذكريات
رجل عظيم من رجالات المجمع ، ودع المجمع
منذ ثلاثين سنة ، وما برح ملء القلوب
والأسماع والأبصار . ذلكم هو المغفور له
الدكتور علي إبراهيم ، والد الزميل الجديد ،
ونابغة الجراحة الأكبر في قومه وفي عصره
إذ تسنم منها ذروة عالمية تتناول إليها الأعناق ،
وقلما يرقى إليها راق ، حتى لقد حقق له ما قاله
فيه أمير الشعراء شوقي :

سلاحك من أدوات الحياة

وكل سلاح أداة العطب

ولا يتسع مقامى هذا لتعداد ما كان له من
أعجاد ، وحسبى أن أقصر منها على أغراض

الطب العربي نبراساً للتقدم الطبي في عصر النهضة الحديثة في العالم المتحضر .

وها هو المجمع يستقبل اليوم كابرا عن كابر . يستقبل الدكتور حسن علي إبراهيم . وهو ثمرة ناضجة يانعة من ثمار أبيه . نسباً وعلماً ونبوغاً . ولا أقول إنه ورث عن أبيه خصائصه وفضائله وراثته منحة وهبة ، بل أقول إنه بجانب ذلك اكتسبها اكتساباً بفطنته ويقظته في حياة أبيه ، ثم اتخذ منها على مد العمر مثلاً رفيعاً يسمو إليه في دؤوب واقتدار .

أيها السادة :

ولد الدكتور حسن علي إبراهيم في التاسع من سبتمبر سنة ١٩١٤ ، وتخرج في كلية الطب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٧ ، ظافراً بالأولية بين زملائه ، ونال إجازة الماجستير المعادلة للدكتوراه في ذلك الحين سنة ١٩٤١ . ثم نال زمالة كلية الجراحين الملكية في إنجلترا سنة ١٩٤٦ ، ومنحته هذه الكلية لقب " أستاذية هنتر على البحث في سرطان المثانة الناشئة عن البلهارسيا سنة ١٩٤٧ ، وهو أول جراح غير بريطاني يمنح هذا اللقب وتدرج في مناصب هيئة التدريس في كلية الطب بجامعة القاهرة ، حتى عين أستاذاً للجراحة التجريبية سنة ١٩٦٢ . ثم عين عميداً للكلية في سنة ١٩٧١ . فلما أصبحت العمادة بالانتخاب ، انتخب عميداً سنة ١٩٧٢ ، فلما بلغ السن القانونية للمعاش سنة ١٩٧٤ عين

أستاذاً متفرغاً للجراحة ، وما زال يشغل هذا المنصب حتى اليوم .

وفي مقدمة الأعمال الإنشائية التي عني بالقيام بها لإنشاؤه قسم الجراحة التجريبية ، على النمط القائم في كليات الطب المتقدمة في العالم ، وتزويده إياه بما يلزم لإجراء التجارب . بحيث أتاح له أن يضطلع بعمل رائد في تطوير وسائل الدراسة والعلاج . وفي مجال الممارسة العملية ، كان أول جراح يقوم بجراحات ناجحة في القلب ، شجعت غيره على نخوض هذا المجال . كذلك قام بعدد كبير من جراحات قرحة المعدة ، وأجرى تعديلاً في عملية استئصالها . وله نظريات في تليف التامور وتليف الكبد الناتج من البلهارسيا ، نال عليها جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٥٩ . وأشرف على جملة من رسائل الدكتوراه ، فيها الجديد من الدراسات أوفىها بالإضافة للبحث العلمي الأصيل .

وعلى الصعيد المصري لم يقتصر نشاطه على كلية الطب بجامعة القاهرة ، فقد أشرف على قسم الجراحة بكلية طب أسسوط ، وظل ينتقل إليها ثلاث سنوات . ثم أشرف بعد ذلك على قسم الجراحة بكلية طب المنصورة . وفي أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ اشترك فيها طبيبياً مكلفاً بالجيش ، ونال نوط الجدارة تقديراً لخدماته . كذلك اشترك في عضوية مجالس

الإدارة للجمعية الطبية المصرية ، وجمعية
الجراحين المصرية ، وجمعية الإسعاف ،
وجمعية الهلال الأحمر المصرية ، والجمعية
الخيرية الإسلامية :

وعلى الصعيد العربي والأفريقي لبي الدعوة
إلى التين في أثناء الحرب هناك . وحضر
مؤتمرات بكلية الطب في الكاميرون :
ودعى مرات إلى المماسة العربية السعودية
لإجراء عمليات جراحية وإلقاء محاضرات :
ومنذ سنة ١٩٤١ إلى اليوم تابع حضور
المؤتمرات والندوات الطبية العربية في أسوان
والإسكندرية وبغداد والكويت وغيرها .

أما نشاطه على الصعيد العالمي ، فقد عمل
أستاذاً للجراحة في جامعة فيينا ، وفي مستشفى
نيكر بباريس . وعمل عشر سنوات ممثلاً
إقليمياً في مصر للجمعية الجراحين الدولية التي
مركزها بروكسل ودعى لإلقاء محاضرات
في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا ، وفي لوس
أنجلوس ، وفي مستشفى الأكاديمية الطبية في
ألمانيا ، وزار كثيراً من المراكز الجراحية
في معظم أنحاء العالم ولا يكاد يخلو مؤتمر
يشهده من بحث يقدمه أو محاضرة يلقيها .

وبين يدي وأنا أكتب هذه الكلمة قائمة
تحتوي جملة موفورة من البحوث انفراد
باعدادها أو اشترك فيها . وكثير منها ازدانت
به الصحف العلمية . وكلها تنطوي على
نظريات وتجارب في تطوير حالات الجراحة
وعلاجها :

أبعد هذا أكون مبالغاً إذا وصفت الزميل
الحديد بأنه طبيب نابغة . وعالم قدير ، وأنه
لم يجتري في علمه وفي تجاربه بالممارسة
الشخصية والمزاولة الميدانية ، بل لقد أسلف
إلى الطب وأهله أيادي بيضاء تنير الطريق ،
وتكشف الحديد ؟ وهل يجاوز الإنصاف من
يصفه بأنه طبيب عالم عالمي بأدق ما يحمل هذا
الوصف من دلالة ومعنى ؟

أيها السادة :

قلت في صدر كلمتي إننا نحتفي باستقبال
زميل جديد ، هو العالم الطبيب الأديب
الدكتور حسن علي إبراهيم . ولعل منكم من
يسبق إلى فكره أني عنيت حين وصفته
بالأديب أنه أديب النفس وحقاً إن حظه من
أدب النفس لحظ عظيم ، فقد شهدنا من شأئله
دمائة طبع ، ونبالة صحبة ، وسخاوة مروءة ،
ولكنني عنيت كذلك ما يعنيه الوصف بالأدب
في مدلوله المألوف . وإنه لعجب أن تنفح
جوانب شخصية العالم الطبيب للتعبير الأدبي
عن هوائف الوجدان ، ومناجيات الأخيلة
والأطياف بيد أن عالمنا الطبيب زاوج بين
العلم والأدب ، ومازج بين الواقع والخيال .
فهو شاعر عاطفي رقيق منذريق الشباب . فن
شعره في مناجاة الحبيب :

تركت فؤادي رهينا لديك

وودعت حيي كأن لن أعود

وصرت أجوب بجسمي البلاد

ولكن قلبي عني بعيد

تمر على الليالي دهوراً
وجسمي يذوب وعيني تجود
أحبك حبا لوان الحديد
تلقاه عني لفل الحديد
فأنت الجمال وأنت الخيال
وأنت الحياة وأنت الخلود
تقولين حتى م هذا الهيام
أقول وحتى م هذا الصدود

يا الحب إلا نشيد الزما
ن نشيد قديم لعمرى جديد
تعالى لنسعد في ظله
تعالى نكن بعض هذا النشيد
بوعدي بررت وكنت الوفي
ووعدك هلا ذكرت الوعود

ومن شعره في ذكرى الحب :

وطيف نور أتى ليلا يورقني
ويبعث الحب بعد الموت أزمانا
قد مر بي طيفها ليلا فصيرني
عبد الضياء أسير الحسن ولهانا
أحيى غراما بقلبي كان مختصراً
وشق عنه بسيف اللحظ أكفانا

هويتها وهي بنت العشر مندفعاً

ثم افترقنا مع الأيام غلمانا

أضاء قلبي لهيب راح يئحمده

سيل الزمان إذا ما سال هتانا

وقد توالى رياح البعد تطفئه

حتى خبا وكساه الدهر نسياناً

حتى التقينا ولكن بعد مرحلة
من الزمان بدار الأهل شباناً
فحن قلبي إلى الماضي ومثل لي
سحر الغرام سهام الحب ريحاناً
والحب نار إذا مارمت تصاية
أصلاك أو رمت موتاً كان معواناً

* * *

وقد ألف الأطباء أن يتلقوا من الشعراء
تحايا الود وعرفان الحميل حين يقومون
على علاجهم ، ولكن شاعرنا الطبيب
يجري جراحة للشاعر عماد عبد الحميد ثم
يقوم هو بتحية مريضه شعراً فيقول :

عماد أنت للفصحى عماد
وللأدب الأصيل هدى وزاد

أيا من سار في ركب القوافي
فذلها ودان له القياد

تحب الشعر إموزونا مقفى
وكم شعر بلا نغم يعاد

عماد قد جرحتك غير باغ
وكم جرح به يصفو الوداد

أيها الزميل العزيز :

مرحباً بك عالماً طبيباً ، ومرحباً بك
أديباً أريباً ، وأثن قصر قولي في استقبالك
بما أنت أهله ، إن قلوبنا لتستقبلك بما أنت
له أهل من مشاعر الود والتكريم .

أحمد عمار
نائب رئيس المجمع

●● كلمة الدكتور حسن علي ابراهيم

سيدى رئيس المجمع سادتى الأعضاء سيداتى
وسادتى :

لايسعنى إلا أن أتقدم إليكم بخالص الشكر
إذ انتخبت لأكون عضواً فى هذا المجمع العظيم
الموقر بمجمع الخالدين أو علمت أن انتخاينى
كان عند أول تزكية وهذا يزيدنى فخراً
وشرفاً ولكن بعد أفرحتنى الأولى إستولى
على شعور شديد بالرهبة إذ كيف أجلس
بينكم وأنتم أهل فضل وعلم تعرفون
من أسرار اللغة مالا أعرف ويتسع علمكم
الفياض دون أفاقى بكثير ولكن الإنسان
يتعلم من المهذ إلى اللحد ولذلك سأكون
بينكم دارساً مستفيداً ناهلاً من فيضكم الذى
لا ينضب وإن كان لى جهد فانه لن يتجاوز
جهد المقل :

أيها السادة إنى إذ أحل اليوم بينكم
محل سلف عظيم شاء الله أن يختاره لجواره
وهو المرحوم الدكتور أحمد زكى أزداد
رهبة فالبون بينى وبينه شاسع فضلاً
وعلماً وأدياً فكان رحمة الله رائداً فى
علمه ورائداً فى مزج الأدب بالعلم فى
رقة أسلوب وسلامة لغة وبيان رائع :

عرفت الدكتور أحمد زكى فى أوائل
الثلاثينيات وعندما كنت طالباً بالسنة الإعدادية
فى كلية الطب وكان يلقى محاضراته الشهيرة فى
الكيمياء العضوية وكان عالماً جديداً بالنسبة

لنا وهو فرع جامد من فروع الكيمياء
يصعب فهمه وتصوره والأشق إستيعاب
معادلاته الطويلة المركبة ولكن الرجل بحسن
إلقائه وسلاسة شرحه جعل من الصعب
سهلاً ومن المكروه . محبوباً مستساغاً فكنا
نخرج من محاضراته وقد استوعبنا الموضوع
استيعاباً تاماً كما أعجبنى إفيه أنه كان
يفلسف العلم وبين حد العلم الغزير
والفلسفة خيط رفيع وكان يرجع بكل شىء
إلى مسيئاته فى أسلوب جلى جذاب وفى
تلك الفترة كان أستاذ القسم إنجليزيا وكان
يلقى علينا محاضرات لا تفهم منها شيئاً
ورأيت قزماً إذا قيس إلى الدكتور
أحمد زكى وكنت أعجب كيف يكون
هذا العبي أستاذاً ولم لا يكون ذلك المارد
المصرى أستاذاً ورئيساً للقسم ولكنها كانت
الظروف التى مر بها هذا البلد والى تعرفونها
جميعاً والذى لاحظته أن الرجل كان لا يلقى
نفوره من سيطرة الأجانب على الجامعة
فما كان لهم من هم إلا الحصول على مرتباتهم
الضخمة دون العناية بإنشاء جيل مصرى
يكون نبراساً للعلم فى بلده بل إنه كان
يقول ذلك علناً من وقت لآخر ويردف
أن مصر يجب أن تنهض بسواعد أبنائها .

ولد المرحوم الدكتور أحمد زكى فى
السويس عام ١٨٩٤ وتعلم بمدارسها

ثم بمدرسة ثم عباس الابتدائية فالتوفيقية
الثانوية ثم حصل على دبلوم مدرسة المعلمين
العليا سنة ١٩١٤ مع نخبة من الجهابذة
أمثال عبد السلام الكرداني وفريد أبو حديد
وغيرهم ممن كانوا أساطين النهضة العلمية
والتعليمية الحديثة ثم عين مدرساً بالمدرسة
السعيدية ولكن تعيينه ألغى. وأصبح بعد
ذلك ناظراً لمدرسة وادي النيل الثانوية ثم
استقال وسافر إلى إنجلترا للاستزادة من
علم الكيمياء فحصل على درجة الدكتوراه
في الفلسفة في الكيمياء عام ١٩٢٤ ثم عمل
باحثاً بجامعة مانشستر ثم عامين أمضاهما
إلى البحث العلمي بجامعة لندن حيث حصل
على درجة الدكتوراه في العلوم وهي أرفع
درجة علمية ولا تمنحها الجامعة إلا عن
إبحث أضاف جديداً إلى العلم ولما عاد إلى
مصر عين أستاذاً مساعداً للكيمياء في كلية
العلوم وهناك عرفته كما أسلفت وتعلمت
عليه وإني لفخور بذلك وبعد تركي الكلية
أبقيت انتخب الدكتور أحمد زكي وكيلا لها
ثم عميداً باجماع الأصوات فقد طغى بعلمه
وفضله على كل من سواه ثم كان أول مصري
يتولى منصب مدير منبحة الكيمياء في
عام ١٩٣٦ كما أصبح سكرتيراً للمجلس
الأعلى للبحوث وبعد عشر سنوات كان
من مؤسسي الأكاديمية المصرية للعلوم وأختير
وزيراً للشئون الاجتماعية عام ١٩٥٢ فمديراً
لجامعة القاهرة بعد ذلك بعام كما تعلمون
أيها السادة أنه أنتخب عضواً بهذا الجمع

عام ١٩٤٦ ولم تتح لي فرصة مقابله
خلال إدارته للجامعة مع أني كنت أستاذاً
مساعداً ولو أني كنت أسمع من زواره
أنه كان دائم السؤال عني وعن أخي الذي
كان تلميذه أيضاً .

كان الدكتور أحمد زكي غزير الإنتاج
الذي يجمع بين العلم واللغة والأدب
فضلاً عن كنية المشهورة مثل سلطة علمية
وجان دارك وبواتق وأنايبس وقصة
الميكروب ومع الله في السماء ومع الله في
الأرض وكان واسع النشاط في نشر المقالات
ف مقالاته الممتعة في مجلتي الرسالة والثقافة
معروفة كذلك تحريره لمجلة العربي عدة سنين
كما كتب كثيراً في المجلات السائرة وكانت
عناوين بعض مقالاته غريبة مثل « هل يحلم
البق » و « هل تصاب البراغيت بالصداع »
أفتظن أول وهلة أن الرجل هازل وما أن تقرأ
حتى تشعر أنك غصت معه إلى أعماق
العلم فتراه يتكلم عن منشأ البق وكيف
كانت له أجنحة ففقدتها مع الزمن ثم عن
تركيب الجهاز العصبي في الحشرات ومدى
استجابته للمؤثرات الخارجية كل ذلك
في لغة عربية أصيلة جذابة فالرجل حقاً
قد طوع اللغة للعلم الحديث وأثبت أنها
صالحة للتعبير العلمي وفضله على النحت
في هذا الجمع وعلى اللغة العربية إجماعاً
لا ينكر لقد فقدت مصر في أكتوبر عام
١٩٧٥ عالماً من أجل علمائها قل أن يوجد

الزمن بمثله . وفي الواقع أن إجماعة القاهرة التي رأسها رجال مثل لطفى السيد وعلى إبراهيم وأحمد زكى ومحمد كامل مرسى ومحمد مرسى أحمد وأحمد بدوى وعبد الوهاب مورو لها أن تفخر إبأن تولاهما أفئذ من هذا العصر .

سادتى . . . ما أسرع ماتمر الأيام فمئذ أربعين سنة بالضبط أمسكت بالمبضع لأول مرة لأجرى عملية جراحية وكانت فتح خراج بالعيادة الخارجية بالقصر العيني وكانت العملية على بساطتها تحت إشراف مدرسى فما كان أن أقوم بعمل جراحى بمفردى وقد خيل لى أن حادثاً جللاً قد وقع وأن المريض هالك لامحالة وكيف يحيا لو قد سال دمه وتآوه وتوجع ولكن عجبى كان عظيماً عندما حضر المريض فى اليوم التالى حياً معافى شاكرأ وقد زالت آلامه إومئذ ذلك اليوم دخلت محراب الجراحة وأقولها محراباً لأن من أكثر الناس إشعوراً بقربه من الله سبحانه وتعالى هو الجراح فى إحجرة العمليات والمريض بين الحياة والموت هناك تشعر بارادة الحى القدير فلولا ما شفى إنسان فترى مريضاً يموت مع أن الطب يقول إنه سيبرأ وتلقى مريضاً يبلى والطب يقه ل أنه من الهالكين إن الله تعالى هو الذى يحيى ويميت وإليه ترجع الأمور ولقد قمت منذ ذلك اليوم المشهود بإجاء ما يقرب من اثنتين وعشرين ألف عملية جراحية كان توفيقى فيها عظيماً بفضلله

سبحانه وتعالى وما زلت مستمرأ فى عملى وأدعو الله أن يهب لى الصحة والقوة فأستمر فى الجراحة التى هى حياتى إلى أن يشاء .

كان أكثر ماأثر فى نفسى من هذه الناحية اشتراكى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فقد نقل إلى مستشفى الميدان صبيحة يوم ضابط مصاب وكانت إصابته جسيمة فقد كان به تهتك شديد بالامعاء والكبد وأبى صديق وفى له وهو المرحوم الرائد العديسى إلا أن يصحبه إلى المستشفى وكان شديد القلق عليه غير أن الضابط المصاب لم يتمكن من إنقاذه فقد مات قبل أن يصل إلى حجرة العمليات فظل يبكى يوماً كاملاً ويقول فقلت خير صديق وفى فجر اليوم التالى تجددت المعارك وإذا بى أفاجأ حوالى الساعة الثانية صباحاً بالعديسى منقولاً إلى المستشفى مصاباً إصابة بالغة حاولنا إنقاذه بكل ما نملك من وسائل إلا أن الله اختاره إلى جواره بعد وصوله المستشفى بساعتين .

ما أكشف قناع المجهول ترى لو تكشف الغيب للمرحوم العديسى أكان يندب خله أم كان ينوح على نفسه ؟ شعرت بغصة وأخذت كلمات أبى العتاهية تدوى أذنى :

بين عيني كل حى
علم الموت يلوح
نح على نفسك يا مسك
ين إن كنت تنوح

لثوثن وإن عمر

ت ماعمر نوح

وفي نوفمبر من نفس السنة نقلت إلى مستشفى القاعدة وهناك استقبلنا ضابطاً طياراً مصاباً بإصابة جسيمة فقد أطلقت عليه طائرة إسرائيلية الرصاص وهو يهبط في مطار العريش فكسرت الرصاصة ضلعه ومزقت الرئة وغشاء الثامور حول القلب واستقرت في جدار البطن الأيسر لقلبه وقد استطاع الطيار رغم آلامه أن يهبط بطائرته سالماً وظهر من فحص الأشعة أن الرصاصة تتحرك مع نبضات القلب وحررت ماذا أفعل فلم أكن فتحت صدرأ حتى ذلك الوقت ولم تكن معدتنا لذلك كاملة ولكني كنت شاباً تملؤني الحماسة وحدثت نفسي أن هذا المصاب الذي قاوم تلك المحنة ووصل إلى المستشفى حياً هو شخص كتبت له الحياة وسوف تكتب له الحياة ففمت بعملية شق الصدر وعادوني الخوف مرة أخرى فقد كانت الرصاصة تتحرك مع القلب وقد انغrust في جداره ترى هل وراء الرصاصة ثقب يصل إلى تجويف القلب فإذا أزيلت حدث نزف قاتل ؟ ولكني انتزعت الرصاصة فلم يحدث شيء واستمر القلب في خفقانه الطبيعي وشفى المريض شفاء كاملاً وعاد ليعمل في سلاح الطيران ثم دخل السلك السياسي بعد ذلك وهو الآن يشغل أرقى المناصب وكانت هذه إرادة الله . كانت هذه أول عملية

ناجحة من هذا النوع في الشرق كله . إن نجاح هذه العملية جعلني أمارس جراحة القلب لفترة من الزمن إلى أن وصل جراحونا الشبان الذين تخصصوا في هذا النوع من بعثاتهم في الخارج وكانوا خيراً مني بكثير .

لقد كان فضل والدي على عظيم فبعد تخرجي في كلية الطب بقليل جعلني مساعداً له في عملياته فرأيت أمهر يدين سواء في الشرق أو في الغرب فقد طفت بعد ذلك معظم بلاد العالم ورأيت كبار الجراحين يعملون فلم أر أحداً في مثل مهارته كما كان يجمع بين الجراحة والحكمة وكانت تجاربه فيضاً لا يفيض ونبعاً نهلت منه ولم يبخل على الرجل بشيء من علمه الغامر ولو أنه كان يقسو على كثيراً عندما أخطئ مما جعلني أتجنب الزلل .

وفضل آخر للوالد على وهو مكتبته العظيمة في منزله فقد كان أديباً ذواقة وكنت بطبعي محباً للأدب منذ صغري فداومت على قراءة دواوين كبار الشعراء ومقامات الأقدمين وغيرها من كتب الأدب وقد بدأت أعالج الشعر وأنا تلميذ في الرابعة الابتدائية ثم أصبت بصدمة شديدة عندما انتقل مدرس اللغة العربية ما كنت أظن أنه أحسن قصائدي نقداً لاذعاً مرأاً وكنت حينذاك طالباً بالمدرسة الخديوية كما كتبت القصص الطوال وما قدر لهذا العمل أن ينشر وأظن أن ذلك كان خيراً لقراء العربية على أية حال ولم تنشر لي إلا ثلاث قصص قصار هي « الرماد »

و« الشبح » و« صديقي » في مجلتي التي كان يصدرها الأستاذ الصاوي وكنت في ذلك الوقت طالباً في كلية الطب ولم أسمع أي مديح في قصصى بل قد قوبلت بكثير من النقد وقد توقفت المحلة عن الصدور بعد ذلك بقليل.

ولى قصة غرام بالفلك أيضاً حفزنى لها كتاب « النجوم في مسالكها » ترجمة الدكتور عبد السلام الكرداني ثم طفقت أقرأ كثيراً من كتب الفلك بالانجليزية حتى تجلت لى عظيمة هذا الكون الذى نعيش فيه وقدرة الخالق سبحانه وتعالى وكنت أذهب لأقضى الليالى الطوال فى مرصد حلوان مع صديقي الدكتور عبد الحميد سباحة نرصد النجوم ونتناقش فى العلم :

أيها السادة من الصعب أن يخرج إنسان من دوامة الجراحة متى دخل فيها وأتى على حين من الدهر كنت فيه أقوم بالعمل كاملاً فى قسم الأستاذ الدكتور عبد الله الكاتب بعد تعيينه عميداً للكلية وفى نفس الوقت كنت جراح مستشفى الأطفال بالمنيرة وجراح مستشفى كتشنر بشبرا ومشفى جامعة القاهرة بالحيزة بالإضافة إلى عيادتي ومستشفى

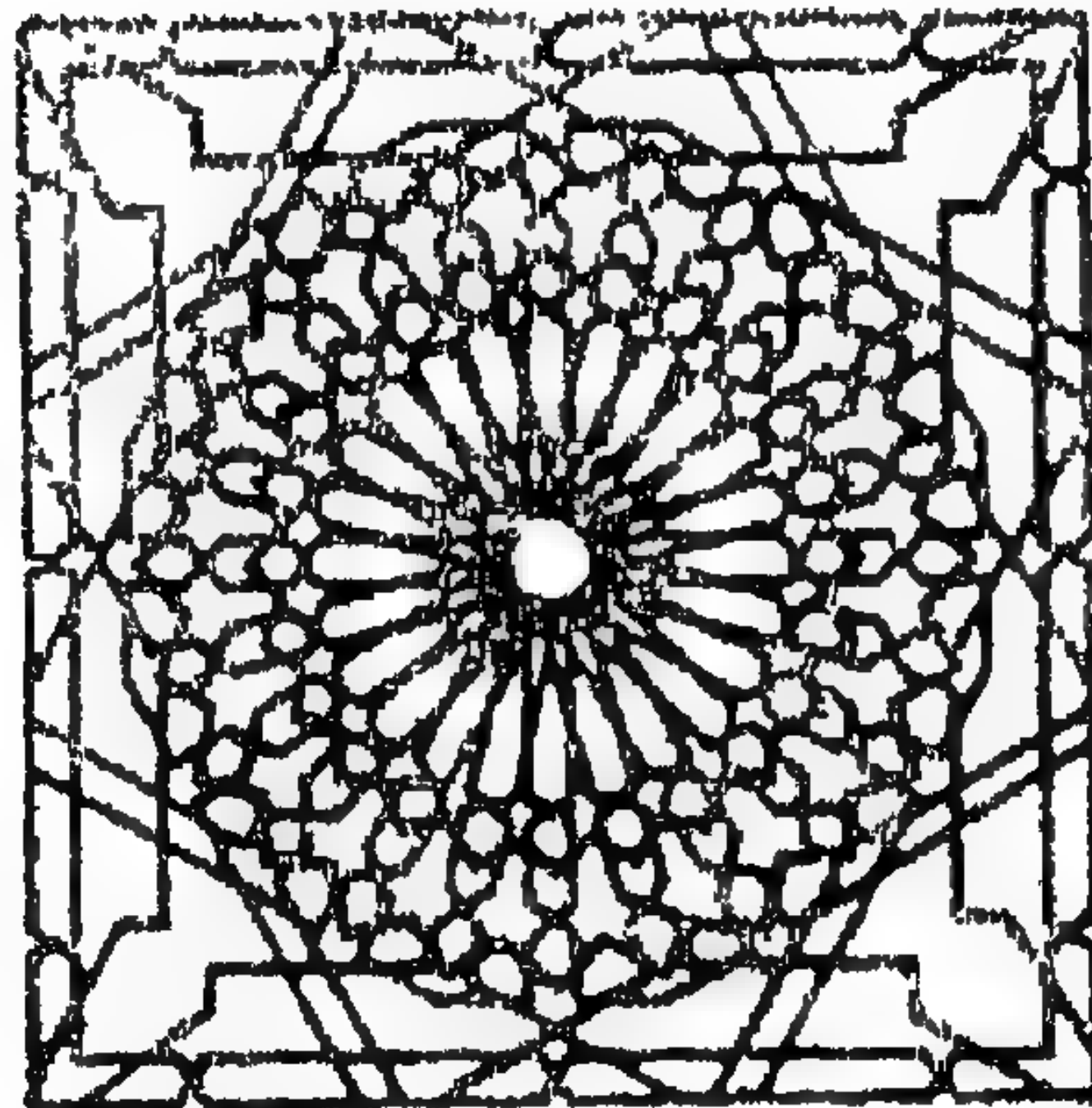
وعملى الخاص مضاف إلى ذلك تدريس الطلبة والامتحانات فكنت أجرى أكثر من عشر عمليات جراحية فى اليوم الواحد أحيانا وأفحص عشرات المرضى ولم يعد إلا التمر اليسير من الوقت لمطالعة الأدب وتبعه .

أما عن هذا المجمع الموقر فالיום أخطو أولى خطواتى فيه وعلمى بما يدور فيه قليل ولو أن فضله على اللغة العربية والحفاظ عليها لا ينكر وجهده فى التوسعة والنحت مما أفاد اللغة جهد ضخم مشكور وكل ما أرجوه كطبيب أن أستطيع أن أسهم ولو بالقليل فى هذا العمل الرائع .

أشكر لحضراتكم جميعاً ثقتكم بى كما أقدم امتناني للأستاذين الدكتور أحمد عمار والدكتور محمد سليمان لتركيتهما لى وأرجو أن أكون عند حسن ظنهما وأشكر للأستاذ الدكتور أحمد عمار كريم أطرائه فى تقديمه إياى كما أتوجه بالشكر للدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع .

أيها السادة أكرر لكم شكرى والسلام عليكم ورحمة الله .

للدكتور حسن على إبراهيم
عضو المجمع



تحية الشعر للعضوين الجديدين

من الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس

سما بهم فضل وذكر جهير	فنافسوا في الخالكات البـدور
وازينت أحلامهم بالنهى	وأفعمت بالصالحات الصـدور
مارافقوا الأيام إلا بما	يهوى العلا من خالد أو أثر
نفائس زانوا بهـا دهرهم	فزينوا بالدر رجب النـحور
ما جاءهم مجمعهم خاطبـا	إلا لأن الصدر يهوى الصـدور
منـع إلا على قمـة	من دونها شم الذرى من (ثبير)
مارامه مستوفز عابـر	فما العبور إلا (لأهل العبـور)

* * *

يا شاعر الأهرام ترحيبـة	من خالص الود وذوب الضمير
جاء بها عرف الصبا موهنا	واسترحلت رهوا جناح الأثير
بالشيخ والقيصوم مألوكـة	بعابق الروض ونفح الغدير
نجدية النشر سوى أنها	من (رامة) من (لعلع) من (حصير)
تطوى إليك اليد مختلفة	يلفها بالدجن يوم مطير

* * *

يا (جاحظ) النثر و (سحبانه)	يا (شاعر الأهرام) بل يا (جرير)
أبقيت في هذا وذا منبرا	كلاهما أصبحت فيه الأمير
إن جاءك التقدير يسعى فما	يفوز بالتقدير إلا الحديـر

عبد الله بن محمد ابن خميس
عضو المجمع التراسل
من المملكة العربية السعودية
(الرياض)

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١١ من جمادى
الأولى سنة ١٣٩٨ هـ (١٩ من أبريل سنة ١٩٧٨ م) أقام
المجمع حفل استقبال عضوه الجديد الدكتور سليمان حزين .
وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مدكور

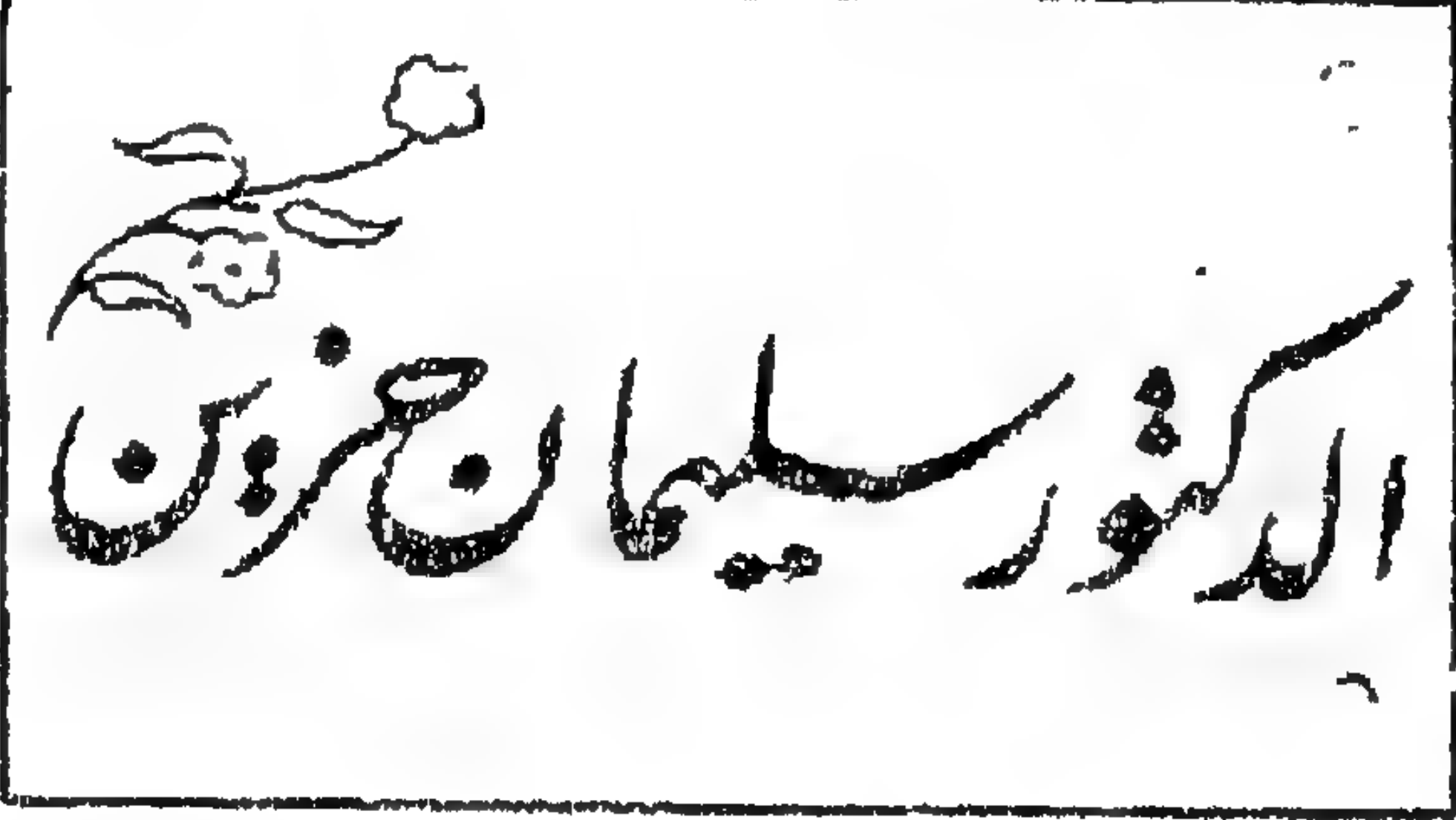
رئيس المجمع

برغبته هذه ، آملا أن تتاح له فرصة لكي
يخدم اللغة عن طريق مجتمعا ، وأن يقف
إلى جانب رجاله وهم سدنتها ، ولم يكن لدى
المجمعين حين ذاك أى شك في صدق هذه
الرغبة وحرص مبدئها على تحقيقها ،
فاستجابوا لها ، وأشهد أنه في وزارته لم
يرفض للمجمع طلبا ، ولم يختلف معه في
رأى ، وكان يرجو إن أفسح له الوقت أن
يعزز أجهزته ويدعم أركانه ، وهاهو ذا
ينضم إلينا هنا في تحمل الرسالة والاضطلاع
بالعبء ، وإنا لنرحب به الترحيب كله ونعول
على إسهامه معنا تعويلا كبيرا .

ويستقبله باسم المجمع الزميل الدكتور
محمد محمود الصياد عضو المجمع .

أيها السادة نستقبل اليوم زميلا عزيزا
وأخا كريما هو الدكتور سليمان حزين ، وصلة
الزميل بالمجمع قديمة ووثيقة ، فلقد كان له بين
قدامى المجمعين أساتذة وأصدقاء أمثال طه
حسين ، وزكى المهندس ، وشفيق غربال
ومحمد عوض . ودفعته هذه الصلة يوم أن
تولى شئون وزارة الثقافة أن يستمسك بالمجمع
ويرغب في ضمه إلى وزارته ، وكان مجتمعا
منذ أن أنشئ ، كما تعلمون ، مرتبطا بوزارة المعارف
ثم بوزارة التربية والتعليم العالى ، وهو فيما يبدو إلى
هذه أقرب ، وإن كانت شئون الثقافة
تلتقى مع رسالته ولا تبعد عن مهمته ، وصارح
زميل اليوم ووزير الأمس أصدقاء من المجمعين





في استقبال العضو الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الرئيس

الزملاء الأجلاء

سيداتى وسادتى :

لقد شرفنى المجمع الموقر ، مجمع
الحالدين ، فندبنى لاستقبال نجم جديد
يبرز فى سمائه ، هو أستاذى الحليل وأخى
الأكبر ، الدكتور سليمان أحمد حزين . وما
أظن الأخ الصديق فى حاجة إلى من يقدمه
لكم أو يعرفكم بمكانته وفضله ، فهو من هو :
فى لا يضم القلب همسات قلبه

ولو ضمها قلب ، لما ضمها صدر
وهو فى طليعة العلماء ، لافى مصر وحدها
بل وفى أقطار الوطن العربى جميعا ،
ولكنها سنة حميدة اختطها المجمع ، أن
يرحب بالعضو الجديد ، أكثر الزملاء به
صلة ، وأقربهم له مودة وانى لسعيد أن
أكون ذلك الرجل وأن يكون الحديث عن
الأخ القريب إلى القلب أشبه بالحديث عن
النفس ، كلاهما يغيب عن الإطنا بفيه ويستحى
من الإفاضة ، فاعجز العجز وصف الرجل نفسه .
لقد سمعت باسم حزين منذ أربعين عاما

ونيف ، وكنت آنذاك شابا ، أتلقى العلم فى
كلية الآداب بالجامعة المصرية ، على يد
أساتذة أعلام ، طيب الله ثراهم ، وأجزل
فى الآخرة مثوبتهم . وقد توسموا فى شيئا من
الخير فحلبوا على ، وشملونى برعايتهم ،
وكثيرا ما كانوا يشجعونى بقولهم نريدك أن
تكون صنو حزين فيتشغفى أن أعرف
من يكون حزين ، هذا الذى يفخر به
أساتذته ، ويودون أن يكون القدوة التى
يحتذيها من يحبون من الطلاب ؟ فأعلم أنه
طالب نابغة سبقنى فى التخرج بعشر سنوات
وكان فى سنى دراسته مثالا للطالب الحاد
الدؤوب ، الذى يرجى منه الخير ، ولهذا
فقد بعثت به الجامعة إلى الخارج ليستكمل
دراسته ويعود عضواً فى هيئة التدريس .
ويزيدنى مسأسمعه من ثناء متعدد
المصادر ، شوقا إلى معرفة هذا المغترب فى
طلاب العلم .

واستكبر الأخبار قبل لقائه

فلما التقينا صغر الخبر الجيد

أى والله ، فقد تضاعل الخبر بجانب
الخبر ، إذ لم يمض وقت طويل ، حتى عاد

حزين من بعثته ظافراً بأرقى الدرجات العلمية،
وعين مدرسا في كلية الآداب التي تخرج
فيها ، وعهد إليه بالتدريس في صف كنت
قد تخطيته ، ولكن توفى إلى معرفته يدفعني
إلى أن انفلت من صني لأحضر بعضا
من درس فلم أكد أستمع إليه لأول مرة ،
حتى امتلأ قلبي إعجاباً به . وإكباراً له ،
فقد عاد من الغرب وما قضو لسانه ، بل
وجدت فيه عالماً طلق اللسان ، يتدفق تدفق
الآذی ، بحديث لا تشوبه عجمة ، ولا يشوهه
لحن ، فتأكد باليقين ما كنت أسمعه من
خبر ومر بخاطري قول الشاعر :

إذا نحن أثينا عليك بصالح
فأنت الذي نثي ، وفوق الذي نثي

وبدأت معرفتي بحزين تتوطد منذ ذلك
الحين ، أحضر من درسه ما ساعدني الوقت
على حضوره ، ولا تفوتني رحلة ينظمها
للطلاب دون أن أشترك فيها ، فأجد منه في
قاعة الدرس المعلم الملهم ، وأجد منه في
خارجها الأخ المرح الذي يحنو على إخوته
الصغار ولا يبخل عليهم بتشجيع ، ولا أنسى
رحلة صحبته فيها إلى السودان ، وكان
على رأسها ، ، فتعلمت منه كيف تساس
الجماعة ، وكيف تكون نظرة الجغرافي إلى
ما تقع عليه عينه من أشياء . وإن أنس فما
أنسى احتفائه بي يوم حصلت على درجتي
الجامعية الأولى ، إذ دعاني إلى بيته ، وأهداني

مجموعة من الكتب الثمينة أحتفظ بها معترأ
وفخوراً .

كان من الطبيعي بعدئذ أن أتجه إليه ليشرف
على رسالتي للماجستير ، خاصة وأنها
تتناول الإقليم الذي ينتمي إليه ، فرحب بي
أجمل ترحيب ، ولكن لم تلبث الرياح أن
أتت بما لا تشتهي السفن ، إذ ترك حزين
الجامعة إلى حين ، لينشئ في لندن معهداً
ثقافياً ، وهكذا فاتتني الفرصة التي تمنيتها
ولكنه عاد إلى الوطن وقد تقدمت للامتحان ،
فكان ثالث ثلاثة اختارتهم الجامعة لفحص
رسالتي ومناقشتي فيها ، فلم يكن رفيقاً بي كما
كنت أتوقع بل كان أشد الثلاثة قسوة على حتى
لقد ضاق صدري به وبجده ، وأعترف أن
كان بي وقها شيء من غرور الشباب فخرجت
من الامتحان وقد ملأني الغضب واشتد بي
السخط ، ولكن الأيام علمتني فيما بعد أنها
كانت قسوة العالم الذي يريد من تلميذه
أن ينشد الكمال ، وألا يقنع بالدون ، وأن
يتجنب الغرور ، فهو آفة العلم ، وأس كل
بلاء .

وتتوطد بيننا أواصر مودة تنمو مع
مع الأيام ، فأعرف عن كثب جوانب من
شخصيته الحيرة وما أنعم الله به عليه من
مواهب كثيرة ، جعلته بين الناهين من رجال
الامة ، وألم بطرف من سيرته العطرة التي

زكاها المنشأ الطيب ، وشكلها العزم الصارم
في الدرس والتحصيل .

ولد الأستاذ الحليل على ضفاف النيل
في مدينة وادي حلفا في السنة السابعة بعد
التسعمائة وألف ، حيث كان والده رحمه الله يعمل
في حقل التعليم ، ولم يلبث الأب أن عاد
إلى قريته في إقليم البحيرة ، مسقط رأسه
ومقر عشيرته ، وعاد معه الصبي ليشدن في
ريف مصر الوديع بقرية الوفائية التي كانت
تعرف « باليهودية » آنذاك ، ويلتحق بكتاب
القرية فيحفظ على يد الشيخ عبد الله شيحة ما ييسر
الله له أن يحفظ من القرآن الكريم ، ويتعلم
قواعد العربية ، ويلم بطرف من علم الحساب
ورحم الله أيام هذه الكتابات التي تنكر لها
الزمان فقد كانت تنشئ تلاميذها على أسس
من الخلق والدين ، وكان شيوخها رجالا
على جانب من التقوى والصلاح ، يرون
في عملهم ضربا من العبادة يقربهم إلى الله
زلفى ، وهم قانعون بما يسر الله لهم من عيش ،
لا يسعون إلى ترقية ولا يتطامنون إلى منصب .

وكانت الأسرة تقدر لفتاها ، وقد
لمست فيه النجابة ، أن يكون من علماء
الأزهر الشريف في يوم من الأيام ، ولكن
الفتى يدخل امتحان الشهادة الابتدائية
فيظفر بها متفوقاً ، ويتحول اتجاه طريقه
فإذا به طالب بمدرسة طنطا الثانوية التي
أحمل لها أنا نفسى . أغلى ذكريات الصبي
والشباب ، وفيها يلتقى بأساتذة في اللغة علماء ،

منهم الشيخ محمد هاشم عطية ، والشيخ أحمد
خاطر فيزداد شغفا بلغة القرآن ، ويقبل
على أدبها ، شعراً ونثراً ، فيحفظ منه الكثير
ويحاول في تلك السن الباكرة أن يكون
شاعراً ، ولكن والده ينصحه بأن يحتفظ بشعره
لنفسه ، فلا يرهق به الناس ، إذ وجده يقع في
الأسماع لا كما تقع أبيات الشعر ، بل يسقط
سقوط البيوت على الروؤس هكذا قال الوالد
وهكذا ابتعد الفتى عن الشعر ومابه من علل .

وإنا لاندري أكان من فضل الله على
الفتى ، أم من فضله على الشعر أن قال أحدهما
للآخر : هذا فراق بينى وبينك .

ولكن الفتى ، وإن كان قد هجر الشعر
موزونا مقفى ، فقد اتجه بعد أن أنهى دراسته
الثانوية إلى ميدان يسع الشعر كله ، وهو ميدان
الجغرافية ، وما أنا في هذا من المتعصبين
فليس الشعر إلا جغرافية الخلجات والمشاعر ،
ينسج الشاعر خيوطها ، ثم يضمن عليها من
روحه ، فإذا بها صورة تخلق العقول ،
وتدعى الأساطير أنها من وحى الشياطين ،
وما هذه الشياطين إلا الحس الجغرافى الأصيل .
فليست الجغرافية سوى التأمل في الطبيعة
حية وجامدة ، والغوص في أعماق أعماقها ،
ومحاولة الكشف عن أسرارها . والطبيعة تخلق
كل يوم جديداً ، وتخرج من القلب ألف
مثال ومثال . وما الكلام ، وما الصور ،
وما الأنغام إلا أنفاس الطبيعة ، يحس الفنان
بسبجزها الظاهر فإذا بها صورة يخططها

بالألوان ، أو قصيدة يكتبها بالكلمات
أو موسيقى يشنف بها الآذان. ويحس الجغرافى
بسحرها الباطن فيحاول أن يكشف عن كنهه:
وإذا قنع الفنان بما يبدو على وجه الحياة من منظر
أو ما يظهر فى النفوس من مشاعر ، فإن
الجغرافى لا يكتفى بما يبدو بل يحاول
أن يعرف ما استتر وهكذا فالجغرافيون
كلهم فنانون وشعراء ، فى كل واد يهيمون
ولكن لا يتبعهم الغاؤون . "ولا يقولون
مالا يفعلون ..

ويحصل الفتى على شهادة البكالوريا فى
سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف وكانت
مصر قد شرعت بعد حصولها على الاستقلال
فى إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول .
ويتطلع الفتى الطموح إلى العمل بالسلك
السياسى ، والطريق إليه فى تلك الأيام كلية
الحقوق ، ويرحب بذلك أهله ، ولكنه
لا يلبث أن يعدل إلى وجهة أخرى هى
كلية الآداب التى فتحت باب القبول لأول
دفعة من الطلاب ، فيعزفون عنها فمستقبل
خريجها مجهول ، ولكن سليمان يكون ثانى
اثنين يغامران بالدخول ، فقد تحركت فيه
روح الشاعر القديم التى تتطلع دائماً إلى ما وراء
الأفق ، ويتبعه فى تردد فئة من اللدات
تغل عن الثلاثين .

وينبغ سليمان فى قسم الجغرافية ،
ويضيف إلى دراسته دراسة أخرى فى
قسم الاجتماع ... فإن وجد فسحة من الوقت

فقسم اللغة العربية هو ، وتذبذباً بينه وبين
عميد الأدب العربى مودة ويصبح من مريديه .

ويتخرج سليمان من الجامعة فى سنة تسع
وعشرين وتسعمائة وألف ، فيختار فى
بعثة إلى إنجلترا للحصول على درجتي الماجستير
والدكتوراه ، فلا يقنع بالدرس فى الجامعة
التي قيد فيها بل يسعى للقاء العلماء فى
غيرها من الجامعات . وتقدره جامعة
مانشستر فتوفده فى بعثة علمية لزيارة
اليمن ليعود من سبأ بنياً يقين . ويحصل
سليمان على درجة الدكتوراه ويكون ثانى
مصرى يحصل عليها فى حقل الجغرافية ويحقق
ما عقدته عليه الجامعة من آمال .

ويعود صاحبنا إلى وطنه بعد غربة طالت ، ويعين
مدرساً فى كلية الآداب بالقاهرة ، فيكون كالعهد به
دائماً طرازاً فريداً فى الدرس والتدريس
حتى إذا ما أنشئت فى الاسكندرية جامعة
وقع عليه اختيار القائمين بالأمر فيها ليكون
من بناتها ويشغل وظيفة أستاذ مساعد فأستاذ
لكرسى الجغرافية بها ، ولكن المناصب
العامة لا تلبث أن تنتزعه من مدرجات الدرس
وصحبة الطلاب ليعمل مديراً عاماً للثقافة
فى وزارة المعارف ، وتشهد إدارة الثقافة
على عهده نهضة شاملة وتتوطد علاقات
مصر الثقافية مع شتى أقطار الوطن العربى
والعالم ، بفضل ما عرف عن مدير الثقافة
العالم من رحابة فى الفكر ، وأصالة فى
الرأى ، وسلامة فى القصد ، وحب للخير

ويكون من حظ التعليم الجامعي أن يعود سليمان حزين إلى ميدانه مرة أخرى ، وما كانت صلته به قد انقطعت قط ، فقد ظل وهو بعيد عنه يلتف من حوله تلاميذه ومريدوه ، فيغدق عليهم من علمه ، ويمنحهم من الإرشاد والتوجيه ما ينير لهم الطريق . ويعين حزين رئيسا للجامعة أسيوط وكان قد مضى على صدور المرسوم بإنشائها سنوات ، ولكنها بقيت مجرد لافتة على مبنى صغير في أحد شوارع القاهرة ، حتى هيا الله لها الرئيس الذي أيقظه العزم ، وفقهه الحزم ، فقام في نحر الأمور ، على ساق التشمير يبرمها بأيده ، ويغلها بحده ، وينفذها بحده فاذا بالجامعة التي كادت تغشها الظلال تتجلى عروفاً بين الجامعات بمبانيها الواسعة ، وهيئة تدريسها المتكاملة ، ونظامها الفريد .

ويترك حزين بجامعة أسيوط وقد اشتد عودها إلى ميدان آخر أرحب وأوسع ، إذ يختار لتولى وزارة الثقافة فإذا هو فيها قطب صواب تدور به الأمور ، فهو لا يضع رأيه إلا موضع أصالة ، ولا يوجه تدبيره إلا إلى موقع أصابه ، ويسوس الأمور :

بعزائم لو كن يوماً أسهما

لنفذن في الأيام غير نواب

ولا يكاد حزين يترك الوزارة ، حتى تسعى إليه هيئة الأمم عرفانا بفضله وغزير علمه فتسند إليه إدارة المركز الديموغرافي لشمال إفريقيا فينهض بالأمانة ، ولا يزال

يؤدي رسالة المركز العلمية كأحسن مما تؤدي الرسائل .

ولم يكن الحال الوظيفي وحده هو الذي استأثر بجهود الأستاذ الحليل ، بل امتد نشاطه إلى العديد من الهيئات العلمية ، فهو عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ومقرر المجلس القومي للتعليم ، واجتمعت له رياسات عدة هيئات منها المجمع العلمي المصري ، والاتحاد الجغرافي العربي ، والجمعية الجغرافية المصرية ، وهو في كل هذه الميادين شعلة نشاط ، حتى لتحسبته في شرح الشباب لا يزال ، ولكنه يعالج الأمور بحكمة الشيوخ .

السيد الرئيس ، السادة الزملاء .

هذا طرف يسير من سيرة الزميل الحديد الذي أولاني المجمع شرف استقباله ، وإن مجال الحديث عن علمه وفضله لذو سعة ، ولكن لا أريد أن أشق عليكم فأطيل الحديث ، وإني أهتكم بانضمامه إلى زمركم وستجدون منه ماتقر به الأعين .

أما أنت يا أستاذي الحليل ، ويا أخي الأكبر ، فخذ مكانك الذي أنت به جدير بين سدة الفصحى وحماها ، ولك تهنئة من القلب خالصة .

والله يوفقك وإيانا إلى الخير والصلاح .

والسلام عليكم ورحمة الله ما

محمد محمود الصياد

عضو المجمع

• • كلمة الدكتور سليمان حزين

بسم الله ، الحمد لله نزل الكتاب بلسان
عربي مبين .

أيها الأخ الكريم رئيس المجمع أو عميد
المجمعين .

أيها الإخوة الكرام ، أيها السيدات
الفضليات .

سئل أستاذ قديم يوماً ما : أتحب أن ترى
أحداً من الناس خيراً منك وأسبق في عمله
وحظه من الدنيا ؟ قال : نعم ، ولكن أحب أن
يكون ذلك أحد اثنين : ولدي أو تلميذي .
وها أنا اليوم أسعد ما أكون إذ يسبقني ابني
وأخى وتلميذي إلى هذا المجمع الأستاذ
الدكتور محمد محمود الصياد ، وأن يسعى
إليكم ليقدمني في هذا الحفل الجليل ، لقد
سعدت اليوم السعادة كلها بتقديمي إليكم ،
وبأن يكون مقدمي هو أخى محمد الصياد ، الذي
كنت دائماً ولا أزال أفخر به وأباهي بين
الناس .

لقد تفضل بجمعكم الكريم فأضني على
هذا الشرف واختارني لعضويته ، وأصارحكم
بأننى كنت دائماً أحس أن هذا المجمع هو
المنتدى الذى يتجه إليه كل من كان من حظه
أن يجمع بين العلم في مادته ، وبين اللغة في
تعبيره ، وأن يجد من التعبير السليم سبيله
لأن يصل بعلمه إلى الناس وصولا صحيحاً ،

وأؤكد لكم أننى كنت ولا أزال أفاخر
بأنه قد سبقنى إلى هذا المجمع العتيد أساتذة
كان لهم الفضل كل الفضل في تكويني :
أولهم لطفى السيد ، فقد تلقيت عنه العلم في
كلية الآداب أول ما كانت كلية الآداب ،
منذ تيف وخمسين عاماً في مجال الفلسفة ،
ومجال الفكر الإنسانى في أصوله الرفيعة ،
ومنهم طه حسين ، فقد تعلمت عنه كيف
تكون دراسة أدب اللغة سبيلاً إلى إنعام
التأمل في مجال الفكر والثقافة ، وتعلمت منه
أكثر من ذلك كيف يكون الأسلوب
العلمي في تناول دراسة الأشياء دراسة
الأفكار والآراء ، وكيف تكون صناعة
بناء الرجال وتكوين الأجيال المترابطة من
المفكرين . ومنهم منصور فهمي ، وقد تعلمت
عنه دروس الفلسفة ، وتعلمت عنه تبسيط
العلم والمادة بعيداً عن التعقيد ، ومنهم أحمد
أمين ، وقد تعلمت عنه دراسة اللغة وتاريخها
كلغة ، واستكملت معه مبادئ مع طه حسين
في هذا المجال ، ومنهم محمد عوض محمد ،
وقد تعلمت عنه أشياء كثيرة ، لم تكن كلها
في مجال الجغرافيا . تعلمت عنه الجدية في العمل
والحساب عليه . ، كان أستاذاً متعمقاً في
مادته ، صارماً في حساباته لتلاميذه ، ولم أكن

حين عاملت تلميذى محمد الصياد على المنوال
الذى تحدث عنه حين قدمنى إليكم ، لم
أكن إلا سائراً على نمط أستاذى وأستاذه
محمد عوض محمد .

ومنهم آخرون لم يدخلوا هذا المجمع ،
أو دخلوه ولكننى لم أسعد بلقائهم فيه ،
منهم شفيق غربال ، كان مفكراً جامع
بين العلم والفكر ، وكان من رأيه أن
الجغرافيا تتكامل مع التاريخ فى تجلية
مقومات حضارة الإنسان ، ومنهم أشخاص
كثيرون موجودون بيننا الآن ، لكننى لأحب
أن أخرجهم بالحديث عما يربطنى بهم
من ود وفكر وأدب ، ولكن شخصاً واحداً
منهم غاب عنا الآن .

وكان من قدرى أن أكون فى مقعده ،
ذلك هو الأستاذ الحليل المغفور له زكى
المهندس وقد جرى العرف بينكم حين
يتحدث العضو اللاحق عن العضو السابق ،
أن يتحدث حديث الترجمة ، ولكننى أحس
أن زكى المهندس قد ترجم له فى المجمع
حين قدم إليه ؛ ولذلك فإنى أستاذن فى
أن يكون حديثى فى شأن سلفى العظيم
حديثاً شخصياً من جهة ثم حديثاً متصلاً
بجانب واحد من العمل هو جانب اللغة ،
من جهة أخرى .

أما الحديث الشخصى فهو من أعماق
قلبى ، وأرجو أن أكون فيه صادقاً مع
سلفى الراحل . كما أنا صادق مع نفسى .

كان أول أسباب المعرفة بيننا فى يوم من
أيام الحريف فى كلية الآداب منذ نيف
وأربعين عاماً ، بعد أن عدت من الخارج
وأخذت سبيلى إلى قاعة الدرس ، وكان صاحبكم
طليعة ، إن صح هذا التعبير ، يريد أن
يعرف كل شئ عن فى الفرقة من التلاميذ .
فهو يعرفهم أولاً بنفسه منذ أيام الشيخ
عبد ربه فى الكتاب الذى تحدث عنه أننى
الصياد حتى اليوم الذى دخل فيه الجامعة
دارساً ثم مدرساً . وكان يحب أن يعرف
أقصى ما يمكن أن يعرف عن تلاميذه ،
اسم الطالب ، والد الطالب ، ماذا يقصد
إليه الطالب من الحىء إلى هذا المكان ؟
ما هدفه ؟ لماذا اختار كلية الآداب ؟ ما رأيه
فى مادة الجغرافيا التى اشتهر عنها أنها مادة
جافة عسيرة ؟ ماذا يريد الطالب أن يفعل
بعد أن يتخرج ؟ كل هذه الأسئلة كانت
تستغرق درساً أو درسين أو أكثر من
بداية العام ، ولكن صاحبكم كان يرى
أن من واجب أستاذ الجامعة وحقه
أن يعرف أقصى ماتمكن معرفته عن تلاميذه
وسألت الطلاب واحداً واحداً ، حتى جاء
دور فتاة صغيرة ، سألتها عن اسمها فقالت :
صفية ، بنت من ؟ قالت : زكى المهندس
قلت لها أنا أعرف شيئاً عن والدك . وهو
مهندس بمعنى أو بآخر ، مهندس فى
اللغة العربية ، ولكننى لم ألبث أن قلت لها :
بلغنى والدك أنك ، منذ اليوم ، شركة
فى التكوين بينه وبينى ، عليه الصرامة

فى الحرص على تقويم لسانك العربى ، وأنا على الجغرافيا ، وقلت لها أكثر من ذلك : عندما يحىء الحساب والامتحان آخر العام سيكون حسابك مزدوجاً ، عن الجغرافيا وعن اللغة العربية معاً . وإننى لأشهد أن والدها قد أوفى بوعده أو بما استوعد عليه ، فسعى إلى أن يستقيم لسان ابنته حتى أنه عندما جاء امتحان آخر العام فإن صفة حققت نجاحها فى الجغرافيا بفضل سلامة أسلوبها العربى فى كتابة الإجابة . ثم دارت الأيام والتقيت بالمهندس مرة أخرى ، فى شخص ولد من أولاده حينما عهد إلى بشون وزارة الثقافة ، فحاولت أن أتعرف على العاملين فيها من أهل الثقافة والأدب والفن . وكان من بينهم شاب فنان هو فؤاد المهندس . وجاءنى فؤاد ، دخل على فذكرت له ما كان من شأنى فى كلية الآداب مع ابنتنا صفة ، منذ فترة مضى عليها إذ ذاك قرابة ثلاثين عاماً .

ولسكنى قلت له لمداعباً إن يد الوزير أقصر من يد الأستاذ ، حتى فى الحساب على اللغة العربية . فضحك ووعده وعداً لست أدرى إلى أى حد أوفى به ، لأن عمر الوزارة كان أقصر من أن يتيح الوقت لحساب موعود أو متوعد . ولقد انتهت هذه القصة إلى والده رحمه الله ، فجاءنى إلى الوزارة مهنتاً ومقدراً لامتداد الصلة بيننا إلى اثنين من أولاده . ودار

الحديث ، فذكرت له إننى حرصت منذ اليوم الأول فى الوزارة على أن يكون مجمع اللغة العربية بين الهيئات ، بل وعلى رأس الهيئات التى تسعد وزارة الثقافة وتشرف بأن تكون فى خدمتها ، ولكنه إلا أن يسأل لماذا ؟

قلت : لأننى عاصرت عمل المجمع ولمسته من قريب منذ كنت مديراً عاماً للثقافة بوزارة التربية والتعليم . وكان المجمع جزءاً من الوزارة إذ ذاك ، ثم إننى أشعر بحق وصدق أن عمل المجمع أكبر وأوسع نطاقاً من عمل وزارة التربية والتعليم ، كما أنه أكبر وأبعد شأناً من عمل وزارة التعليم العالى ، التى لم يكن لها فى رأى التعليم العالى إلا أن تكون وسيطاً للتنسيق بين الجامعات ، وكان من رأى أيضاً أنه مما أساء إلى المجمع بين الناس ، وجعلهم يتندرون ببعض ما ينتهى إليه من مصطلحات هو أن المجمع نشأ وبنى فترة من الزمن بمعزل أو شبه معزل عن حياة الناس وثقافتهم العامة ، وأنه مما يقوى مكانة المجمع بين الناس أن يكون موقعه فى الوزارة التى تقوم على شئون الثقافة العامة . فليس المجمع من أجل تلاميذ المدارس وحدهم ، وليس من أجل أساتذة التعليم العالى ، بقدر ما هو من أجل الناس بعامه ، ومن أجل اللغة التى تحتوى ثقافة الجميع .

والوزارة التي ترى ذلك إنما هي وزارة الثقافة ، ومن هنا وجب أن تكون وزارة الثقافة في خدمة مجمع اللغة العربية . وأنا لم أحاول أن أستأثر بالمجمع إذ ذاك دون وزير غيري ، وإنما حاولت أن أتيح الفرصة للمجمع في أن يستأثر بالمكان اللائق بين وزارات الخدمة في مصر ، ويبدو أن هذا الحديث أعجب أستاذي زكي المهندس ، ولكنه عاد فحذرني تحذير الصديق ، قال إن المجمعين لن يقنعوا بالحديث أو القول ، وإنما يقنعهم العمل وحده . وحتى إن اقتنعوا فلن تكون قناعتهم كاملة . والمخ في حديثه الذي أذكره الآن كما أذكر نفسي ، ألمح إلى أن المجمعين قد يمنحون الثقة وقد يمنعونها ، وهم قليلا ما يمنحون وكثيراً ما يمنعون ، ثم قال ولكني لأود أن يكون الحديث حديث المنح والمنع ، لأنني لا أريد أن أكون قاسياً على زملائي في غيبتهم ؛ وإنما الأمر قد يكون بالنسبة إلى كثير منا أمر حجب للثقة ، ولولا ذلك حين ، وكان كل ما رددت به في ذلك اليوم على أخي وأستاذي زكي المهندس أنني أسأل الله ألا يكون الأمر حجباً ، بل أن يكون الأمر إرجاء للثقة حتى يتيسر اليقين ! ويبدو أنني كنت صادقاً بيني وبين أخي ، فقد جاءت الأقدار فأكدت أن الثقة كانت مؤجلة ، ولكنه تأجيل كنت أعرفه وأترقبه حتى شاء الله أن أقعد اليوم بينكم في مقعد أخي وزميلي الراحل الكريم .

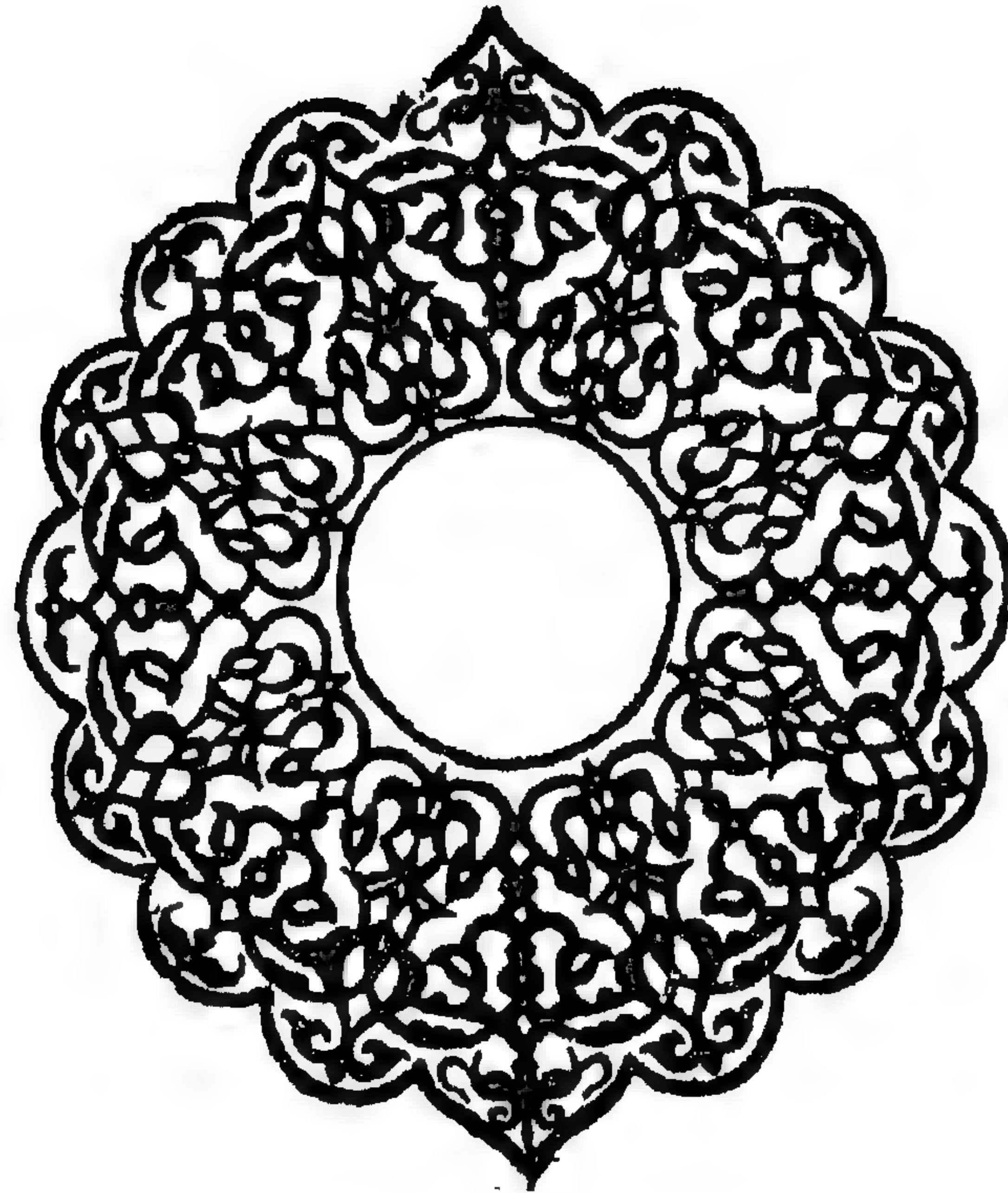
هذه سيرتي مع أخي المغفور له الذي أقف الآن بينكم في مكانه ، لكني لأحب أن أختم هذا الحديث قبل أن أضيف كلمة أخرى ، قد تكون لها بقية معكم في إحدى جلساتكم العلمية في يوم من الأيام . وهذه الكلمة خاصة بمعنى الخلود الذي يضيفه الناس على هذا المجمع وأعضائه ، والذي أحسب أن الأولى بنا أن نضيفه على اللغة العربية ذاتها وهو خلود لاصلة له بدنياً الرجال والأحياء ، وإن جاز للمجمعين أن يأنسوا إليه ، وأن يغتبطوا به ، في حدود ما يسمح به خلودهم الدنيوي الزائل . ولكن الخلود الذي يتصل بلغتنا العربية إنما هو في حقيقة الأمر خلود آخر ، بل هو الخلود بعينه . وقد دخل إليه أخي زكي المهندس يوم أن فارق هذه الدنيا ودخل إليه بحق وصدق ، لأنه كان واحداً ممن أتيح لهم هذا الخلود عن طريق اللغة ، لغتنا العربية ، تلك التي نستطيع اليوم أن نقرأ شعرها الذي كتب أو أنشأ منذ ستة عشر قرناً ، ونستطيع أن نتلوقه ، وهذا ضرب من الخلود النسبي ، لا تضارع لغتنا العربية فيه إلا اللغة المندرية ، وهي لغة أهل الصين . ومع ذلك فإن لغة الصين مصورة ، وليست في حقيقة الأمر لغة مكتوبة ذات أبجدية وإنما لها صور تعبيرية ، فهي لغة تسمع وترسم أكثر مما هي لغة تكتب وتقرأ بحروفها كاللغة العربية . ولست أريد أن أستطرد كثيراً ، ولكننا إذا قارنا اللغة العربية بغيرها من اللغات الحديثة الحية ، فإننا نجد أنها لغة ذات عراقم وخلود متصل ، في اللغة الفرنسية مثلاً ، لو أننا أحضرنا كتاباً ألف بها منذ عشرة

قرون ، وأعطيناه لثقافت فرنسي ، فإنه لن يستطيع أن يفهم منه غير النذر اليسير . وفي اللغة الإنجليزية لا يستطيع إنجليزي اليوم أن يقرأ كتاباً ألف منذ خمسة قرون . أما اللغة العربية فإنها أقدم اللغات الحية المكتوبة بالحروف الأبجدية ، وأقدمها توارثاً وأبقاها تراثاً حياً خالداً على الزمن ، بل إن معنى الخلود فيها أعمق من ذلك ، فهو خلود مستمد من خلود كلمات الله سبحانه في القرآن الكريم ، الذي هو حافظه ومخلد إلى يوم يبعثون ، وستبقى هذه اللغة العربية لغة المؤمنين من الخالدين ومن ثم فإنها حرية بأن تضيف صورة من خلودها ذاك على من يفرغون لخدمتها والقيام عليها في هذه الحياة الدنيا .

على هذا النحو أريد أن أحيي ذكرى زكي المهندس في هذا المقام ، وأريد أن أطمئن نفسي إلى أن ذكرى هذا الشيخ الجليل ستبقى خالدة في العالمين ، وأن عمله في خدمة اللغة العربية والقيام عليها سيكون مدخله إلى دار الخلود .

أنتم كلتي محيا هذا المجمع العظيم في شخص عميده وعميدنا جميعاً ، وفي شخصكم جميعاً أحيي هذا المجمع الذي شاء الله أن تكون رسالته الخالدة باقية على الزمن ، والسلام عليكم .

سليمان حزين
عضو المجمع



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٩ من صفر
سنة ١٣٩٨ هـ (١٨ من يناير سنة ١٩٧٨ م) أمام المجمع
حفلة تأبين عضوه الراحل المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد المجيد
اللبان . وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مدكور ●

رئيس المجمع

وبحثه، وكان ممن يحاولون ربط الأدب بالفلسفة
ولا تعنيه الجزئيات بقدر ما تعنيه القضايا الكبرى
وحرص الحرص كله على أن يغذي مؤتمراتنا
المتلاحقة ببحوث من تلك البحوث طويلة
النفس، يروى فيها ما استطاع ويرغب رغبة
صادقة في أن يؤدي هذا الواجب الكريم .

وحين حالت صحته دون أن يقوم بواجبه
على النحو الذي يرجوه ، لم يتردد في
أن يفلسف حياته، فسكنا نراه في قوة ونشاط
فإذا ما أحس بكلل وملل اعتكف وعاد
إلينا بنشاط جديد .

وهكذا دواليك إلى أن حان حينه ، ففارق
الدنيا في غير جلبة ولا ضوضاء ، رحمه الله
رحمة واسعة، ونجزاه عما قدمه لأمته ووطنه
خير الجزاء .

وسيقول كلمة المجمع فيه زميلنا الأستاذ
عبد السلام هارون، ويليه الأستاذ عبد الشافي
اللبان يلقي كلمة الأسرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتي سادتي نودع اليوم ، وما أقسى
أن نودع . والوداع بين الحالدين كثير
الونجود . والناس للموت تسير ، والسابق
السابق فيه السكرام .

نودع اليوم شيخاً من شيوخ المجمع وهو
المرحوم إبراهيم اللبان، وصالتي به قديمة
العهد ، فقد عرفت من قبله والده المرحوم
الأستاذ الحليل عبد المجيد اللبان وما أشبه الابن
بأبيه وكما قالوا قديماً : الولد سر أبيه .

والحق أنني لم أرا الأستاذ إبراهيم اللبان
إلا وذكرني بوالده الكريم، ذكرني بلغته الباسمة
واستقباله الأخاذ ، ورأيه الصريح وكلمته
القاطعة .

وقد غشنا هنا مع إبراهيم اللبان سبعة عشر
سنة، تعاونا بنفس هادئة آمنة مطمئنة، لا يتكلم
إلا حيث يرى للكلام دلالة ومعنى ، ولا يقف
عند جزئيات وصغائر الأمور، استمتعنا بدرس

ابراهيم عبيد المجيد اللبان

في تأبين المرحوم الأستاذ :

ولعل أعظم أمنية تحققت له في حياته ،
بعد عضويته لجمعية هذا هي عضويته لجمعية
البحوث الإسلامية ، حيث استطاع أن
يسهم ببحوث صادقة في خدمة الإسلام
والمسلمين ، وفي الدعوة الإسلامية ، تتجلى
في القضايا التي عالجها ببيان وإفصاح ، وألقيت
في مؤتمرات ذلك المجمع .

ففي المؤتمر الأول نجد له بحثاً عنوانه « حق
الفقراء في أموال الأغنياء » .

وفي المؤتمر الثاني : « مكان المرأة في
الإسلام » .

وفي الثالث : « القرآن في التربية الإسلامية » .

وفي الرابع : « القرآن والمجتمع » .

وفي الخامس : « المستشرقون » .

وفي السادس : « إيمان الشباب : صيانتهم
ووسائل دعمهم ، يقول فيه « وإجمال القول
أنه لا بد أن تكون مدرسة الجمعة مقراً لبعث
روح الخير وحب الخدمة في نفوس طلابها ،
وساحة فسيحة للتدريب على ممارسة الخدمات
الاجتماعية بكل ضروبها ، على أن يكون ذلك

أنعى في الجود إلى الجود

ما مثل من أنعى بموجود

نعم كان جواداً بحبه للناس ، سخياً بوده
لزملائه ، تسرى منه روح المودة إلى خلانه
وإخوانه ، فيجمعهم على الخير أشمل ما يكون
المجمع ، وأفسح ما يكون الوفاق والائتلاف .
كان باذلاً لوفائه وبره لمن عرفه ، مهتماً
يقصر زمان المعرفة .

والجود بالود والحب والوفاء ، دون
تعلة ، لأنه ود وحب ووفاء ، درجة لا يسمو
إليها من الناس إلا على النفس ، فارغ الروح .

ما أيسر الجود بالمال لمن يملكه ، وما
أصعب السماح بالحب الصادق لمن طويت
نفسه على دغل أو أثره ، أو اشتمل قلبه
على سوء وضمغن مقيم .

كان فقيداً الكريم محباً للناس ، عطوفاً
ألوفاً ، وكان محباً لربه خالياً في طاعته ،
لارغبة في ثوابه ولا خوفاً من عقابه ، وكأنه
كان صديقاً لمن قال فيه عمر بن الخطاب :
« لو لم يخف الله لم يعصه » .

استجابة لروح الإسلام وطاعة لأوامره
وتوجيهه .

كما أن بحثه في تجديد طرق العرض والنشر
الإسلامي في تحقيق التراث ، بحث دقيق
مؤسس على نظرة عميقة في التأليف الإسلامي
وتطويره ، وعلى تصوير لا يقوى عليه إلا
من وضحت أمامه الرؤية ، في المكتبة العربية
بهامة ، ومؤلفها المسلم بخاصة ، وحمل معه
ميزان العلوم التربوية يقيس به الصواب
والخطأ في منهج التأليف على مدى العصور
الإسلامية منذ أن بزغ نور الإسلام .

وليس هذا بالأمر الهين على من يتصدى
لهذا اللون من التاريخ .

ولا أطيل القول في بحوثه التي شارك بها
في مجمع البحوث الإسلامية ، فقد كان له
في كل مؤتمر يعقد ، بحث جليل يطالع به
العلماء ، منذ نشأة هذا المجمع ، إلى أن
تغمده الله الفقيه برحمته .

ولا غرو في ذلك ، فقد كان الفقيه
من أسرة عريقة في الدين وخدمته ، وكان
والده المغفور له الشيخ عبد المجيد اللبان
من كبار علماء الأزهر ورجالاته ، ومن
لهم المواقف المشهودة ، والخدمات الجليلة ،
وكان من ذوى الفضل الظاهر والقدر النبيل ،
أنجب رجالا سواسية لا ترى لأحدهم فضلا
على أخيه .

وكما كان الفقيه محبا لربه كان عاشقا
للغة كتابه ، وجاهدا ما أمكن له الجهاد ، أن
يقوم بخدمة اللغة في مجال الكتابة والتعليم
والدعوة . . . فقد كانت له مشاركة فعالة
وحكومة عالية ، بين جنبات هذا المجمع
في قضايا اللغة وعلوم العربية ، دون كلل
منه أو سامة ، فلا يكاد مؤتمر من مؤتمرات
مجمعنا هذا يخلو من بحث له مستفيض في
نظرة أدبية ، أو أخرى نقدية ، أو ثالثة
جمالية . ويسكنى أن نسرد بعض ما عالج
من قضايا العربية فنقرأ له بحثا عنوانه :
« الطريقة الحديثة لعرض الأدب » يدعو فيه
إلى دراسة الأدب القديم ، في ضوء النظرات
العلمية الحديثة ، وإلى ضرورة التمهيد لكل
نص ، ببيان الجوال الذي تولد فيه النص ،
والظروف التي واکبها وعاصرها .

وبحثاً ثانياً عنوانه : « نظرة نقدية في مبادئ
البلاغة » قدم فيه درساً نقدياً لأصول البلاغة
عند الأقدمين ، ومدى انطباقها على أصولها
عند المحدثين . فأعطى للأقدمين حقهم وافيّاً
لم ينقص ، واحتراما كاملاً لم يبتز . . . ثم
دعا إلى كثير من نماذج الإصلاح ، وطرائق
التصوير .

وثالثاً عنوانه : « إحياء تراثنا الأدبي » ، وقد
نهض فيه ، ببيان قدر التراث الأدبي في
الماضي وما آل إليه في الحاضر ، ودعا إلى
بعث كنوز الأدب العربي ، التي تحتوى عليها
أمثال أغاني أبي الفرج ، والعقد الفريد ،
وكامل المبرد ، وغيرها من كتب الأدب

الأصيلة ، التي كاد النسيان يجرر ذيلها فيها ،
تعفية لها وقضاء عليها .

وبحثاً رابعاً ، يحمل عنوان ، « الوحدة
الفنية في الشعر العربي » حمل فيه حملة
شعواء ، على كثير من الشعر العربي الذي
لا وحدة فيه وأثار بحثه هذا نقاشاً ممتعاً اشترك
فيه كثير من أعضاء المؤتمر ، ولقي إعجاباً
واهتماماً .

ثم نظهر على بحث له خامس ، وسادس ،
يتناوه سابع إلى أن نبليغ العشرين عدداً ، كلها
محاولات طريفة لخدمة الأدب العربي ،
والبلاغة العربية . وكلها دلائل على انفساح
آفاق المعرفة لديه ، والشغف بالمشاركة في
معظم قنوات الدراسات العربية والإسلامية .

وأعتقد أتم الاعتقاد أن الفقيد رحمه الله
لم تسنح له الفرصة الكافية لنشر ما كان يعدده
من مؤلفات متعددة النواحي . وحينما رجوت
الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محسن اللبان ،
نجل الفقيد أن يرسل إلى ماغسي أن يكون
لديه من مخطوطات ، أبدى عذره مشفوعاً
بقوله لا يمكنني « إرساله لكم لضخامة حجمه ،
فهو يربو على آلاف الصفحات ، موجود
لدينا بالقاهرة والإسكندرية وهو نحو ٢٠٠
إلى ٣٠٠ كراسة ، دراسات في الأخلاق
وفلسفة الدين ، وتاريخ الأزهر المجيد ،
والمثالية في الأدب والحياة ، وعديد من شتى
المواضيع » .

وهكذا لم أستطع أن أعطى الصورة كاملة
عن نشاطه التأليني ، الذي لو أتيح له الظهور
لبدا في عشرات الكتب والتصانيف .

وليس يفوتني أن أنوه هنا ، بمؤلفاته
التي ظفرت بها الطباعة العربية ، وخرجت
إلى النور وهي :

١ - الفلسفة والمجتمع الإسلامي .

٢ - طرق تجديد المجتمع .

٣ - العدل الاجتماعي تحت ضوء الدين
والفلسفة .

٤ - مشكلات الفلسفة .

٥ - منهاج المسلم في الحياة .

٦ - الحياة الإنسانية : أهدافها ونظمها
العام .

٧ - المستشرقون والإسلام .

أما المخطوطات التي لم تتح لها فرصة الطباعة
فهي :

١ - أصول النقد الأدبي .

٢ - فلسفة الفنون الجميلة .

٣ - نظرة الوجود المادية والمثالية .

٤ - فلسفة الأخلاق ونظام المجتمع .

ولم يكن الفقيد غائباً عن الرأي العام في
الصحف ، وكثيراً ما قرأنا له الرأي الصائب
والتوجيه السديد .

وكان آخر ما نشر له ، وذلك بعد
أسبوع من وفاته ، كلمة كان قد أرسلها
إلى صحيفة الأخبار عنوانها « لا مكان للإلحاد

في بلادنا» دعا فيها إلى مكافحة المذاهب الهدامة التي ترمي إلى القضاء على الأسس الدينية والأخلاقية في بلادنا العربية متمثلة في الانحرافات السياسية والاجتماعية المستوردة ، فلقد أكرمه الله ، بأن يستمر في استعلان جهاده وكفاحه ، في سبيل الدين وإعلاء كلمته وهو دفين تحت الثرى .

ولعل أصدق ما نشر في الصحف في بيان فضل الفقيد ما كتبه صاحب نحو النور في صحيفة الأخبار وهو قوله : «..وقد اعتاد المرحوم الأستاذ اللبان أن يشهد في السنوات الأخيرة السنوات التي يعقدها الأستاذ أحمد عطية الله في المعادى ، يجد فيها متنفساً لآرائه وتطلعاته في الثقافة والتعليم ، ويثرى الحاضرين بعلمه وأدبه وخلقه ، ولا بد أنهم ، كما لا بد أن تلاميذه وزملاءه سيشعرون بالفراغ الكبير الذي خلفه رحيله . وقد فقدت فيه اللغة العربية حاميا من حماها ، ومدافعا من المدافعين عنها في يقين ثابت وإيمان صارم بأن اللغة إحدى المقومات الأساسية لوجود الأمة » .

ويقول فيه أيضا : «وهو واحد من الرعيل الأول من أبناء دار العلوم الذين استطاعوا أن يزاوجوا بين الثقافة العربية الخالصة والثقافة الأوروبية — دون أن تطغى إحداها على الأخرى ، فتحجب ما فيها من أسباب تزييد العقل ثراء والفكر انفساحا . ولعل تلاميذه قد درجوا على نهجه فأثروا اللغة العربية وفتحوا

أمامها المجال للتقدم والتطور ، دون أن تفقد أصالتها ، أو يضيع أريجهاوشداها .

في بلدة سنديون التابعة لمركز فوة من إقليم الغربية في الماضي ، وإقليم كفر الشيخ في الحاضر ، كان مولد الفقيد في الثاني من يونيو سنة ١٨٩٥ وفيها كانت طفولته ومرباه ، حتى استقر والده الحليل في مدينة الاسكندرية فالتحق بالمعهد الديني الابتدائي ، ثم بالمعهد الثانوي . وكان من المتوقع أن يتم دراسته في رحاب الأزهر الشريف ، ولكنه ارتأى أن يتمها في دار العلوم ، حيث قضى سنتي دراسته العالية فيها ، وتخرج سنة ١٩١٨ وعين في فبراير من السنة التالية مدرسا بمدرسة الجمالية واستمر في سلك التدريس بالمدارس الابتدائية ثم الثانوية .

وحين بعث نظام البعثات الدراسية بعده ركوده عدة سنوات خرج الفقيد في بعثة إلى جامعة لندن سنة ١٩٣٠ ونال درجة الشرف منها سنة ١٩٣٥ ، كما حصل على دبلوم التربية لمدرسي المدارس الثانوية سنة ١٩٣٦ ، ثم ظفر بدرجة الأستاذية من جامعة لندن سنة ١٩٣٨

وما إن عاد من بعثته حتى ضمته دار العلوم إليها مدرسا لعلم النفس ، ثم انتقل إلى معهد التربية العالي للمعلمات أستاذا لعلم النفس أيضا ، واختارته وزارة المعارف بعد ذلك مفتشاً عاماً للفلسفة ، ثم عين أستاذا لعلم النفس بكلية

الآداب بجامعة الإسكندرية ، وعاد بعد ذلك إلى مكانه بكلية دار العلوم أستاذاً للفلسفة الإسلامية بها .

وفي سنة ١٩٥٣ عين عميداً لكلية ، فقام بخدمة إخوانه وتلاميذه خير قيام ، في جو من المحبة وحسن الزمالة ، وطيب العشرة حتى بلغ سن التقاعد في سنة ١٩٥٥ .

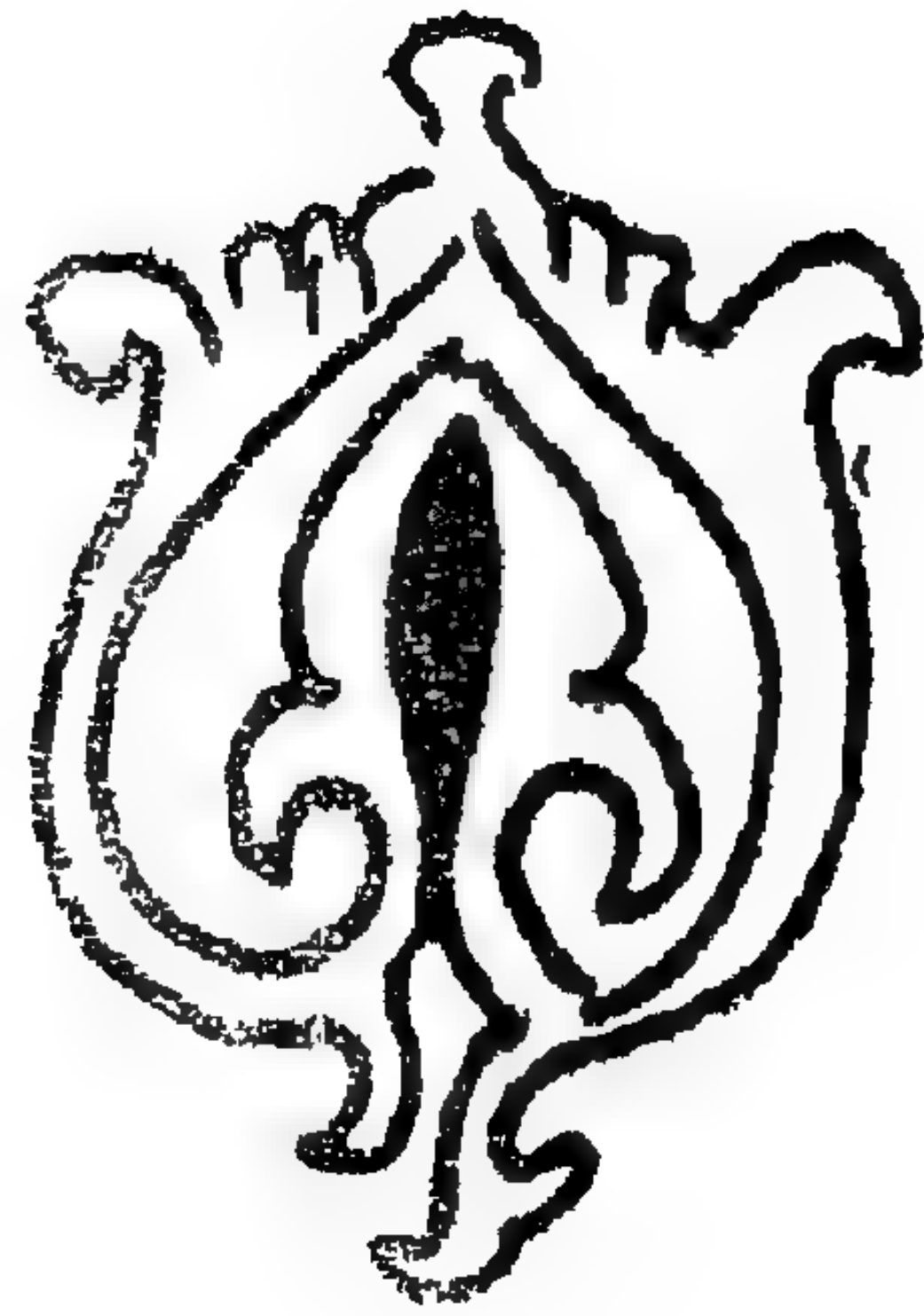
ولكنه لم يقعد عن العمل ، ولم يفتر نشاطه في خدمة العلم ، فقد انتدب لتدريس الفلسفة وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وطرق التدريس في معاهد وكليات مختلفة ، منها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وكلية الآداب بجامعة القاهرة ، والمعهد العالي للتربية المنزلية ، ومدرسة الخدمة الاجتماعية بكل من القاهرة والاسكندرية .

ثم يمتد نشاطه إلى البلاد العربية فيكون أستاذاً للتربية بجامعة ليبيا . ويختاره المجمع العلمي العراقي عضواً فيه سنة ١٩٦٩ .

وبمثل هذا وذاك جاد الفقيد بعلمه وفضله ، حتى اختاره الله إلى جواره ، فرجع إلى ربه راضياً مرضياً في رحاب الله وكريم رضوانه . . . لنفقد بوفاته أنحاً كريماً ، عز فقده على إخوانه ، وغادر فراخاً في لون من الناس قل أن يجود بمثله الزمان .

غفر الله له وأرضاه .. : وأكرم منزله ومثواه .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع



كلمة الشعر

••• للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

لا يعرف المرء ما يخفى له القدر
سيف المنية مسلول وقاطعه
كل له ساعة لا ريب آتية
إن مد في العمر لا يدري مُعَمَّرنا
ليست لنا حيلة في الرزق ناجعة
من يزرع الحب لا يعلم أبحصده
لا يعلم الغيب دون الله من أحد
لكن ربك أعطى المرء موهبة
ينسى الممات فيمشي في مناكها
لو كان في غيبة الأجرام ترضية
هل من سبيل إلى خلد بلا أمد
أم الحمام فناء ليس يعقبه
إن قيل إن جمادى لا فناء له
لله مرجعها بالعدل موضعها
إن الأجنة بالأرحام غافلة
أرواحنا مثلها بالجسم قابضة
كل يعيش مع الاجداد مرحلة
حتى يحىء إلى الدنيا لمرحلة
من بعدها نشأة أخرى لمن صاحوا
يا رحمة الله صفحا إن أولنا
إن الشهادة بالتوحيد مغفرة
أستودع الله خلا عا لما ورعا

لو كان يعرف ماذا ينفع الحذر
يهوى علينا فلا يبقى ولا يذر
فيها منية ليست لها نذر
هل حل موعده أو سوف ينتظر
أو عندنا من شفيح حين نحتفر
أم يدرك الزرع أو بالزراع الضرر
لا يدعى الغيب إلا كاذب أشر
بالعقل يدرك ما يخفى ويستتر
فإن تذكر حل اليأس والكدر
للموت ما بزغت شمس ولا قمر
أو أن سهم الردى لا بد ينتصر
بعث فبشرى لمن في هذه يذر
هل يقبل العقل أن الروح تندثر
إما التعميم وإما النار تستعر
حتى إذا خرجت تسعى وتنتشر
حتى إذا فك هذى الأسر تنتثر
ليست له حيلة فيها ولا أثر
أخرى يعمر حيناً ثم يستتر
جنات عدن ونيران لمن كفروا
ضعف وآخرنا والدمع منهمر
والشرك بالله ذنب ليس يغتفر
لم يبق لي منه إلا ذكره العطر

نجل الأفاضل في علم وفي أدب
 عف اللسان رقيق الحس مرهفه
 إن البراءة تبدو في ملامحه
 دين وعلم وأخلاق وتجربة
 بالحق يقوى ويقوى الحق في فمه
 دار العلوم بكت حقا عمادته
 من عاش للدين والفصحى فهجرته
 بين الصحابة بالفردوس مقعده
 في شرعة الله لا يعفو لهم أثـر
 من مثله في صفاء القلب يغتبر
 كالبحر تحفظ في أصدافه الدرر
 لا يقبل الضيم يعفو حين يقتدر
 لا يعلم الرأي حين الرأي يفتقر
 والمجسمان تعالما له ذكروا
 لله حين يحل الوعد والقدر
 والصالحون وأهل العلم تنتظر

الدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش
 عضو المجمع



كلمة الأسرة

●● السيد السفير محمد عبد الشافي اللبان شقيق الفقيد

بعض ذكرياتي تبياناً لخاصتين بارزتين
من خصائصها :

الأولى ، أنه كان رحمه الله منذ فجر شبابه
مربياً . . كانت سمة العلم ، وعبقورية
المربي أول ما لوحظ عليه ، وسمعت عنه ،
منذ نعومة أظفاري . . أيام أن كانت
أسرتنا تقيم بالإسكندرية وكان والدي من
شيوخ المعهد الديني بها

أذكر وقد كنا في السنوات الأولى من
دراستنا الابتدائية ، أن أخى إبراهيم كان
يحرص كل الحرص على اصطحابنا ، نحن إخوته
الصغار ، وأترابنا من الأهل والأقارب ،
إلى حديقة الحيوان بتلك المدينة (حديقة
النزهة) كان المرحوم حينئذ حديث التخرج
في دار العلوم أو في سنواتها الأخيرة ،
شاباً سمهرياً في جبته وقفطانه . . وهب
نفسه للتدريس والتعليم ، وسلك فيهما منهجاً
يهدف إلى تربية الجسم والعقل ، ويجمع
بين المتعة والفائدة . . تلك المتعة التي كانت
تغمرنا ونحن من حوله صبية صغار ،
نلهو ونلعب على أرض الحديقة ، وهو
معنا في زى الشيوخ ، لا يجد بأساً ولا حرجاً
في إقامته بأسر إلحكم في مبارياتنا أو مشاركتنا ،
كواحد منا ، بعض تلك المباريات .

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الأستاذ الكبير رئيس المجمع الموقر :
أساتذتى العلماء الأجلاء أعضاء المجمع :
سيداتى وسادتى :

نيابة عن أسرة المرحوم الشيخ عبد المجيد
اللبان ، يقف ابن من أبنائه ، شاء له قدره
أن يرى أشقائه جميعاً يرحلون عن هذه
الدنيا ، واحداً بعد واحد . يقف بين أيديكم
هذا الموقف الحزين ، ليشكر لكم ما تفضلتم
به من كريم المواساة ، وجميل العزاء ،
ويذكر بالعرفان العميق ما أبداه الأخوان
الكرمان :

الدكتور إبراهيم بيومي مذكور

والأستاذ عبد السلام هارون

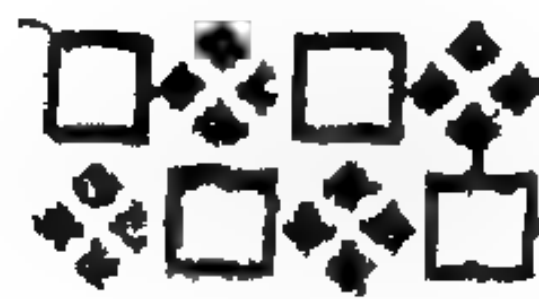
نحو شقيقه المرحوم الأستاذ إبراهيم
اللبان . . من تقدير وإعزاز ، وزمالة
وأخوة صادقة كريمة . . كنت أسمع منه
الكثير عنهما . . وعن داركم هذه . . صومعة
العلم والأدب الرفيع التي كان وهو بينكم فيها . .
يجد نفسه على حقيقتها . . تلك النفس
الإنسانية الصافية التي عرفتموه عليها . .
والتي أرجو أن تسمحوا لي بأن أرجع إلى

أما الفائدة فقد كانت تتحقق في
جولاته معنا بأرجاء الحديقة ، ونحن نصغي
مشدودين إليه وهو يعلمنا على الطبيعة الكثير
من مناهج دراستنا . . في الجغرافيا وعلوم
الحيوان والنبات وغير ذلك مما يتصل بها . .
كان يقف بنا أمام أقفاص الحيوان والطيور .
يصف لنا مواطن سكانها وبيئتها وخصائصها
وصفاتها . . وما يطرأ عليها من تغيرات في
الطباع والعادات والمزاج وهي سجين
مقيدة الحرية في محابسها . . ويذهب بنا
إلى المياه الحارية في قنوات الحديقة وجداولها
وما يتخللها من بحيرات صغيرة تتماوج
فوق سطحها أوراق نبات « ورد النيل »
ويرينا كيف أن كل واحدة من هذه الأوراق
الخضراء ، والمياه تحيط بها من كل جانب ،
تمثل الجزيرة ، وأنها وهي مجتمعة كما نشاهدها
تمثل الأرخبيل . . وهو مجموعة جزر
متقاربة : وهكذا يمضي بنا من هذا الواقع
الذي نراه أمام أعيننا . . يشرح لنا الممرات
والمضايق والخلجان المائية وغيرها من مظاهر
الطبيعة ومعالمها . . فيطبع في أذهاننا
الصغيرة ما سبق أن درسناه في المدرسة
ويضيف إليه الكثير مما يوسع مداركنا ،

وينمي فينا القدرة على التفكير ، ودقة الملاحظة ،
ويوقظ خيالنا فتصبح الحديقة أمامنا رقعة
أضنى عليها نوعا جذابا من الحياة .. أكثر
قربا إلى نفوسنا يربط بيننا وبينها رباط من
الود والمحبة النابضة بالإنسانية ..

تلك الإنسانية التي تمثل الخاصة الثانية
التي كان يتميز بها فقيدنا العزيز ، وكان
فيها معطاء كريماً إلى أبعد حدود البذل
والعطاء .. ظل حياته كلها يعطي أكثر مما
تأخذ .. ظل على الدوام نبعا صافيا يرتوي
منه كل من شاء .. كما يشاء .. وقد ترك
بعد وفاته الكثير من الآثار العلمية المخطوطة
لعل المجمع الموقر يتعاون معنا في تحقيقها
والعمل على نشرها بين الناس ، أن يستن
بذلك في تكريم الراحلين إلى الخلود من
أعضائه سنة حميدة نافعة ، فيها من
التقدير لآثارهم ما ترضى عنه نفوسهم
المطمئنة في جنة الله ورضوانه .

وفي النهاية ، سيداتي ومساتي ، إذا
كان خير الناس أنفعهم للناس ، فإنه لما
يعزينا جميعاً أن فقيدنا الكريم ، كان
في حياته وفي مماته ، من الأخيار الأبرار
الذين رضى الله عنهم ، ورضوا عنه
ولا حول ولا قوة إلا بالله .



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٣ من ذي
القعدة سنة ١٣٩٨ هـ (٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٧٨ م) أقام
المجمع حفل تأبين عضوه الراحل المرحوم الدكتور عثمان أمين .
وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

•• كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

أنا وعثمان أمين

أيها السيدات والسادة :

يفقد المرء نفسه شيئاً فشيئاً حين يفقد
الإخوان الأعزاء والأزملاء الأوفياء ، ولقد
كان عثمان أمين منى في مقدمة هؤلاء . عرفته
شاباً ، وصاحبته كهلاً وشيخاً . عرفته في
باريس بين الرعيل من مبعوثي كلية الآداب
بجامعة القاهرة ، وفي باريس مجال فسيح
للجد والتهور . وأشهد أن فقيدنا رحمه الله
كان جاداً دائماً . أتاحت له موارد البحث
والدرس فنهل منها ما وسعه ، قرأ في الأدب
والفن ، كما قرأ في العلم والفلسفة ، وتابع كبار
الأساتذة ، وتلمذ لشيوخهم ، وجود
لغته الفرنسية إلى جانب لغته الإنجليزية ، وضم
إليهما حظاً غير قليل من اليونانية واللاتينية
وتوفر له في مصر قبل سفره زاد كبير من
العربية أدباً وعلماً وفلسفة ، ولم يصرفه
تعمقه في دراسة الفكر الغربي قديمه ومتوسطه
وحديثه ومعاصره ، عن أن يتابع النظر في
الفكر الإسلامي . ويكفي أن أشير إلى أنه

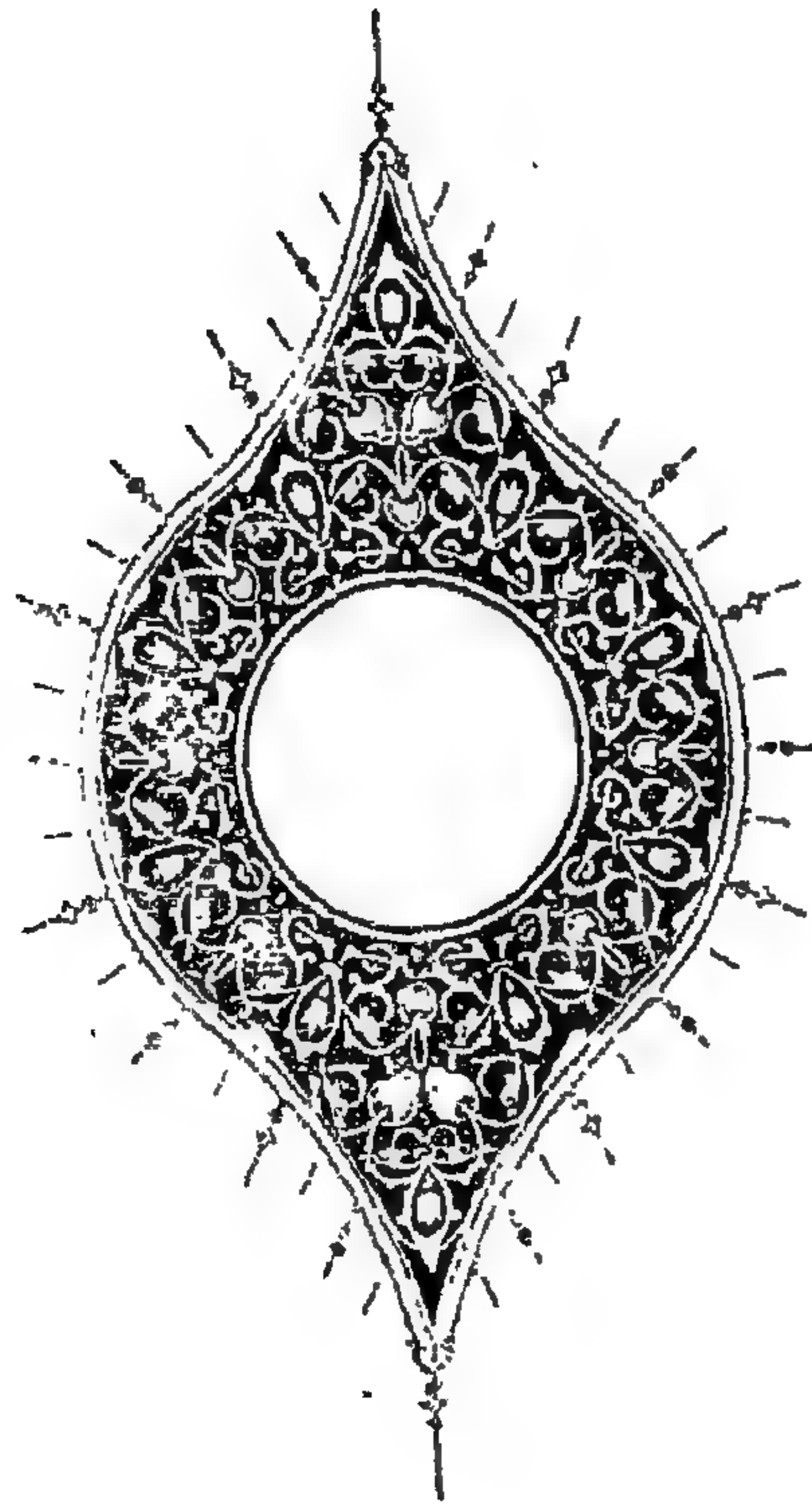
استطاع أثناء بعثته أن يحقق كتاباً من أهم
كتب المعلم الثاني ، وهو كتاب « إحصاء
العلوم » لأبي نصر الفارابي ، وجاءت طبعته
الأولى وليدة هذه الجهود . وفي حرصه على
التجويد ألحق بها الطبعة الثانية والثالثة .

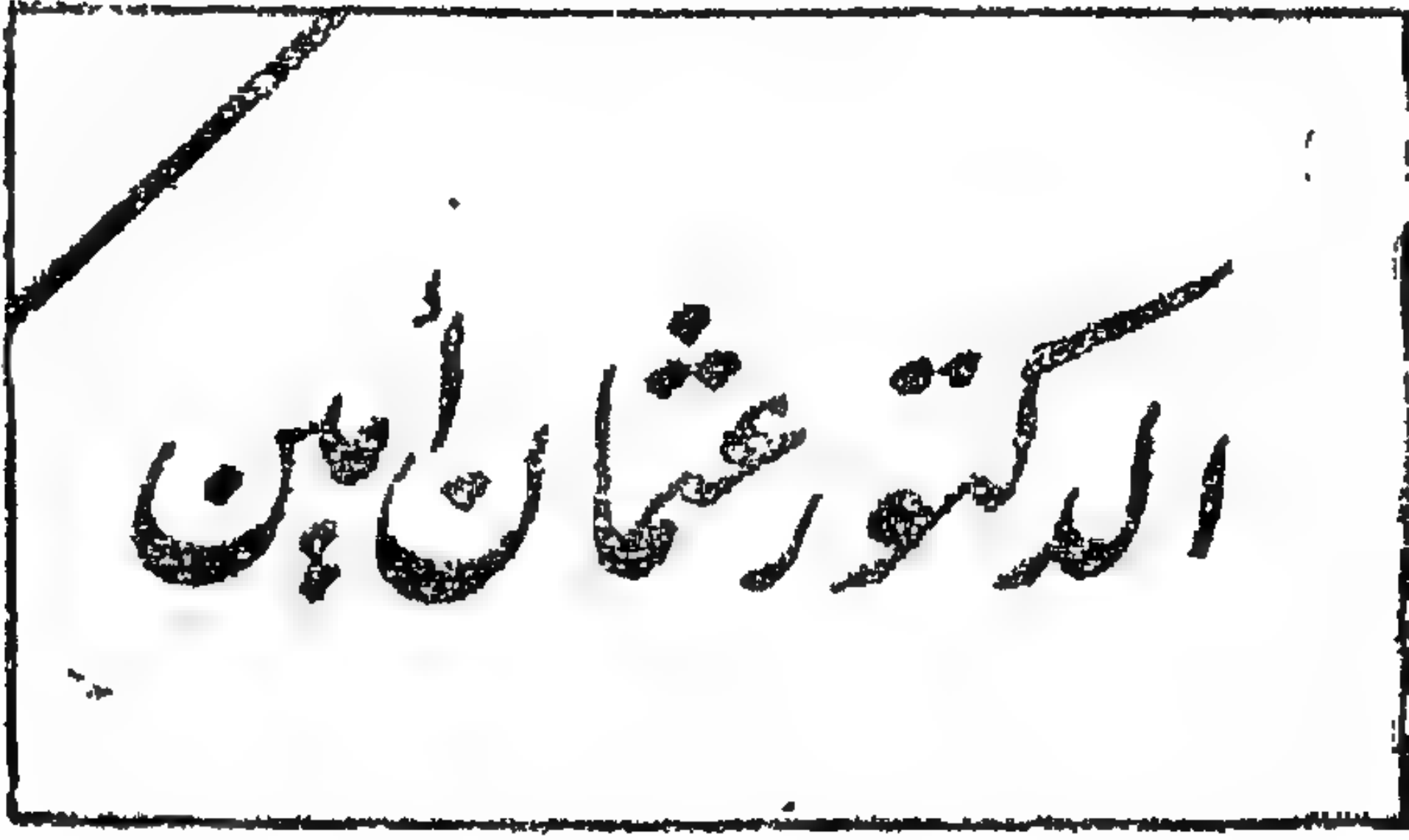
وزاملته في مصر منذ عودته من أوروبا ،
فالتقينا على مائدة التدريس في كلية الآداب
بجامعة القاهرة ، واشتركنا في لجنة الفلسفة
والعلوم الاجتماعية بمجمعنا هذا ، اشترك معنا
خبيراً ، ثم عضواً وزميلاً ، والمعجم الفلسفي
الذي يخرج المجمع الآن مدين له بقسط
كبير من تمحيصه وتحقيقه . واشتركنا أيضاً
في لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية بالمجلس
الأعلى للآداب والفنون ، وجمعت بيننا ندوات
ومؤتمرات متلاحقة . ولا أذكر أننا اختلفنا
قط في الحكم والتقدير ، أو تباعدنا في التوجيه
ورسم السياسة . وقد رميت يوماً بممالأته
والتعصب له ، ويعلم الله أنني لم أرشحه لأمر ،
ولم أختاره لموقف إلا وهو به جد جدير .

برحمته ، وجزاه خير الجزاء عما قدم للغته
وثقافته .

وسيقول كلمة المجمع فيه الصديق المشترك
والزميل القديم الدكتور سليمان حزين .
وللأسرة بعد كلمة يلقيها أخو الفقيد
الأستاذ محمد عز الدين أمن .

واليوم وقد رحل عنا وخلف ما خلف
من فراغ ، فإن الواقع يقتضينا أن نسجل أنه
يعد بحق من بناء الفكر الفلسفي المصري
المعاصر . كون رعيلا مرموقاً من الباحثين
والدارسين ، وزود المكتبة العربية بزيادة وفيرة
سبقت على الدهر . ولم يفته أن يكتب ويؤلف
باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، تغمده الله





في تأبين المرحوم الأستاذ

بسم الله الأول والآخر ، كانت الساعة ساعة الضياء ، وكان الفصل من السنة فصل الربيع وكان النهر الذي نقف على شاطئه نهر دجلة. وهذا النهر يفيض فيضانه في وقت الربيع حين تذوب الثلوج القادمة من جبال بلوخستان ، وكانت القافلة قافلة طلاب كلية الآداب من الجامعة المصرية في عام ١٩٣٠ م ، كانت القافلة بسيارتها العتيقة التي أنهكها الزمن قد قطعت طريقاً عبر بادية الشام التي كانت في ذلك الوقت خالية من الطرق المعبدة ، سارت القافلة على درب قوافل الحمال ، حتى إذا ما وصلت شاطئ دجلة ألفينا هذا النهر العاتي بمياهه الصاخبة ، ولم يكن في ذلك الوقت من جسر عبر هذا النهر ، وإنما كان العبور فوق جسر هو في أساسه قرب هواء منفوخة شد بعضها إلى بعض ، ونسجت من فوقها قطع الخشب مشدودة بعضها إلى بعض ، وأشفق قائد الرحلة على الطلاب من أن يعبروا فوقه بسيارتهم فأشار إلى أن نزل وعبرت السيارات خالية ثم بدأنا العبور على الأقدام ، وكان من بين هؤلاء

الطلاب طالب ربعة في طواه ، مشرب وجهه بحمرة تعلوها طيبة المحيا ، يلبس طربوشاً طويلاً كما كانت عادتنا في تلك الأيام ويمسك في يده عصا معقوفة اليد ، وكانت تلك العصا قد لازمت طوال الوقت . ذلك هو عثمان أمين وكان عثمان أمين منذ تلك الأيام يهره الحمال الرائع على الشاطئ مأخوذاً بجماله ، ويرى في ذلك الشاطئ لوناً من الجمال الذي تمسك به طوال حياته ، وفي تأمله ذاك زلت قدمه عند ما بدأنا نعبّر جسر القرب المنفوخة وسقطت قدمه وظننا أنه سقط ، ولكنه تمسك ونهض قائماً مرفوع القامة كما كان دائماً بشخصيته هذه التي يهرها جمال الطبيعة ، قام وأبى إلا أن يستمر على الجسر مستنداً إلى عصاه ، وكان زميلاً لنا في كلية الآداب ، ولكننا كنا ننظر إليه على أنه طالب فاسفة ، وعلى أنه فيلسوف أيضاً ، نوع جديد بين من يدرسون الفلسفة ، وكان في كل تصرفاته منذ اليوم الأول في كلية الآداب فريداً ، وكنا نحاول دائماً أن نتلقى الفكر والأدب والعلم عن أساتدتنا في

مكيلة الآداب ، ولكنه اختلف عنا جميعاً ،
في أنه أبى إلا أن يتلمذ على أساتذة قدامى
سبقوا عصرنا بقرون كثيرة ، منهم أفلاطون
الذي أخذ عنه قوله إن الفلسفة محبة الفكر
والفلسفة حارسة لهذا الفكر ، حارسة للعالم
كلها ، وأخذ عنه أن الفلسفة جمال في الرأي .
ومنذ ذلك الوقت أخذ عثمان أمين يعشق الجمال ،
الجمال الحى والجمال المعنوى ، وانعكس ذلك
كله على شخصيته التي أصبحت وبقيت إلى
آخر أيامه شخصية جمالية بكل ما يحويه
الجمال من معنى رقيق ، وكان إلى جوار
ذلك مؤمناً إيماناً قوياً ، وكان يكرر دائماً
أن الله سبحانه مالك الجمال المطلق ، وهو
يعشق هذه الصفة من صفات الله تعالى ،
وحاول أن يتناسى بها في كل تصرفاته .

وانتقل به الزمن والفكر من الفلسفة
القديمة إلى الفلسفة العرب ، ومنهم الغزالي
الذي رأى أن الحياة حواس ثلاث منبعها
القلب فكان يرى أن الإنسان إنما يسمع ويبصر
ويحس باللمس ، ويحس بالذوق ، ويحس
بالشم كل ذلك عن طريق القلب ، وهكذا
بقى عثمان أمين طوال حياته متأسراً بهذا
القول الرائع من أقوال الغزالي ، فرأيناه
في كل حياته بينما يسمع بقلبه ، ويرى بقلبه
ويلمس الأشياء بشغاف قلبه ، وأكاد أقول
إنه كان يشم رائحة الخير ورائحة الجمال
في الحياة بقلبه أيضاً ، من هنا انتقل إلى
التأثر بأقوال كثيرين من أهل الكلام
والمحدثين والفلاسفة وأهل الفن والفكر

العربي كالفارابي وغيره متأثراً بهذا كله
في حياته حتى خرج منها آخر الأمر
بفلسفته الحيوانية ، كان دائماً يقول إن
الحياة البرانية للإنسان إنما هي دائماً حياة شكل ،
أما المضمون في الإنسان فهو الحيوانية ، ومن
هنا رأيناه يهذب جمال حياته ، ويعلم
نفسه ، ويشقف نفسه ، فلقد عني بالغريرة فيه ،
وعنى بالعقل والفكر ، وعنى بالنفس
والضمير ، وعنى بالشخصية ، غريزته
كانت مهذبة ، استطاع أن يهذبها وأن
يغلبها في كل شيء فعاش العيشة البسيطة ،
لم تبهره الحياة أبداً ، وإنما بقي دائماً مثال
الأستاذ المتواضع ، وأهل التربية يقولون
إن تهذيب الغريزة يخرج حيواناً من حيوان
كلنا حيواناً ، ولكن الذين يستطيعون
تهذيب غرائزهم هم حيوان آخر ، وأهل
التربية يقولون إن تهذيب العقل والفكر
يخرج بشراً من حيوان ، وقد استطاع
عثمان أمين أن يهذب فكره في مجالات
الجمال ، وقد استطاع بمجده الخاص أن
يخرج بنفسه من الحيوانية إلى البشرية .
وأهل التربية يقولون إن تربية الضمير
تخرج الإنسان من بشر ، وقد استطاع
عثمان أمين أن يحيا بضميره وأن يتحكم
في سلوكه دائماً ، ومن هنا فإنه كان واحداً
من أولئك القلائد الذين انتقلوا بأنفسهم
وبذواتهم من البشرية إلى الإنسانية . وأهل
التربية يقولون إن تهذيب النفس يخرج

الإنسان الأرقى إنسانية من الإنسان وقد استطاع
عثمان أمين بهذيب نفسه، بل بما عرفناه
عنه منذ كان طالبا في كلية الآداب ،
استطاع أن يخرج في ذاته الإنسان الأرقى
إنسانية من الإنسان .

هكذا كانت شخصية عثمان أمين وبقيت
حتى فارقنا إلى دار الخلود ، وقد امتد
فكر عثمان أمين في العقدين الآخرين
من حياته ، استطاع أن يبرز نظرية
الحيوانية ، هذه النظرية التي خرجت
به من طور الحيوانية إلى البشرية ثم
إلى الإنسانية ، ثم من الإنسانية إلى
إنسانية أعلى هذه الحيوانية هي التي جعلت
معالم شخصيته ، وأنا أذكر أننا عندما
اخترناه زميلاً لنا في المجمع العلمي
المصري ، وجاء يقدم نفسه في بحث
فلسفي ، حاول أن يتحدث إلينا عن هذه
الحيوانية وبهرنا جميعا ، لقد سمعت
عثمان أمين أكثر من مرة ، وقرأت له
أكثر من مرة ، تحدث إليه أكثر
من مرة ، ولكني لم أسمع به مثل هذه الروعة
عندما تحدث إلينا في المجمع العلمي .

وامتازت حياة عثمان أمين بجانب ثان
هو جانب اللغة العربية ، كنا في الكلية
نختلف إلى بعض دروس الأدب ،
وكان جانب من الطلاب الذين تخصصوا
في الأدب العربي إلى جانب آخر تخصص
في الجغرافيا أو الاجتماع أو الفلسفة ،

ولكننا مع ذلك كنا نحاول أن نستمع إلى
دروس أستاذنا الدكتور طه حسين ، وكنا
ننتظر عثمان أمين وبعض زملائه في قسم اللغة
العربية ، لأننا مثلنا كمثل عابر السبيل في
قسم اللغة العربية ، وأظن أنني قرأت
لعثمان أمين عندما جاء إلى هذا المجمع
وقد قدم نفسه على أنه عابر السبيل في اللغة
العربية ، ولا أظن ذلك إلا أنه كان
من جانب التواضع من جانب عثمان أمين ،
لقد كان أصيلا على طريق اللغة العربية لأنه
عنى بالجانب الجمالي في اللغة العربية ،
وتعمق فهم الجمال فيها .

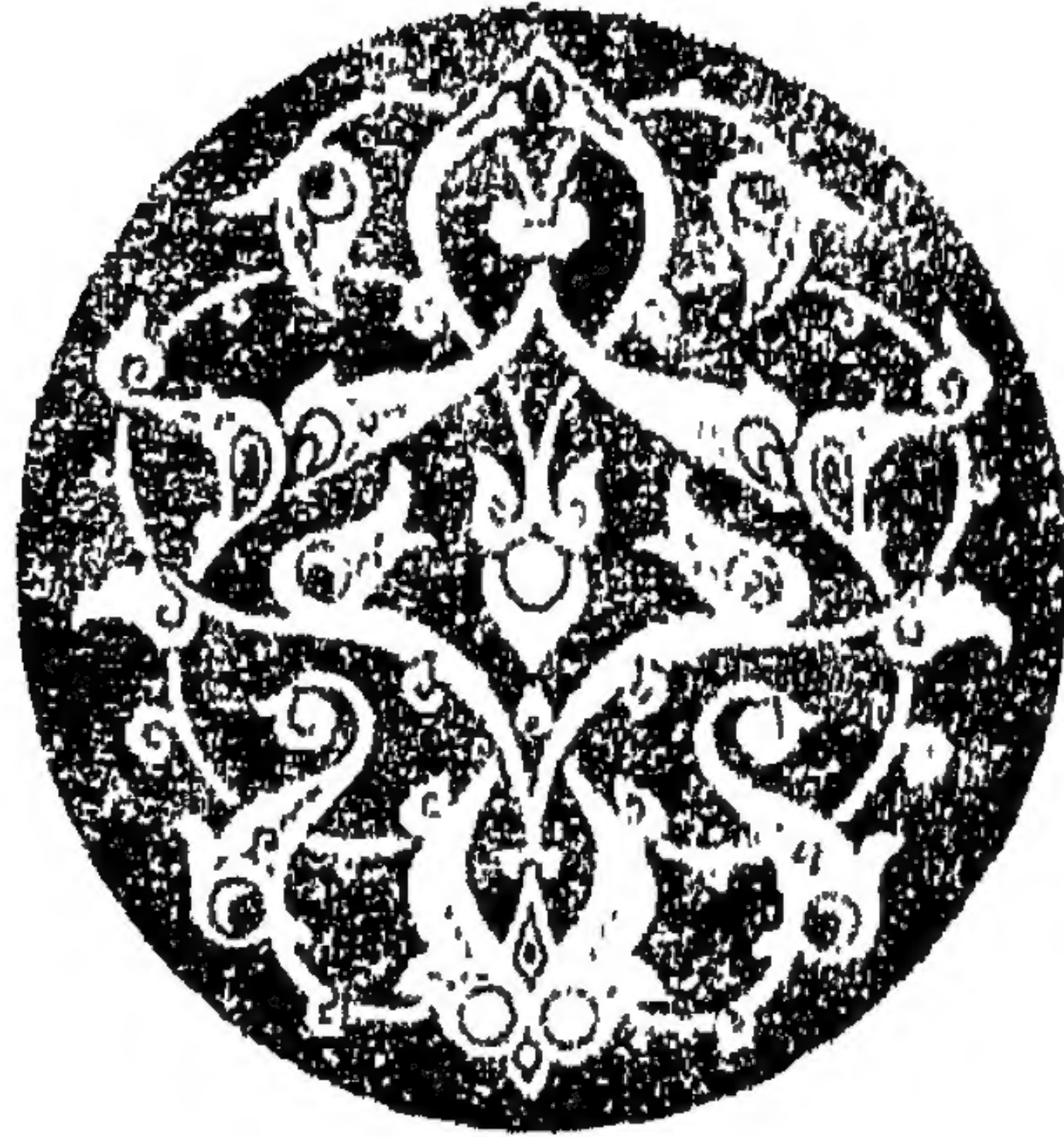
فاللغة جانب منعكس من الإنسان ،
واللغة العربية بالذات أعرق اللغات الحية ،
من هنا فإننا إذا أردنا أن نلتمس أسباب
البقاء والخلود في اللغة العربية فإنما ينبغي
البحث عن أصولها الجمالية ، وكان عثمان
أمين سباقا في هذا ، أتعب حياته منذ
اليوم الأول في كلية الآداب في البحث عن
جوانب الجمال وتلمس عثمان أمين طرق
البحث عن جوانب الجمال في اللغة العربية
من الطريق المباشر ، طريق الجمال في
اللغة ، واستطاع عثمان أمين أن يتجه هذا
الاتجاه الفريد الذي فقدناه .

ذلكم كان عثمان أمين الأخ والصديق في تلك
الفئة الصغيرة قليلة العدد في كلية الآداب ،
تلك كانت مجموعة من الإخوة ، ومن
هنا فإننا نفقد جانبا من جوانب أنفسنا كما
قال الرئيس حين نفتقد واحدا من إخواننا .

كان عثمان أمين شخصية فذة ، ترك
طابعه الجمالى فى كلية الآداب، وفى سلوك
أبناء كلية الآداب من أبناء ذلك الرعيل
الأول ، وقفة عثمان أمين تلك البعيدة على
شاطئ دجلة مبهوراً بالجمال ، جمال
الطبيعة الرائع ، الذى أدخل فى نفوس
زملائه جميعاً الإشفاق والخوف ، عثمان أمين
لم ير فى ذلك الموقف الذى بنطوى على
الخطر كله إلا جذب الجميع لينبهر به ،
وكادت قدمه أن تزل فى قاع اليم ، عثمان
أمين هو عثمان أمين الذى عرفناه فى

أواخر أيامه لا يرى فى الحياة إلا الجمال ،
ولا يرى فى الفلسفة إلا الحكمة ولا يرى
فى معاملة زملائه جميعاً - من أحسن إليه
ومن أساء إليه - إلا المحبة ، ذلكم كان
عثمان أمين الذى دخل الآن إلى دار الخلود
وما أرى إلا أنه قد يحمل معه منظر الجمال
الذى رأى الدنيا منه ، منظر الجمال الذى
سيرى به آخر الدارين حب فى حب
وجمال فى جمال .

سليمان حزين
عضو المجمع



كلمة الأسرة

للاستاذ محمد عز الدين أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجمع

السيد نائب الرئيس

السيد الأمين العام

السادة الأعضاء

أيها السادة

يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى
الشاكرين ، كل نفس ذائقة الموت ، وإنما
توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح
عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما
الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

أيها السادة أرجو أن تسمحوا لي في
هذا الحفل أن أقدم إليكم شكراً وعزاءً ،
فإن كنا نحن أسرة الفقيد في القرابة والنسب
فأنتم أسرة الفقيد في اللغة والعلم .

أسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته ،
وأن يجعله من الذين أنعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا ، والسلام عليكم
ورحمة الله .

الحمد لله الذي لا يحمد على كل مصاب
سواه . والصلاة والسلام على رسول الله
سيد العالمين ، وما ينبغي أن تكون عليه
في مثل هذه الحالة أن نقول إن العين
لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا
لفراقك يا أخي لمحزونون ، ولسكننا
لا نقول إلا ما يراه ربى . اللهم ألهمنا الصبر
جميعاً ، وقضاء الله نافذ ، وما كان لنفس أن
تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن
يرد ثواب الحياة الدنيا نؤته منها ، ومن

